22311

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

- جامعة وهران-

كلية اللغات ،الآداب و الفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

ترجمة القرآن و إشكالية التفسير

ترجمة سورة يوسف لجاك بيرك نموذجا

دكتوراه

إعداد الطالب:

بغداد بلية

إشراف الأستاذ:

الدكتور شريفي عبد الواحد

السنة الجامعية 2006 - 2007

2006 - 2007

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح شقيقتي الغالية عائشة باسية

إلى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى زوجتي و ابنتي نور و ملاك
و إلى ابني حسام الدين

المقدمة

لقد كان العرب في جاهليتهم أهل فصاحة ، و لكن أسمى ما عرفوه كتاب عربي معجز في لفظه ونظمه أوحي إلى رجل منهم ،و كان نزوله على قبيلة عربية له أكثر من دلالة تعجيزية و إعجازية ، فقد كانوا يتفاخرون بفصاحتهم و بلاغتهم و لكن سرعان ما غدوا تبعا لهذا الكتاب الذي لم يألفوا له مثيلا، ولم يسطعوا له سبيلا في نسخه أو مماثلته ، فاكتشفوا أن ما أنزل على رجل من أنفسهم يمثل أفصح ما تسمو إليه لغتهم في خصائصها السامية ، فاعتبروه أصلا في لغتهم و مصدرا موثوقا من مصادرهم .

كان الكتاب هو القرآن الكريم المنزل بلغة عربية لفظا ومعنى ،و قد سار سير المسلمين في الأمصار وأقبلت عليه الشعوب حتى الأعجمية منها ، فتبنت لغته العربية حتى عربت لسانا ودينا، فلم تطرح على المسلمين الأول قضية ترجمة مضامين الآيات المقدسة ، و إنما حرصوا على تعلم اللغة الجديدة بغية فهم الخطاب القرآني. بيد أن الوضع تبدل و تغير في العصور المتأخرة ، حيث تفرعت اللغة الواحدة إلى لغات عديدة ،و ارتدت شعوب إلى لغاتها الأصلية بدافع قومي مرة أو بتحريض استعماري مرة أخرى ، مما فرض على القائمين على الهيئات الدينية الإسلامية البحث عن وسيلة لنقل المعاني القرآنية إلى اللغات المحلية في البداية ثم اللغات العالمية المختلفة .

و لعل أهم خطوة يقوم بها المترجم قبل الخوض في عملية النقل تكمن في الرجوع إلى التفاسير القرآنية التي رافقت النص المقدس منذ ظهوره إلى غاية عصرنا الحديث ،غير أن اختيار دلالات بعينها هي عملية فردية لدى المترجم تمليها عليه قدراته في الإنتاج أو إبداع النصوص الجديدة ، و هذا يقترن بمدى إتقانه للغات المختلفة ومعرفة ما تختزله من مفاهيم اجتماعية و دينية وفلسفية .

فمرحلة التفسير تكمن في إعطاء النص القرآني قراءة يفترض المترجم مناسبتها للنص في نحوه و معانيه ومفرداته وجمله وفي السياق النصي لمعانيه ، و تتم هذه العملية بالاعتماد على المصادر المساعدة ، التي يفترض أن تكون وثيقة الصلة باللغة المصدر قبل النص المصدر ، إذ تستقى منها المفاهيم المسبقة التي تنظم الحقول الدلالية و التركيبية و الأسلوبية ، وفيما يخص القرآن الكريم فلقد كانت كتب التفسير بتنوع مدارسها أهم المصادر بالنسبة لجل المترجمين .

وتبقى محاولة ترجمة القرآن الكريم رهينة فهم التفاسير في مرحلتها القبلية (قبل الترجمة) إذ إن عملية المقارنة و التمحيص التي تفرض على المترجم ، تبدأ بتحديد هوية المفسر ، وكشف ما أحيط بالقرآن الكريم من إسرائيليات مزيفة ،حاد بها التفسير عن هدفه السامي ، بل إن الكثير من الآثار الإسرائيلية تبدل دلالات النص ، مما يجعله عرضة للنقد التاريخي و الأدبي و اللغوي .

وهذا ما لم يتم الاعتماد عليه في اعتقادنا في ترجمة القرآن الكريم عند المترجمين الغربيين ، وما وجود الفروق الدلالية بين المترجمين إلا دليل قاطع على صحة الظاهرة .

وعلى هذا الأساس كان الاهتمام في هذه الرسالة مرتكزا عل إشكالية قدرة الترجمة التفسيرية على الوفاء بنقل دلالات النص القرآني ، إذ أن الترجمة التفسيرية المجازة من طرف علماء الإسلام تمنح المترجم حرية كبيرة في التعامل مع النص القرآني ، و هذا باب ينجر عنه حتما الخطأ في النقل و الترجمة .

أما بخصوص اعتماد المترجم على التفاسير القرآنية ، فهذه ضرورة تفرضها عملية فهم النص و تفسيره ، و لكن إذا كان التفسير مرحلة قبلية في الترجمة فهل يجوز للمترجم الاعتماد على تفسيرات معينة دون غيرها لتحديد خواصه الدلالية و الصرفية والنحوية و الأسلوبية ؟!.

الملاحظ أن المفسرين تاهوا في اتجاهات مختلفة لكشف حقائق القرآن الكريم ، فمنهم من اعتمد على التفسير المأثور ومنهم من اعتمد على التفسير بالرأي ومنهم من ركز على الجانب البياني وبعضهم اهتم بالتفسير العلمي .

وعلماء التفسير بالرأي أنفسهم كانت لهم انتماءات مختلفة تتحكم في تفسيراتهم فمنهم الصوفي الإشاري و الشيعي و الفقهي و النحوي و الفلسفي.

فهل يحق للمترجم أن يتناسى هذه الفروق المنهجية ؟؟

إضافة إلى هذا نجد نوايا المترجمين الغربيين تتأرجح بين الموضوعية و الذاتية ، إذ قلما نجد نية تطوير أو تصحيح ترجمات السابقين بل يبذل كل مترجم جهده للإسهام في ترجمة القرآن الكريم ،نظرا لتعقيد هذا النوع من الترجمة .

في حين نجد مواقف علماء الإسلام تساعد هؤلاء المترجمين فيما يقومون به ، فقد صدرت فتوى تحرم ترجمة القرآن الكريم الحرفية و بالتالي كل نوع من الترجمة يحاول النقل الدقيق لمعاني النص القرآني و بالمقابل فقد تمت إجازة الترجمة التفسيرية، هذه الترجمة التي تمنح للمترجم حرية كبيرة في التصرف في معاني النص القرآني المقدس ، إذ لم توضع لها القواعد و الأصول الواضحة في مجال علم الترجمة ليتمكن المترجم من التقيد بها على أساس علمي تجريبي .

و على هذا الأساس يصبح الاهتمام بمجال نقد الترجمة ضرورة ملحة ، فالمترجم يمر حتما عبر تقييم النص الأصل و نقده ، و هو بذلك ناقد مثلما أشار أنتوان بيرمان ، إذ لا يمكن ترجمة نص ما دون فهمه و تفسيره و بعد ذلك نقده ، أي فهم جميع خصائصه مما يساعد المترجم على نقله إلى لغة و ثقافة جديدة .

إن نقد الترجمة حسب كاثارينا رايس يعتمد في الأساس على دراسة الأنماط النصية ، لهذا فإن نقد ترجمة القرآن الكريم يتوجه إلى تحليل و دراسة نوع واحد هو الترجمة التفسيرية ،و كان السعي في هذه الرسالة لتحديد قواعد و أسس ترجمة القرآن الكريم .

إن أنجع طريقة للحفاظ على النص القرآني من أخطار الترجمة ، تكون بإعداد الخطط و الدراسات لتأصيل قواعد الترجمة التفسيرية ، فمن غير المعقول أن ننتظر من الدارسين الغربين القيام بذلك .

لهذا نوجه الاهتمام في هذه الرسالة إلى موضوع "التفسير " وعلاقته "بالترجمة التفسيرية " ، و كذا علاقة الترجمة التفسيرية بنقد الترجمة ، لما وجدنا من خور وضعف في الإحاطة بمعاني القرآن الكريم في الترجمات الفرنسية .

ونعتبر هذه الدراسة خطوة في سبيل إرساء دعائم ترجمة تفسيرية تحفظ القرآن الكريم من الخطأ الإرادي و التحريف العمدي ، و خطوة لتأسيس نقد ترجمة القرآن الكريم .

و يحق لنا أن نتساءل : كيف يجرؤ المترجمون على ترجمة القرآن الكريم دون معرفة شاملة لخصائصه و إتقان للغته ؟؟.

فالمترجم مفسر ، وقد شدد علماء الإسلام على الشروط الواجب توفرها في المفسر في نفس اللغة (وأعنى بذلك اللغة العربية) من معرفة أصول الدين و أصول اللغة ،

لذا فالمفروض أن تتوفر نفس الشروط في المترجم لأنه يقوم بنفس العمل و ذلك بتفسير القرآن الكريم من لغته الأصل إلى لغات مختلفة .

و كان الاعتماد في هذه الدراسة في المجال التطبيقي على سورة واحدة من النص القرآني المقدس هي سورة يوسف ،لكونها تمثل نموذجا للنص الموحد الموضوع ، و المشتمل على خصائص أدبية ، تجعله قابلا للتحليل و الدراسة في مجال الدراسات الأدبية و اللغوية و في نفس الوقت الدراسات الترجمية المرتكزة على المحال الأدبي ، و لكن دون المساس أو الشك في قدسية النص القرآني أونسبته إلى الكتابة الأدبية ، بل نرتكز دائما على ألوهية المصدر و خصوصية الدراسة أي ترجمة الكتب المقدسة .

و تفاديا لتكرار مضامين الترجمات الفرنسية للنص القرآني لتشابهها في معظم الحالات، أولينا الاهتمام بترجمة حديثة للمفكر الفرنسي جاك بيرك_(1990) دون إهمال للترجمات السابقة ، و منها ترجمة سافاري و هي إحدى أقدم الترجمات1781 وكازمرسكي 1840 و أكتاف بسل و أحمد تيجاني 1932و إدوار مونتي 1925 ثم دونيز ماسون 1967 ، و سبب اختيار هذه الترجمات أنها تمثل نماذج لترجمات متشابهة في فترات مختلفة و منها القرن التاسع عشر و العقد الأول من القرن العشرين ثم الستينات من نفس القرن ، و أخيرا التسعينيات منه .

و لبلوغ الأهداف المرجوة من الرسالة انتهجنا الخطة التالية :

المقدمة :

وفيها نتعرض للأسباب الحقيقية للقيام بهذه الرسالة ، والمنهجية المتبعة المرتكزة على أساس نقدي لدراسة خصائص ترجمات النص القرآني باللغة الفرنسية .

الباب الأول : الترجمة و النص المقدس

ويقسم إلى فصلين هما :

أ- **الفصل الأول : تفسيرالنص المقدس و ترجمته**

إن ارتباط الترجمة بالتفسير تفرض على المترجم الرجوع إلى التفاسير المختلفة و المتنوعة للنص القرآني ، و ذلك لمساعدته على فهم النص و تفسيره قبل نقله إلى لغته، و هي لغة مختلفة حتما عن اللغة و النص الأصل.

المبحث الأول : أقسام التفسير :و يضم التفسير بالرواية و بالدراية و بالإشارة و بالأحكام .

أ –التفسير بالرواية .

ب – التفسير بالدراية .و أنواعه هي :

1 –تفسير الشيعة .

2 –التفسير الصوفي و الإشاري .

3 –التفسير الفقهي .

4 –التفسير الحديث .

5 –التفسير المعاصر .

المبحث الثاني :مراحل التفسير :و فيه بيان لمختلف المراحل التي مر بها علم التفسير و تدوينه ،و منها :1 –مرحلة التفسير العملي 2 –مرحلة التفسير النظري 3 –مرحلة الركود 4 –مرحلة التفسير التطبيقي

المبحث الثالث : مناهج التفسير ، و هي متعددة منها مناهج حسب شكل النص ، و منها مناهج حسب طريقة شرح مضمون النص .و أخرى حسب منهجية المفسر .

أ –المنهج الطولي ب– المنهج الموضوعي

1 –المنهج التاريخي 2 –المنهج التمثيلي 3 –المنهج اللغوي 4 –المنهج التاريخي

5–المنهج الفلسفي 6 –المنهج العقائدي 7 –المنهج الفقهي

8 –المنهج الصوفي 9 –المنهج العلمي 10 –المنهج الإصلاحي 11 –المنهج الفني

12 –المنهج الموضوعي 13 –المنهج التريخاني 14 –المنهج اللسانياتي .

المبحث الرابع : **الاتجاه النقدي للتفسير و الترجمة .**

و هو محاولة لتأسيس اتجاه نقدي يتتبع في البداية الآراء النقدية لبعض العلماء المسلمين حول طبيعة التفاسير القرآنية ، ثم ربط نقد التفاسير بنقد الترجمات الفرنسية ، نظرا للعلاقة الوطيدة بين التفسير و الترجمة .

أولا :نقد التفسير بالرأي .

ثانيا :نقد التفسير المأثور .

و نعرض في الحالتين الآراء النقدية لمجموعة من العلماء منهم :

أ –أبو عبد الله محمد القرطبي .ب –الحافظ بن كثير .ج –عبد الرحمن الثعالبي .

د –تقي الدين بن تيمية .ح –عبد الرحمن بن خلدون .ط–الشيخ محمد عبده .

ك –الشيخ محمد بن أبي شهبة .و قد ركز الشيه أبو شهبة على نقد سند المرويات .

ثم نقد محتوى المرويات و إن صح السند .

الفصل الثاني :علاقة التفسير بالترجمة .

المبحث الأول :أحكام ترجمة القرآن .

و فيه حصر لأراء العلماء المحدثين حول عملية ترجمة النص القرآني إلى لغات العالم المختلفة ، و اختلافهم حول قضية ترجمة النص القرآني ، و انفراد الأزهر الشريف بمصر بجواز ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية ، و لهذا الرأي سلبياته و إيجابياته .

و نشير فيه إلى أراء المذهب الحنفي و المالكي و الشافعي و الحنبلي .

المبحث الثاني : بين الترجمة و التفسير .

و يتم التركيز في هذا المبحث على دلالة الترجمة عند العرب : وهى عملية إحصائية لتعريف الترجمة في معاجم اللغة و في الاصطلاح .

كما نعرض فيه مجهودات الجاحظ النظرية في الترجمة ، و كذا مجهودات حنين بن إسحاق في ترجمة الفكر اليوناني إلى اللغة العربية ، و تأثير ذلك على الأفكار النظرية و التطبيقية للترجمة ، و بخاصة ترجمة القرآن الكريم .

المبحث الثالث : مبادئ تفسير النصوص و ترجمتها :

ترتكز مبادئ التفسير و الترجمة على مبدئ هام هو طبيعة النص القرآني و خصوصية لغته المقدسة مما يجعل الترجمة صعبة ، و كل مترجم لا يولي هذه الخاصية اهتماما يفقد الترجمة جوهرها .

المبحث الخامس : أنواع ترجمة النصوص .

و فيه تفصيل للأنواع المعروفة لترجمة القرآن الكريم .

1–الترجمة الحرفية .و هي تشمل:

أ –الترجمة كلمة كلمة .ب–الترجمة واحد بواحد .ج– الترجمة الحرفية .

2 –الترجمة التفسيرية .

3 –أنواع الترجمة المرتبطة بدلالة النص :

1 –الترجمة التفسيرية .2 –ترجمة تفسيرمعاني القرآن الكريم .3 –الترجمة الوفية .

4 –فوق الترجمة .

4 –أما أنواع الترجمة المرتبطة بلغة الترجمة ، فيمكن إحصاء بعض الأنواع منها :

1 –الترجمة البائنة 2 –الترجمة غير البائنة 3 –الترجمة الحرة 4 –الاقتباسية .

5 – الترجمة الاصطلاحية 6 –الترجمة التخاطبية .

الباب الثانى :ترجمة جاك بيرك و التفاسير القرآنية.

و يقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : قراءة نقدية للترجمة و التفسير

المبحث الأول :الترجمة بين التقييم و النقد .

إن كثرة الترجمات للنص القرآني تفرض دراسة جدية لهذه الترجمات، و لهذا نحاول في هذا الفصل بيان أسس نقد الترجمة و منها :

أ –قراءة النص الأجنبي . ب –أهداف المترجم و شخصيته .ج –مقارنة النص المترجم بالأصل د – وظيفة النص و هدف الترجمة .ح– نمط النص ط–عملية تفسير المترجم للنص القرآني ، و فيها رصد لمجمل مصادر التفسير عند المترجم جاك بيرك و منها :

1 –المصادر الأساسية 2 –المصادر الظرفية 3 –المصادر الثانوية .

الفصل الثاني : نقد ترجمة جاك بيرك التفسيرية لسورة يوسف :

المبحث الأول :مقارنة النص الأصل بترجمة جاك بيرك و ترجمات أخرى .

استهل المبحث بملخص لسورة يوسف و بعده أشرت إلى أنواع القصة القرآنية و منها القصة المفتوحة و المغلقة .

المبحث الثاني :دراسة مقارنة لترجمة جاك بيرك .

و هي دراسة تحليلية مقارنة بين ست ترجمات فرنسية للنص القرآني المقدس مع تتبع مدى موافقتها لكتب التفسير القرآني القديمة و الحديثة ، و نظرا لطبيعة سورة يوسف فقد قسمت إلى ثلاثة مراحل هي :

1 –المقدمة 2 –العرض القصصي 3 –الخاتمة .

و أخيرا أنهيت الرسالة بخاتمة أوجزت فيها نتائج البحث ، و ضرورة انتهاج طريقة علمية لترجمة النص القرآني و بعد ذلك نقده .

و يمكن الإشارة إلى أن المنهج المتبع في هذه الرسالة ، نقدي تحليلي يعتمد رصد الظاهر الترجمية ثم المقارنة بين مختلف النصوص المترجمة للنص القرآني ، أما عن المراجع والمصادر فان طبيعة الموضوع هي التي فرضتها ، بما فى ذالك ترجمات القرأن الكريم باللغة الفرنسة وكتب التفسير وأصول الفقه بداية من تفسير الطبري إلى التفاسير الحديثة مثل تفسير سيد قطب " في ظلال القرآن " ، و الدراسات الترجمية الحديثة الغربية و العربية ، كما استعنت بالدراسات الترجمية الحديثة حول نقد الترجمة و بخاصة مؤلفات أنتوان برمان و منها " نحو نقد للترجمة –جون دون " 1995و كذا كاثارينا رايس " نقد الترجمات " 2002 .

لا يفوتني في هذا المقام ،أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور شريفي عبد الواحد لقبوله الإشراف على هذه الرسالة ،و على ما بذله من مجهودات علمية ساعدتني على إنجاز هذه الرسالة ، مما جنبني الخطأ و الشطط ، لذا أكرر امتناني بالشكر الجزيل و الثناء الموفور للأستاذ الكريم .

وفي الأخير ، أتمنى أن أكون قد وفقت إلى ما أصبو إليه ، و قد بذلت في ذلك جهدي .

و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .

وهران 2009

الباب الأول :

الترجمة و النص المقدس

الفصل الأول :

تفسير النص المقدس و ترجمته

إن تباين اللغات الإنسانية كان الباعث الحقيقي منذ أزمنة سحيقة لظهور الترجمة بهدف الربط بين ثقافات و فكر الشعوب المختلفة.و كان ذلك التباين سببا في جعل عملية تحويل النصوص المترجمة تبدأ من الحقل الدلالي لتنتهي إليه في الأخير ، من خلال التعامل مع المستويات المختلفة لأي لغة ، منها المستوى الدلالي المعجمي ثم الصرفي و النحوي و الأسلوبي . (1)

و لا تستقيم عملية الترجمة إلا إذا راعينا الجانب الدلالي ، إذ لا تفيد عملية التحويل النحوي المورفولوجي ما لم تكن عملية التحويل الدلالي مستقيمة ، فالدال و المدلول مرتبطان ذهنيا بعالم مادي محسوس و كذلك بعالم نفسي أساسه الرصيد الثقافي و الاجتماعي المتراكم عبر العصور و الأزمنة البعيدة .

و قد اختار الله سبحانه و تعالى أن ينزل القرآن الكريم بلغة عربية ليحمل ذلك الرصيد الثقافي ، لذا فإن دراسة النص القرآني باعتباره نصا مصدرا ، وثيقة الصلة بالجانب التاريخي ، فقد ارتبط القرآن الكريم باللغة العربية منذ نزول الوحي الإلهي ، ومنذئذ بدأت العلاقة الجديدة بين العرب وهم أهل فصاحة و بلاغة وبين لغتهم ، من خلال واسطة لم يعهدوا لها مثيلا وهي الوحي الإلهي.

وسرعان ما أكتشف فصحاء العرب أن ما أنزل على واحد منهم يمثل أفحص ما تسمو إليه لغتهم في خصائصها العجيبة ، فانبروا يدرسونه ويستقصون عوالمه الغريبة ، و

.....

1 –Katharina Reiss : La Critique De la Traduction,Ses Possibilités et ses limites , Artois Presses Université ,France, p 15

اعتبروه أصلا في لغتهم ومصدرا من مصادرهم ،لذا فإن أي مبادرة لترجمة القرآن الكريم تفرض معرفة حقيقية لمعاينة من خلال إتقان اللغة العربية بنحوها ودلالتها و بلاغتها ، وهذا لا يتأتى بمعرفة قوانين اللغة بصفة سطحية بل من خلال التعامل مع اللغة بعمق باكتشاف حقائقها الخفية ، فالمترجم ملزم بالتعامل مع النص المصدر و لغته حرفيا ، بينما يتعامل مع لغة الترجمة على أساس مرجعيتها القواعدية ، و ذلك بتطبيق أسس النحو و البلاغة و الدلالة على النص المصدر ليتمكن من فهمه و تفسيره و تحويله بعد ذلك .(1)

وقد كان لزاما على كل مترجم للقرآن الكريم أن يعتمد على عدد معين من التفاسير القرآنية ، بحيث تعتبر مفاتيح دلالية يستند عليها لبناء تفسيره الشخصي ، و يكون إثر ذلك تفسير المترجم محاولة منه لفهم النص بغرض نقله من اللغة الأصلية إلى اللغة المستقبلة ، فلا يبعد عمل المترجم في هذا عن عمل المفسر من حيث الهدف و المسعى، فالمترجم كي ينتج النص المترجم فإنه يعطي قراءة خاصة للنص المصدر تكون أساس الترجمة ، بحيث يشرح و يفسر محتوى النص ليتمكن من نقله إلى لغة جديدة ،و يتضمن حتما النص المترجم ذلك التفسير الشخصي للنص المصدر ، و لعل هذا ما يفسر تعدد الترجمات للنص الواحد ، و بخاصة النصوص المقدسة ، و بالمقابل تفرض أهمية هذه النصوص دقة أكبر عند المترجم ، لذا يكون استنباط التفسير ناتجا عن إدراك شامل لجميع التفسيرات السابقة للنص ، و بعدها يلجأ المترجم إلى تفسيره الخاص ، الذي يختلف أو يتشابه مع غيره من التفسيرات ، و لكن تبقى هذه الخطوات ضرورية لإنتاج نص مترجم يقترب أكثر من دلالات النص المترجم .(2)

.....

1 –شيخ الشباب عمر : التأويل و لغة الترجمة ،دار الهجرة ، بيروت لبنان ، ص 37

2 – المرجع نفسه ص 38

المبحث الأول-مدارس التفسير :

ارتبط التفسير عند العرب و المسلمين بالنص القرآني المقدس ، و ذلك منذ الفترات الأولى للتنزيل ، فقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه خاض في تفسير العديد من الآيات القرآنية ، ثم الصحابة بعده ، إلى أن اشتدت حاجة المسلمين لفهم النص القرآني لضعف ملكتهم اللغوية ، مما دفع بالعديد من العلماء إلى تفسيره في مؤلفات خاصة ، بيد أن مصطلح التفسير عرف تداخلا من حيث الدلالة بينه و بين التأويل عند علماء السلف .

و التفسير في اللغة الإيضاح و التبيين ، يقال فسر الشيئ يفسر (بالكسر) ويفسره (بالضم) فسرا ،وفسره أبانه ، و التفسير و الفسر الإبانة وكشف المغطى .
وقد ورد بهذا المعنى في لسان العرب أي كشف المغطى ، و التفسير كذلك كشف المراد عن اللفظ المشكل . (1) وقيل هو مقلوب من سفر الذي معناه الكشف إذ يقال سفرت المرأة سفورا إذا ألقت خمارها عن وجهها ، وأسفر الصبح أي أضاء .

قال الراغب الأصفهاني : الفسر و السفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما ولكن جعل الفسر لاظهار المعنى المعقول وجعل السفر لإظهار و إبراز الأعيان للأبصار . (2)
ومنه قوله تعالى:
"وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيرَا " . (3)

.....

1-ابن منظور : لسان العرب دار إحياءالتراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1996،ج 6 ص 361
2-الأصفهاني الراغب : معجم مفردات القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ص 425
3 -الفرقان ألآية 33

و يراد بالتفسير اصطلاحا شرح نصوص القرآن و بيان ما فيها من دلالات على مراد الله حسب الطاقة البشرية ، بحيث يعذر من لم يبلغ مراد الله سبحانه فيما يتصل بالمتشابهات و غيرها مما يصعب على البشر فهمها و تفسيرها. (1)

قال الزركشي :

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانية واستخراج أحكامه وحكمه ، و استمداد ذلك من علم اللغة و النحو و التصريف و علم البيان و أصول الفقه و القراءات . و يحتاج لمعرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ .(2)

و في محاولة لدراسة علم التفسير دراسة علمية دقيقة يرى بعض الباحثين شمولية التفسير لكل نشاط ثقافي يعتمد في تأسيس موقفه الفكري على فهم معين للنص القرآني، سواء في ذلك النمط المسلسل الموروث عن السلف الذي يجري على تتبع سور القرآن بالتفسير سورة بعد سورة ، أو غير ذلك من الأنماط التي تأخذ أسلوب المقال الديني أو طريقة التفسير الموضوعي. (3)

و بهذا يعم التفسير كل أنماط التأليف التي تتعرض إلى شرح و توضيح معاني الآيات سواء بصفة جزئية أو شاملة .

و في كل نمط يشترط في المفسر أن يكون مجهوده قدر الطاقة البشرية ، أي حسب

.....

2- الزرقاني عبد العظيم :مناهل العرفان في علوم القرآن ،دار الفكر ، ب.ت ، ص 3

3-الزركشي بدر الدين : البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ط3 ، 1980 ، المجلدالثاني ص13

4- الشرقاوي عفت : قضايا إنسانية في أعمال المفسرين ،دار النهضة بيروت ، ط 2 ،1980 ، ص 12

حدود القواعد و الأصول اللغوية و الشرعية التي نص عليها العلماء .(1)
فالتفسير بهذه التعاريف مرتبط بالقرآن الكريم يجلو معانيه الواضحة و المبهمة ، ولما كانت له من الأهمية المطلقة في التأثير على الترجمة ، بحيث يكون المفسر هو مصدر التغيير و بالتالي التحوير و الخطأ عند المترجم ،فقد نبهت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف سنة 1931 على ضرورة التشدد في الأخذ عن التفاسير السابقة للعصر الحديث ، (2) و قيدت الترجمة بشروط يجب توفرها في التفسير كي يعتمد عليه المترجم .

إن التأكيد على الضبط المحكم لعملية التفسير قبل الترجمة يثبت جليا الارتباط الوثيق - بينهما ، إذ تعد مرحلة التفسير الخطوة الأولى التي تمكن من فك رموز النص القرآني، لذلك كان من الضروري التشدد في وضع الشروط الواجب اتباعها للقيام بتفسير القرآن الكريم ، وهذا يتم طبعا ضمن النطاق اللغوي الموحد أي لغة داخل لغة ، إذ لم يفسر القرآن إلا باللغة الأصلية أي العربية ، و لم تظهر دعوات تفسير القرآن الكريم بلغة أجنبية إلا مع حلول الربع الأول من القرن العشرين ، بيد أن تنوع التفاسير باختلاف مشارب المفسرين ومذاهبهم أدى إلى تأويل النصوص بما يخرجها عن مجال التفسير .

لا يخفى ما للتفسير من أهمية في إدراك و فهم مقاصد الدين ، فالمصطلح يحمل دلالة استيعاب و فهم النص القرآني ثم ترجمته بلغته الأصلية بطريقة سهلة ميسورة لكل قارئ شغوف لفهم دلالات النص القرآني ، بيد أن القارئ غير العربي ومن لا يحسن العربية لن يتمكن من الفهم إلا من خلال عملية الترجمة ، التي تنقل معاني المفسر نفسها ، إذا كان هذا الأخير قد وفق في شرح وتبيين مقصود الآيات .

.....

1 -الزرقاني عبد العظيم : المرجع السابق ج 2 ، ص 3

2 - نفس المرجع ج 2 ص 3

و نظرا لخطورة التفسير و تأثيره على فهم المتلقين له ، اشترط علماء الأصول بضعة شروط تتوفر في المفسر ، الذي يقبل على شرح و تفسير كلام الله المقدس ، لكي لا يبتذل التفسير و يخوض فيه كل خائض .

1 – يشترط في المفسر العلم بالحديث الشريف .

2 –أن يكون المفسر فقيها بسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضوان الله عليهم .

3 –أن يلم المفسر بعلوم الإجتماع و النفس البشرية .

4 –أن يكون المفسر على علم بتاريخ الأديان السماوية ، من يهودية و نصرانية و ما لحقها من تزييف و تحريف ، و كذلك المذاهب غير السماوية كالبرهمية و البوذية و المزدكية و المانوية .

و إذا كان هذه الشروط واجبة التوفر فيمن يفسر كتاب الله ، فهي أولى فيمن يترجمه لأنه مفسر و مترجم .(1)

" فإذا كان من يتعرض لتفسير كتاب الله على علم بهذه العلوم كلها ، فقد استأهل أن يفسر القرآن الكريم ، و إلا فليرح نفسه و ليرحنا معه ، و لا يخبط في كتاب الله خبط عشواء " (2)

كما حددت لجنة الفتوى للأزهر الشريف شروطا يجب توفرها في مترجمي و مفسري القرآن الكريم في الترجمة التفسيرية ، فإن علماء الأصول المحدثون قاموا بتصيف أنواع التفاسير التي عرفها القرآن الكريم منذ القرن الأول الهجري إلى يومنا ،حتى يتمكن المطلع عليها من فهم أهداف و توجهات المفسرين المتباينة .

.....

1 –أبو شهبة محمد :الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير،دار الجيل ،بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1992 ص 37

2 – نفس المرجع ص 38

1 -أقسام التفسير :

إنه لمن العسير تتبع التفاسير القرآنية و محاولة حصرها ، فالمكتبات تعج بأنواع مختلفة منها ، حتى إن القارئ ليحتار في هذا الكم الهائل من التفاسير ، التي يرجع تاريخ تأليفها من القرن الأول الهجري إلى يومنا .و لعل هذا الاهتمام بالتفسير نابع من محاولة فهم مضامين النص القرآني و تقريبها إلى القارئ المسلم ، كي يسهل عليه تطبيق تعاليم دينه ، و قد أجمع العلماء على اعتبار التفسير شرح للنص القرآني و بيان ما فيه من معان حسب القدرة البشرية للولوج إلى دلالاته في حدود قواعد اللغة و أصول الشرع .

و يمكن تقسيم التفسير الذي يخص النص القرآني بالشرح و التوضيح إلى خمسة أقسام ترتبط بطريقة المفسر في التعامل مع النص و هي :

1) التفسير بالرواية و يسمى أيضا التفسير بالنقل أو المأثور .
2) التفسير بالدراية كما يدعى التفسير بالرأي .
3) التفسير بالإشارة و يطلق عليه التفسير الإشاري الصوفي .
4) التفسير بالأحكام و هو التفسير الفقهي .
5)التفسير الحديث والعلمي .
6) التفسير البياني .

تشكل هذه الأنواع من التفسير ، رصيدا علميا و تاريخيا ضخما ، ساير النص القرآني في علاقته مع المجتمعات الإسلامية عبر مراحل مختلفة من تاريخها الديني و الثقافي و السياسي .

1-1-التفسير بالرواية :

و هو التفسير المعتمد على المأثور من الأحاديث النبوية الشريفة و ما ورد عن الصحابة و التابعين بعدهم .

يقول الحافظ ابن كثير :

" فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن و موضحة له- فإن عدمناذلك -رجعنا إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن و الأحوال التي اختصوا بها ". (1) .

يؤكد ابن كثير على اتباع المأثور من التفسير ، إلا أنه لا ينفي عجزه عن شرح و تفسير النص القرآني بكامله ، مما يستوجب الأخذ بآراء التابعين و تابعيهم . (2)

و قد قسم التفسير بالمأثور إلى أربعة أقسام هي : و هو التفسير الذي يستوفى الشروط الأولى للمفسر و منها الاعتماد على التفسير القرآني في المرتبة الأولى أي شرح الآيات بما ورد في القرآن ذاته بحيث يفصلها أو يجملها أو يجليها ، ثم يليه الاعتماد على ما ورد من تفاسير من صاحب الرسالة صلى الله عليه و سلم ، فقد كان أعلم الناس برسالته .و قد قال الإمام الشافعي رحمه الله "كل ما حكم به رسول الله صلى الله. عليه و سلم فهو مما فهمه من القرآن.(3)

و في المرتبة الثالثة نجد روايات الصحابة الذين عاشروا النبي الكريم و نهلوا من وحي الرسالة . و ممن اشتهروا بالتفسير عشرة و هم الخلفاء الأربعة أبو بكر الصديق و .....

1-ابن كثيرالحافظ : تفسير القرآن العظيم ،دار الأندلس ،بيروت ،لبنان، ط 8 ،1986 ،ج 1 ص 7

2-المصدر نفسه ص 5

3- السيوطي جلال الدين : التحبير في علم التفسير ،دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1996 ، ص 128

عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب بتفاوت في الرواية بينهم ، إلا أن عليا أكثرهم رواية .

وخامس الصحابة ابن عباس رضي الله عنه ، فقد كان ترجمان القرآن كما سماه ابن مسعود رضي الله عنه(1) ،وكان أجمعهم للحديث و التفسير وينسب إليه كتاب ضخم جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى وسماه " تنوير المقياس من التفسير ابن عباس" وقد طبع مرات عديدة بمصر.(2)

ونقل التفسير عن ابن مسعود رضي الله عنه الشيئ الكثير وكذلك زيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير إلا أنهم أقل رواية ممن سبقهم .

و قد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله :

" و الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيمن نزلت و أين نزلت و لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته " .(3)

قال السيوطي في إتقانه :(اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب و زيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير ، أما الخلفاء الراشدون فأكثر ما روي عنه منهم علي بن أبي طالب ، و الرواية عن الثلاثة قليلة

.....

1- عن محمد بن بشار عن وكيع عن سفيان بن الأعمش عن مسلم قال : قال عبد بن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس " .أنظر : إبن كثير الدمشقي : المصدر السابق ،ج 1 ص 8 .

2-يشك الكثير من الباحثين في نسبة التفسير لابن عباس و منهم عبد المنعم النمر إذ يقول :أما تفسيره الذي عرف باسمه و المسمى " تنوير المقياس في تفسيرابن عباس ..هذا التفسير ضعيف الصلة بابن عباس إن لم نقل إنه مما نسب إليه زورا ." أنظر :النمر عبد المنعم : علم التفسير ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،مصر ،ط 1 ، 1985 ص 26

3 -ورد عن أبي كريب عن جابر بن نوح عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق .إبن كثير : المصدر نفسه ج 1 ص 7 .

و كان السبب في ذلك تقدم وفاتهم .(1)

و قد ورد بعض التفسير عن بعض الصحابة عدا هؤلاء العشرة ، إلا أنه نزر يسير ، و منهم أنس بن مالك و أبو هريرة و عبد الله بن عمر و جابر بن عمرو بن العاص و عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

و بما أن التفاسير أخذت مشافهة فإن التابعين أخذوا عن الصحابة ، و اشتغلوا بتفسير كتاب الله لما رأوه من اختلاف الأجناس و الأمم التي وفدت إلى الإسلام ، كما أن بعضهم انتقل إلى الأمصار الجديدة فكان الإلحاح فيها قويا لفهم كتاب الله ، مما دفع ببعض الأعلام من علماء التابعين للخوض في مجال التفسير بالمأثور ، فكانت ثلاث طبقات تسير على نفس النهج ، وهي طبقة أهل مكة و هم أعلم الناس بالتفسير و منهم مجاهد الذي روى عن ابن عباس و كذلك فعل عطاء بن أبي رباح و سعيد بن جبير ، و اشتهر منهم طاووس بن كيسان بالعلم و الرواية إذ أدرك نحو خمسين صحابيا أخذ عنهم أصول الدين .(2)

كما نجد قتادة بن دعامة وهو من رواة ابن مسعود ، واعترف له ابن سيرين بالضبط و الحفظ ، أما الحسن البصري أبو سعيد فقد عرف بالعلم و التقوى و كذلك عرف عطاء أبن أبي مسلم الخراساني ، إلا أنه اختلف في الأخذ عنه لإصابته بسوء

الحفظ ، و بعد عصر التابعين جاء عصر تابعي التابعين في القرن الثاني للهجرة ، و قد عرف التدوين في عصرهم فهمت طائفة منهم يفردون فصولا للتفسير ضمن أبواب

.....

1 –الزرقاني محمد عبد العظيم : المرجع السابق ، ج 2 ص15

2 –إبن تيمية : أصول التفسير ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1996 ،ص 42

حبان في البحر و النهر ومنهم من نحا وجهة التاريخ وقصصه أمثال الثعالبي ، ومنهم من خص باستنباط الأحكام الفقهية مثل القرطبي وبذلك ظهرت مدرسة جديدة في التفسير تدعى مدرسة التفسير بالرأي وهي نتيجة منطقية لما عرفته الأمة الإسلامية في عصر بني العباس من ازدهار في مختلف المعارف و العلوم .

و عموما فقد قسم التفسير بالمأثور إلى أربعة أقسام هي :

1 –تفسير القرآن بالقرآن .

2 – تفسير القرآن بالسنة .

3 –تفسير الصحابة للقرآن .

4 –تفسير التابعين للقرآن .

أما تفسير القرآن بالقرآن فلأنه يفسر بعضه بعضا ، و أشهر من اشتهر به الشيخ الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي الذي التزم بالتفسير بالقرآن من أول سورة إلى آخرها .

كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفسر بعض الآيات ويبين الأحكام منها ، فقد روى طلحة بن عبد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قوله تعالى : "غير المغضوب عليهم " قال : هم اليهود .

– "ولا الضالين " قال : النصارى هم الضالون " (1)

.....

1–رواه حماد بن سلمة عن السماك عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم .أنظر : ابن كثير الحافظ : المصدر السـابق ج 1 ص53

أما عصر التابعين فقد انتشر فيه التأليف و التدوين ، و كانوا في ذلك يجمعون بين آثار الرسول (صلى الله عليه و سلم) و الصحابة (رضوان الله عليهم) ثم يبسطون أراءهم الثاقبة حول مضامين الآيات القرآنية ، ثم أدركهم عصر تساهلوا في قبول المرويات من الآثر و لم ينسبوها إلى قائليها ، فتسرب الموضوع من الحديث و الأخبار الباطلة مما أفسد التفسير .

يقول ابن كثير : "و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للإستشهاد لا للاعتضاد ، فإنها على ثلاثة أقسام أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح و الثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه و الثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل و لا من هذا القبيل ." (1)

1 -2 -أنواع التفسير بالرواية :

يقسم التفسير بالرواية إلى نوعين هما :

أولا : ما توافرت الأدلة على صحته و قبوله و هذا لا يليق بأحد رده و لا يجوز إهماله و إغفاله ، و لا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدي القرآن ، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل بالاهتداء بالقرآن ، و من ذلك التفسير بالسنة و أقوال الصحابة.

ثانيا : ما لم يصح لسبب من الأسباب ، و هذا يجب رده و لا يجوز قبوله و لا الاشتغال به ، و هو ما أفسده الدخيل و الموضوع من الأحاديث و الأخبار .(2)

.....

1 -ابن كثير الحافظ :المصدر السابق ج 1 ص 8

2-إبن القيم الجوزية :أعلام الموقعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1996 ،ج 1 ص 41

1 -3 -طبقات المفسرين بالمأثور :

يمكن حصر طبقات المفسرين في ست و هي :

1 -طبقة أهل مكة : و أشهر مفسريها ابن عباس رضي الله عنه ، و اتبع نهجه كل من مجاهد عطاء و عكرمة طاووس و سعيد بن جبير من التابعين .(1)

2 – طبقة أهل المدينة : و يتصدرها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بتفسيراته و نظراته في دلالات الآيات القرآنية ،و سار على نهجه محمد بن كعب القرظي و أبو العالية الرياحي و زيد بن أسلم .(2)

3 – طبقة أهل العراق : و أول من ورد عنه تفسير في هذه الطبقة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث روي عنه الكثير. كما اشتهر من هذه الطبقة من التابعين الحسن البصري و مسروق بن الأجدع و قتادة بن دعامة و عطاء بن أبي مسلم الخراساني و مرة الهمذاني .(3)

4 -طبقة أهل الشام : و اشتهر منها أبو الدرداء الأنصاري .

5 -طبقة أهل مصر : و عرف منها عمرو بن العاص رضي الله عنه .

6 -طبقة أهل اليمن : و كان معاذ بن جبل رضي الله عنه رائدها .(4)

و يؤكد ابن تيمية في أصوله على أهمية هذه الطبقات في تطوير علم التفسير على أن يكون علما مستقلا يتتبع النص القرآني بالشرح و التحليل.

.....

1 -إبن القيم الجوزية : المصدر السابق ، ج 1 ص 19

2 – نفس المصدر ج 1 ص 18

3-الصابوني محمد علي : التبيان في علوم القرآن ، دار البعث قسنطينة ،ط 3 ،1986 ، ص 163

4 -السيوطي : المصدر السابق ، ج 2 ص 190

" و أما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح ،و عكرمة مولى بن عباس و غيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس و أبي الشعثاء و سعيد بن جبير و أمثالهم ، و كذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود .. و علماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم و الذي أخذ عنه مالك التفسير ، و أخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن ، و أخذه عن عبد الله بن وهب " .(1)

و يمكن القول إن الطبقات السابقة من المفسرين كانت ترتكز كلها على طبقة عليا لها الفضل الكبير في الحفاظ على النص القرآني من التحريف و التزييف ، وهي طبقة الصحابة .

7 –طبقة الصحابة :

أول من اشتهر بالتفسير و اشتغل به الصحابة رضوان الله عليهم ، و هم بالتحديد عشرة منهم الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب ثم ابن مسعود و ابن عباس و أبي بن كعب و زيد بن ثابت و أبو موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير .(2)

2 – التفسير بالدراية :

وفيه يلجأ المفسر إلى فهمه الخاص لاستنباط شرح أو بيان آي الله الحكيم ، دون الرجوع إلى تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير الرسول صلى الله عليه و سلم أو أصحابه، و قد تحرج العلماء و الصحابة في القول برأيهم في تفسير آيات الله فيما لا علم لهم به،

.....

1– إبن تيمية : المصدر السابق ص 42

2 – الزرقاني محمد عبد العظيم : المرجع السابق ص 20

أما من تكلم وله أدلته العقلية و النقليه وكذا العلم باللغة و الشرع ، فلا يؤاخذ على أقواله لأن الله سبحانه يأمر عباده بفهم آياته وتدبرها ولا يكون ذلك إلا بعد التوضيح و الفهم و الشرح ،و يكون فيه المفسر معذورا.(1)

كما أن عزوف الصحابة ذاتهم عن القول في تفسير آيات الله برأيهم ،إنما مرده التقوى و الورع أن لا يصيبوا القول يقينا ، كما يحتمل أنهم تصدوا لشرح و تبيين أشياء لم يعرفوا لها صوابا ، أما ما عرفوا له الصواب وامتنعوا عن القيل فيه فيكون بمثابة كتمان للعلم .

ومن ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال :

"**أي سماء تظلني و أي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأي أو بما لا أعلم** ".(2)

وقد عرف القرن الثالث للهجرة حركة تصنيف واسعة في مجال التفسير باعتباره علما مستقلا عن الحديث يراعى فيه الاستعانة بالعلوم الشائعة التي عرفها التطور الفكري و العلمي في ذلك العصر ، فمن أهم و أشهر التفاسير نذكر تفسير الجلالين وهما جلال الدين المحلى و جلال الدين السيوطي ، فقد توفي جلال الدين المحلى بعد أن أتم تفسير سورة الفاتحة و تعرض إلى سورة الكهف إلى غاية سورة الناس ، و أكمل السيوطي التفسير بداية من سورة البقرة إلى الإسراء .

ومن أشهر التفاسير" مدارك التنزيل وحقائق التأويل " للنسفي و" لباب التأويل في معاني التنزيل " للخازن ،و "أنوار التنزيل وأسرار التأويل " للبيضاوي، و " البحر المحيط " لأبي حيان و" روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني " للألوسي .

.....

1 – صالح محمد أديب : تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،ط 3 ،1984 1 ص 67

2 –رواه شعبة عن سليمان بن عبد الله بن مرة عن أبي بكر الصديق ، أنظر : تفسير ابن كثير ، ج 1 ص 11 .

إن اختلاف العلماء وتباين آرائهم حول التفسير بالرأي نابع من منهج التفسير ذاته فمن تعرض إلى كلام الله بالشرح بالرجوع إلى أحوال اللفظة(1) من حيث اللغة و الصرف والاشتقاق مع الاستناد على معناها زمن نزولها و إرداف ذلك بالبحث في جانب الإعراب و البلاغة مقدما المعنى الحقيقي على المجازي وملاحظة سبب النزول مع مراعاة سياق الآيات و العمل بقانون الترجيح في حالة تعدد الاحتمالات ، فكان المفسر بهذا أكثر بعدا عن الشطط وقربا من الصواب ، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ، وبهذا يكون التفسير بالرأي إما زائغا عن الصواب أو متحريا الصدق و الحقيقة ، وكلاهما تفسير منفصل عن الأخر ، ويمكننا أن نصنف ضمن النوع الأول تفاسير المعتزلة من الفرق الدينية و الباطنية و الشيعة وكذلك التفسير الإشاري الذي يعده بعضهم نوعا منفردا أما تفسير الكشاف لمحمود بن عمر جار الله الزمخشري (467 – 538 هـ) فقد كشف عن جماليات القرآن من الجانب اللغوى ثم البلاغي إلآ أنه أفرط في الاتيان بحججه الإعتزالية ، ومع ذلك يعد أحسن تفسير في مجال الإعتزال وقد ذكره ابن خلدون :

" ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير ، كتاب الكشاف للزمخشري ، من أهل خوارزم العراق إلآ أن مؤلفه من أهل الإعتزال في العقائد ، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة ،حيث تعرض له في آي القرآن من طريق البلاغة ، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكانته مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان و البلاغة "(2).

ورغم اعتزالية الزمخشرى فإنه أبدع في مجال التفسير بالربط بين الجانب البياني من بلاغة ومعان وبين المجال اللغوي ليكون بذلك أول مؤلف يربط التفسير بالمجال الفني

.....

1– الرزقاني : المرجع السابق ص 60

2 –ابن خلدون : المقدمة ، دار الكتب العلمية بيروت ،2003 ، ص 349

الأدبي ، وقد عرف العصر الحديث محاولة جادة في هذا المنحى من الدراسات قامت بها الدكتورة عائشة عبد الرحمان في محاولتها للتفسير البياني في القرآن وهي محاولة هامة لتذوق المناحي الأدبية في القرآن الكريم .

بيد أن الزمخشري في كشافه يظهر لنا خصائص جديدة يسنها في مجال علم التفسير منها الإعتدال في الشرح بلا حشو ولا تطويل ، كما أنه يسلك مسلك السؤال و الجواب في نقاشه للأمور الهامة التي تستدعي الشرح و البيان فيطرح السؤال بقوله (إن قلت) ثم يجيب (قلت) وهكذا ..، على أن أعظم خاصية له هي سلامة التفسير من التحريف في القصص القرآني وسلامتها من الاسرائيليات ، وهي علة سقط فيها العديد من المفسرين بداية بعهد التابعين لأخذهم الرواية عن بعض المسلمين من أهل الكتاب أمثال عبدالله ابن سلام ووهب بن المنبه وكعب الأحبار فامتزجت الثقافة اليهودية بالإسلام وكذلك المسيحية .(1)

ومن التفاسير التي حوت أكبر نسبة في الشرح بالرأي نجد أشهرهم من نار على علم فخر الدين الرازي بمؤلفه " مفاتيح الغيب " ، وهو يعد بحق موسوعة في علم الكلام وفي الطبيعة و العلوم الرياضية و الفلكية و الفلسفية كما يعرج على مذاهب الفقهاء واختلافاتهم .

بناء على ما قيل يمكننا تقسيم التفسير بالرأي إلى نوعين هما :

1) تفسير محمود مشروع : و هو الموافق لتعاليم الشريعة الإسلامية البعيد عن الجهالة و الضلالة ، و يشترط فيه المطابقة مع قواعد اللغة العربية .

.....

1 –الزمخشري جار الله :الكشاف عن حقائق التنزيل ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،ج 2 ، ص 3

2) تفسير مذموم و باطل : و هو التفسير النابع عن الهوى ، و صاحبه يجهل قوانين اللغة العربية ، أو عالم بها و لكنه يحمل القرآن مذهبه أو بدعة ضالة .

2-1 -تفسير الشيعة :

لم يكد ينتصف القرن الأول من ظهور الإسلام حتى ابتليت الأمة الإسلامية بظهور فرق دينية مختلفة ومتنافرة ، بلغت أكثر من سبعين فرقة فيما بعد ، وكان من بينها المذهب الشيعي الذي أسرف أتباعه في حب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، و اتخذوا مبادئ خاصة تعصبوا لها في آرائهم وفقههم ، وتجلى ذلك أيضا في محاولاتهم العديدة لتفسير القرآن الكريم .(1)

وقد خلف لنا المولى عبد اللطيف الكازلاني تفسيرا موسوما "بمرآة الأنوار ومشكاة الأسرار " اشتمل على تفسيرات باطنية غريبة تخرج عن قواعد التفسير المعروف.

2-2 -التفسير الصوفي و الإشاري :

وهما مرتبطان بظهور التصوف الفلسفى النظري في الإسلام ، وهو ظاهرة غريبة في المجتمع الذي عرف التصوف السلوكي المبني على الزهد في الدنيا وصفاء النفس مع الإلتزام بقواعد الدين الإسلامي و أركانه و السير على المبادئه ، إلآ أن بروز فئة من العلماء المتصوفين ذهبوا إلى أنه تتكشف لهم سحب الغيب إثر الرياضة الروحية التي يمارسونها في تعبدهم ،(2) وتجلت بعض هذه الأفكار في محاولاتهم لتفسير القرآن و

.....

1 -الذهبي محمد حسين :التفسير و المفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الجزء الثاني ، ص 3

2 -نفس المرجع ج 2 ص 325

إخضاعه لمنهجهم في التفكير و الاعتقاد ، و بالتالي ظهر التفسير الإشاري للقرآن الذي يتجاوز ظاهر القرآن إلى باطنه لإشارة خفية تتبدى لأهل الزهد و التصوف ، مع الجمع بين المعنى الظاهر و الخفي المستور .

وهذا التفسير أثار خلافا بين العلماء حول قبوله أو رفضه ، فمنهم من رفضه مطلقا مثل الزركشي الذي لايعتبره تفسيرا (1) ، و إنما هي معان و مواجيد تتبدى لهم حين قراءتهم و تلاوتهم للنص القرآني ، و مثل ذلك قولهم معنى الآية الكريمة :
"**يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنوا قَاتِلوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفارِ** " (2)

إن المراد بالذين يلونكم هوالنفس حيث أمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا و أقرب شيء إلى الإنسان نفسه .
و لهذا نجد الزركشي يؤكد :
" كلام الصوفية في القرآن قيل : أنه ليس بتفسير ..."(3)

ومن أهم ما ألف في التفسير الإشاري " تفسير القرآن العظيم " للتسترى و "حقائق التفسير " لأبي عبد الرحمان السلمى الصوفي (لا زال مخطوطا) وكذلك "عرائس البيان في حقائق القرآن " لأبي محمد الشيرازي و" التأويلات النجمية " لنجم الدين داية وعلاء الدين السمناني (وهو مخطوط) وأيضا التفسير المنسوب للمتصوف المشهور ابن العربي عبدالله بن محمد الفقيه المحدث (ت638 هـ) .

.....

1 –الزركشي : المصدر السابق ج 2 ص170

2 –التوبة الآية 123

3 –الزركشي : المصدر نفسه ج 2 ص 171

وظهرت قبل هذه التفاسير مؤلفات مشهورة لمفسرين مشهورين ضمنوها المنهج الإشاري منها تفسير النيسابوري الذي تميز بسهولة التعبير و تحقيق الروايات مع التزامه الاختصار و الكلام على التفسير الإشاري في آخر حديثه عن معاني الآيات .

وكذلك نجد من التفاسير المشهورة " روح المعاني " للعلامة شهاب الدين الألوسي المتوفي 1270 هـ ، وهو تفسير جامع ذكر فيه روايات السلف مع أراء الخلف وضمنه ما يشرح بظاهر العبارة وما يفهم عن طريق الإشارة .

2-3 -التفسير الفقهي :

بعد اتساع رقعة الإسلام في الأمصار المجاورة لشبه الجزيرة العربية ، واختلاف الأجناس و الشعوب المسلمة نتجت قضايا جديدة لم يعرفها المجتمع الإسلامي في هذه العهود من ظهور الرسالة المحمدية ، فكان لزاما على الفقهاء أن يتصدوا لحل ما أشكل على المسلمين في حياتهم ، وكانوا في ذلك يستنبطون الأحكام من المصدر الإلهي الأول وهو القرآن الكريم ، فانبرت طائفة منهم تفسر القرآن بما يتوافق مع أسس الفقه الإسلامي باستنطاق النص وإصدار الأحكام الفقهية المناسبة لما يشير إليه النص القرآني ، فكان تفسير جديد واضح المعالم هو التفسير الفقهي ،و مما زاد من أهمية هذا النوع من التفسير أنه اعتبر شكلا جديدا من الإجتهاد ، و هو بذلك تفسير محمود ترضى عنه الشريعة و تثمنه .(1)

.....

1 -صالح محمد أديب : المرجع السابق ،المجلد 1 ص 61

ومن أشهر ما ألف في التفسير الفقهي أو تفسير نصوص الأحكام نجد :

1) أحكام القرآن للجصاص وهو حنفي المذهب .
2) أحكام القرآن للكياهراس ، و هو حنفي المذهب .
3- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي وهو مالكي المذهب .
4- أحكام القرآن لابن العربي وهو كذلك من علماء الأندلس المالكيين.
5- الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي .
6- تفسير آيات الأحكام لمناع القطان .
8- أضواء البيان للشيخ محمد الشنقيطي.
9- فتح القدير للشوكاني .

2-4 -التفسير الحديث :

يمكن القول إن الاتجاهات التي عرفها التفسير منذ عصوره الأولى نتيجة الصراعات المذهبية و الخلافات المنهجية ، لم تلق صدى في العصر الحديث نظرا لاختلاف الأحداث و الظروف التي مرت بالأمة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر .(1)

وبرزت مذاهب في التفسير وجدت إثر هذه الأحداث ، أولها التفسير بالمأثور الذي تتصل جذوره بأصول التفسير ، وقد كان حلقة وسطى بين تفسير السلف و التفسير الحديث ، ويعتبر الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي (1866-1914) صاحب تفسير محاسن التأويل ، أحد رواد هذا الاتجاه، وقد اهتم فيه بأقوال المفسرين السابقين

.....

2 -المحتسب عبد المجيد عبد السلام : إتجاهات التفسير في العصر الراهن ، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ط 3 ، 1982 ، ص39.

له أمثال ابن جرير الطبري وجار الله الزمخشري و الراغب الأصفهاني و الفخر الرازي وكذلك ابن القيم الجوزية و أبو حيان التوحيدي الأندلسي وأبن عطية الأندلسي و القرطبي و البيضاوي ، مع تركيزه في كل هذه الآراء على أقوال ابن كثير بإيرادها حرفيا ، كما أنه يهتم بإيراد الأحاديث النبوية الشريفة ، فلا يخلو توضيح من الحديث ، ويرجع ذلك إلى أن القاسمي من علماء الحديث وقد صدر له كتاب " قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث " (1961) أما تفسيره فقد ضمنه سبعة عشر جزءا .وفي نفس مجال التفسير بالمأثور صدر في نصف الثاني من القرن العشرين التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب المصري (1967) وبلغ ستة مجلدات يضم كل منها ستة أجزاء ، يتبع فيها منهجية التفسير بالمأثور حيث يورد السورة فيبين سبب نزولها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها وأسمائها ثم يحشد لها الآيات المناسبة التي تزيد في جلوها وإيضاحها ، كما يربط الآية اللاحقة بالسابقة .

و قد ورد في مقدمة التفسير: " إننا في صحبتنا هذه للقرآن لا نقيم نظرنا على غير كلماته وآياته...و إنما نحن نرتل آيات الله ترتيلا ،آية آية أو آيات آيات ..ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة ، لما تطالعنا به الآية أو الآيات ،من عجب و دهش و روعة ،ثم نمسك القلم ، لنمسك به على الورق بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب و الدهش و الروعة. " (1)

أما المذهب الثاني فينحو إلى التفسير العلمي للقرآن وهذا الاتجاه عرف عند السلف ولكنه تطور بشكل جلي نظرا للتطور العلمي الذي شهده القرن العشرين وقد كان تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ الطنطاوي الجوهري ملفتا للنظر بإفراطه في .....

1 – القاسمي محمد جمال الدين :محاسن التأويل ، دار الفكر ، بيروت ،لبنان ، 1979، ج 1 ص11

التفسير العلمي للآيات القرآنية بل يمكن القول إنه تعسف في ذلك إلى درجة الإساءة ، لذا لم يلق قبولا لدى المثقفين .

يقع التفسير في خمس و عشرين جزءا ، يقول صاحبه في المقدمة موضحا منهجيته في التفسير: " فإني خلقت مغرما بالعجائب الكونية معجبا بالبدائع الطبيعية ، مشوقا إلى ما في السماء من جمال، و ما في الأرض من بهاء و كمال ، آيات بينات و غرائب باهرات .. ثم إني لما تأملت الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية ألفيت أكثر العقلاء وبعض جلة العلماء عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين ، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم ، وما أودع فيها من الغرائب ".(1)

ويذهب المفسر أبعد من ذلك حين يصرح أن هذا التفسير نفحه ربانيةو إشارة إلهية قدسية فيسمى الأبواب أو الفصول جواهر مثل الجوهرة الأولى و الجوهرة الثانية إلى غاية آخر جوهرة ، وتتفرع عن الجوهرة الماسة الأولى و الثانية وهكذا ، فيبدأ بالتفسير اللفظي للآيات ويتبعها بالشرح و الإيضاح العلمي متوسعا في أفنانه الحديثة كما ينقل عن إنجيل برنابا ويورد بعض أراء الشيخ محمد عبده الإصلاحية ، بيد أنه يضع في التفسير صور النباتات و الحيوانات ومناظر الطبيعية و الإحصاءات و الجداول العلمية. ويتحامل على التفاسير القديمة.

" إن دراسة القرآن في العصور الخالية كانت تكلفية ، وقراءة سطحية ، وعلوما لفظية ، فعكف

.....

1- طنطاوي جوهري :الجواهر في تفسير القرآن الكريم ،مطبعة مصطفىالبابي الحلبي ، القاهرة ،ج 1 ص2

الناس على الألفاظ ، وكثر الحفاظ وقل المفكرون ، فجمدت القرائح وماتت العلوم .. أيقظوا العقول أيها العلماء .هأنذا أقول : نحن أمة عربية ، فلندرس القرآن الذي ورثناه درسا يناسب الجيل المقبل " (1)

و يقرر المفسر أن القرآن الكريم يحتوي على ما يربو على سبعمائة وخمسين آية حول العلوم الكونية ، لذا يدعو المسلمين لتدبر هذه الآيات لما لها من أولوية في فهم الدين الإسلامي. (2)

و المذهب الثالث في التفسير الحديث هو التفسير الاجتماعي و الحضاري الذي ظهر إثر الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ جمال الدين الأفغاني وبعده الشيخ محمد عبده الذي تمكن من تفسير القرآن الكريم في حلقات المساجد ، مركزا فيها على مسايرة الإسلام للحضارة الحديثة و علاجه لمشاكل الحياة المعاصرة ، وكان من تلاميذ الشيخ محمد عبده السيد محمد رشيد رضا الذي كان أحرص التلاميذ على تلقي دروس تفسير الشيخ محمد عبده ، فجسدها على شكل تفسير سماه" تفسير القرآن الحكيم " واشتهر بعد ذلك بتفسير المنار " وذلك نسبة إلى مجلة كان يصدرها وهي المنار ووافته المنية قبل أن يكمل التفسير الكامل للقرآن الكريم حيث انتهى عند سورة يوسف الآية 101 وجمع في اثني عشر مجلد كبير .

وكان السيد رشيد رضا ينتهج نهج أستاذه الشيخ عبده الغني بالتفسير بالمأثور وبقواعد اللغة العربية ثم يعرج على مشكلات العصر ويرد بذلك على شبهات الإسلام ، معالجا .....

1 – طنطاوي جوهري : المصدر السابق ج 2 ص 203

2 – المصدر نفسه ج 2 ص 207

الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي انتابته ويسير في كل ذلك على أسلوب بديع سهل العبارات واضح المعاني خال من الغموض .

ويرحل الشيخ رشيد للقاء ربه قبل إتمام تفسيره ولكن يقيض الله رجلا أخر يسير على خطاه يطور المنهج ويوضح معالمه ويتمثل هذا في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن " الذي يعد بحق مصنفا شاملا لشؤون الحياة على ضوء ما يوضحه القرآن الكريم . يتبع السيد قطب طريقا خاصا في التفسير يستهله بظلاله في مقدمة السورة المراد تفسيرها فيربط بين الأجزاء محاولا توضيح الأهداف ويعتمد في بداية التفسير على المأثور الصحيح ويشير بصفة عابرة إلى الجوانب اللغوية مركزا على ربط الآية بالحياة لإيقاظ الوعي وتصحيح المفاهيم .(1)

وهكذا عرف علم التفسير في العصر الحديث مناهج شتى لم تخرج عن إطار التفسير بالمأثور ثم التفسير الموضوعي سيرا على خطى مدرسة الشيخ محمد عبده ، إذ ألفينا مجموعة من العلماء يسيرون على نفس النهج أمثال الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح بالجزائر في تفسيره (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ، وقد أتم ابن باديس ختم تفسيره في حلقات الدرس التي كان يقيمها قبيل وفاته ، وكان يصرح بأنه يتبع منهج محمد عبده و يأخذ عن الفخر الرازي في معظم أرائه بما يوافق المأثور و المعقول .(2)

.....

1- قطب سيد : في ظلال القرآن ، دار الشروق ،بيروت ، لبنان ، ط 11 ،1985 ، المجلد 1 ص 15

2 -إبن باديس عبد الحميد : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 1982 ، ج 1 ، ص 49

وعرف التفسير عدا هذين الاتجاهين اتجاها جديدا يمثله الشيخ محمد عزة دروزة النابلسي الفلسطيني بتفسيره المشهور الموسوم بالتفسير الحديث إذ اتبع فيه ترتيبا جديدا للمصحف الشريف حسب النزول بحيث كانت أول سورة هي العلق ثم القلم ثم المزمل على مستوى السورة المكية ثم سورة البقرة و الأنفال بالنسبة للسور المدنية ، وقد رأى المفسر أن هذه الطريقة في ترتيب السور هي الأفضل لفهم القرآن الكريم وخدمته مع المتابعة الدقيقة لسيرة الرسول صل الله عليه وسلم في كل أطوار بعثته ، وبهذا يمكن للقارئ أن يندمج في الجو الروحي للقرآن و تتجلى له حكمته ، وقد انتاب المؤلف بعض الشكوك فيما إذا كانت هذه الطريقة في التفسير تمس بقدسية القرآن الكريم ، إلى أن استقر رأيه على هذا المنهج كون المؤلف لا يعتبر إلا تفسيرا وليس كتابا مقدسا فلا صلة له بالقرآن إلا بالتعدي من حيث اعتباره تفسيرا أو توضيحا وبيانا له .(1)

2-5 -التفسير المعاصر: (2)

لقد تطور علم التفسير منذ نشأته إلى العصر الحديث دون الخروج عن مناهج ثلاثة هي التفسير بالمأثور و بالرأي و التفسير الموضوعي ، و لا تزال هذه المناهج غاية عصرنا الحديث سائدة مسيطرة على منهجية تفسير النص القرآني المقدس .

و لم يبق الباحثون بمنأى عن التيارات و الاتجاهات المختلفة النابعة من الفكر الغربي الحديث ،و بخاصة العلوم المتعلقة بتفسير و فهم النصوص الدينية ، إذ أقبل مجموعة منهم على محاولة تطبيق المناهج الحداثية لتفسير النص القرآني ، رغم الإجماع على حظر تطبيق تلك المناهج البشرية على النص القرآني ، لكونه يختلف جوهريا عن

.....

1 -محمد عزة دروزة : القرآن المجيد ،منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ص 142 .

2 -الحاج ابراهيم عبد الرحمن : المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم ، مجلة رسالة المسجد ، ع 1 ، أوت 2003 ،الجزائر ، ص 5

النصوص البشرية التي طبقت عليها المناهج الحداثية ، فالنص القرآني يصنف ضمن النصوص الدينية ذات المصدر الإلهي الموحى ،كما النظريات الحديثة ليست سلبية في ذاتها،و إنما يكمن ضعفها في محاولة تطبيقها قهرا على النص المقدس. (1)

و لم تبرز تلك الدراسات على شكل دراسة تقليدية تخوض في النص القرآني بتتبع بنيته الطولية ، و إنما اتخذت شكل دراسات تحليلية للنص ، تحاول فك رموزه بالاستعانة بالتأويلية حينا و باللسانيات أحيانا أخرى .

3 -مراحل التفسير :

يمكن تقسيم المراحل التي مر بها علم التفسير حتى يبلغ تأسيسه كعلم مستقل عن علوم القرآن الأخرى إلى أربعة مراحل هي :

3 -1-مرحلة التفسير العملي :

ظهر متزامنا مع نزول القرآن الكريم ، إذ كان الصحابة يسمعون القرآن و يفهمونه ثم يكون حفظهم له بتطبيقه في حياتهم العادية .

3- 2- مرحلة التفسير النظري :

إن بروز التفسير بالدراية و الرأي في عصر التدوين جاء نتيجة لتأثر المسلمين بالثقافات السائدة في العصور الإسلامية الأولى ، لذلك نعته بعض الباحثين بالتفسير النظري .(2)

بيد أن عصر التدوين لم يعرف التفسير بالرأي فقط ، و إنما اتسع فيه تدوين التفسير المأثور كذلك ، إلا أن كثرة التأويلات و شروح النص القرآني اعتمادا على العقل و الرأي كانت أكثر شيوعا ، نتيجة لتأثر العلماء بطبيعة عصرهم .

.....

1 -جهلان محمد بن أحمد :فعالية القراءة و إشكالية تحديدالمعنى في النص القرآني ، صفحات للدراسات و النشر دمشق ، سورية ، ط1 ، 2008 ، ص 288

2 -الشرقاوي عفت : المرجع السابق ، ص 40

3 -3 -مرحلة الركود :

و هي المرحلة التي اكتفى فيها المفسرون بشرح واختصار ما سبق من تفسيرات .

3 -4- مرحلة التفسير التطبيقي :

و ظهرت مع حركات الإصلاح في الوطن العربي في القرنين التاسع عشر و العشرين، حيث سعى المصلحون إلى تفسير للقرآن بالنظر إلى الظروف السياسية و الاجتماعية التي تمر بها الأمة الإسلامية .

4 -مناهج التفسير :

أ -يقسم تفسير القرآن الكريم بالنظر إلى طريقة عرض التفسير و الشرح في المتن إلى قسمين :

4-1 - المنهج الطولي : يتتبع فيه المفسر الترتيب الطولي للسور و الآيات حسب ورودها في المصحف العثماني(1) .و قد يكون التفسير فيه تحليليا بشرح جملة من الآيات أو سورة واحدة أو القرآن كله ، أو قد يكون التفسير إجماليا بتفسير آية أو مجموعة آيات بصفة إجمالية مختصرة .

و نجمل طريقة التفسير في عشر نقاط هي :

1- تجزئة المجموعات و الفصول أو سلسلة من الآيات أو الآية الواحدة إلى جمل تامة يصح الوقوف عندها لاكتمال معناها .

2- الشرح الموجز للتعابير و الكلمات الغريبة .

3- الشرح الإجمالي للجملة مع عرض الهدف منها .

4- الإشارة إلى سبب نزول الآيات مع ذكر ما روي عن محتواها و أحكامها و التعليق عليها .

.....

1 – سعيد عبد الستار فتح الله : المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار التوزيع و النشر الإسلامية،بور سعيد ،ط 2، 1991، ص 16

5- التعرض إلى الرأي الخاص للمعنى فيما يتعلق بمحتوى الآية و أحكامها و أهدافها.
6- ربط الجمل و محتواها مع ا أحداث السيرة النبوية الشريفة فبجلائها يتضح جو النزول و بالتالي مقاصد القرآن.
7- التنبيه في الجمل إلى المميزات الأسلوبية.
عطف الجمل القرآنية ببعضها من حيث السياق أو الموضوع .
9- الاعتماد على الأسلوب الواضح السهل المأخذ مع اجتناب الغريب و الحوشي .
10- التركيز على الموضوعات المهمة و شرحها شرحا وافيا .
يتجلى لنا بهذا أن المؤلف يتجنب الشروح المستفيضة فيما يتعلق بالآيات التي تحوي مفاهيم غيبية.

4-2-المنهج الموضوعي :

و هو تفسير الآيات أو السور المتعلقة بموضوع واحد سواء على مستوى النص القرآني بكامله أو على مستوى سور معينة و محددة ، و لهذا فقد يكون هذا النوع من التفسير إما تفسيرا موضوعيا عاما أو خاصا ، أما التفسير الموضوعي العام فتكون بين أطراف الموضوع وحدة في الغاية و ليس في الهدف مثلما نجد مع تفاسير الأحكام ، فالغاية منها تفسير الأحكام غير أن المواضيع تختلف بين زكاة و صلاة و صيام و حج و حدود ...(1)
أما التفسير الموضوعي العام فيقوم على وحدة المعنى و الغاية مثل الآيات المتعلقة بالإنسان في القرآن الكريم أو العقيدة أو الحرية ...(2)
و يقسم تفسير القرآن الكريم حسب طريقة شرح الايات إلى منهجين هما :

.....

1- سعيد عبد الستار فتح الله : المرجع السابق ص 24

2 -نفسه ص 24

1 -المنهج التاريخي :

أما المنهج التاريخي فيعرض فيه المفسر كل ما سبق من الآراء الواردة في التفسير و يناقشها سواء ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أو الصحابة أو غيرهم ..

2 -المنهج التمثيلي :

في حين يعتمد المنهج التمثيلي على تاويل النصوص بالرجوع إلى العقل أي بالخروج عما ورد عند السابقين ، فقد نقل عن مجاهد أنه فسر قوله تعالى :

" **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ". (1)

بأن المسخ لم يقع حقيقة على الأجسام إنما على القلوب ، فأصبحوا أناسا لهم نفوس القردة ،(2)و قد ظهر هذا المنهج عند جار الله الزمخشري ثم محمد عبده بعده .

أما إذا راعينا نهج المفسر و مدرسته في الشرح و التفسير فنجد :

أ-**المنهج اللغوي** : و هو ثمرة جهود بعض اللغويين في تفسير القرآن ، حيث عكفوا على ألفاظه و تراكيبه يدرسون مبانيها ، و مدى توافقها مع نواميس اللغة العربية ، و من أشهر تفاسيرها إعراب القرآن للزجاج .(3)

ب-المنهج التاريخي :

و يكون بعرض الآراء الواردة في تفسير آية معينة ، سواء ورد التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو غيرهم من العلماء ، و يركز فيه المفسر على الأحداث التاريخية التي تزامنت مع نزول الوحي ، لذا كثر في التفسير الأخبار التاريخية عن سيرة الرسول عليه السلام و الصحابة و الخلفاء ..

و من أشهر التفاسير في هذا المنهج جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.

.....

1- الأحزاب الآية 73

2-العك خالد عبد الرحمان : أصول التفسير و قواعده ، دار النفائس ، بيروت ط 2 ،1986 ، ص 137 .

3 -السيد أحمد عبد الغفار : النص القرآني و ضرورة التفسير ، دار المعرفة الجامعية ، 2003 ، ص 189 .

ج-المنهج الفلسفي :

يرتكز فيه المفسر على الطرح العقلي في الشرح ، و يكون ذلك بالفهم و النظر دون الرجوع إلى الآثار النقلية ، و اشتهر المعتزلة بهذا المنهج ، و من أشهر مؤلفاتهم مفاتيح الغيب للفخر الرازي و الكشاف للزمخشري.

د-المنهج العقائدي :

انتهجه علماء بعض الفرق الدينية والسياسية كالشيعة والخوارج ومن أشهرمن ألف فيه السيد عبد الله العلوي بتفسير القرآن والشوكاني بفتح القدير .

ه-المنهج الفقهي :

يركز فيه المفسر على آيات الأحكام بغرض استنباط ضوابط الشريعة الإسلامية في ميادين الحياة المختلفة ، غير أن معظم التفاسير تخوض في الخلافات المذهبية مما يحيل النص القرآني إلى مجرد نص تشريعي خال من العقيدة و مجالات الوجود المختلفة .(1)

و قد برز في هذا المجال الجصاص و ابن العربي بأحكام القرآن و القرطبي بالجامع لأحكام القرآن .

و-المنهج الصوفي :

وهو منهج بعض العباد المتصوفين ، الذين خاضوا في مجال التفسير بما يوافق منهجهم في العبادة ، فمنهم من أعطى نظرات جزئية ومنهم من أكمل تفسير القرآن .و أشهرهم

.....

1 -السيد أحمد عبد الغفار : المرجع السابق ص 221

سهل التستري بتفسير القرآن الكريم ، و عبد الرزاق القاشاني بتفسير ابن العربي و المعروف بتأويلات القاشاني .(1)

ز-المنهج العلمي :

و يعتمد فيه على النظرات العلمية لتفسير الآيات المرتبطة بالعلوم الكونية ، كما يعتمد فيه على بعض الآيات القرآنية لتفنيد بعض النظريات العلمية ، و في حالة التعارض يبقى النص القرآني على حاله لتفادي التناقض بين القرآن و العلم .

و منه الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي الجوهري .

ح-المنهج الإصلاحي :

و هو منهج حديث ارتبط بدعوات الإصلاح في الوطن العربي ، فلجأوا إلى التفسير ليبلغوا هدفهم الرامي إلى تغيير أوضاع المجتمع بإصلاح العقول و الأجسام ، فكان لزاما عليهم تفسير القرآن بما يتوافق حياة المسلم في العصر الحديث .

و من هذه التفاسير نذكر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا و في ظلال القرآن لسيد قطب.

ط-المنهج الفني :

و قد لجأ فيه بعض المفسرين إلى تتبع مناحي الجمال الأدبية و الفنية في القرآن ، بإظهار الأساليب الأدبية و شرحها بما يتوافق و الدراسات الأدبية القديمة و الحديثة .و أول ما ظهر هذا المنهج عند الزمخشري بطريقة جزئية ، ثم عند عائشة عبد الرحمان بصفة شاملة من خلال التفسير البياني للقرآن.

ي-المنهج الموضوعي :

و يتم فيه رصد المواضيع المطروحة في النص القرآني ، ثم يكون الشرح على شكل

.....

1 -السيد أحمد عبد الغفار : المرجع السابق ، ص 195 .

موضوعات متفرقة و منفصلة عن النص القرآني ، و قد يكون التفسير جزئيا يبنى على تتبع الآيات المتشابهة .

و من هذا التفسير نجد الدستور القرآني في شؤون الحياة لعزة دروزة و القرآن و قضايا الإنسان لبنت الشاطئ.

ك –المنهج التاريخاني :

و هو من المناهج الحديثة التي حاول بعض الباحثين المحدثين تطبيقها على النص القرآني ، حيث يرون إن تفسير النص القرآني يجب أن يرتبط بتاريخ صدوره ،فلا يسمح بفصل النص عن تاريخه ، لذلك وجدنا نصر حامد أبوزيد يحاول فهم الوحي القرآني بربطه بمراحل نزوله بين المكي و المدني ، بحيث أن الأحداث التي مر بها الرسول صلى الله عليه و سلم هي التي ساهمت في وجود النص ، كما أن حوار النص مع واقع المسلمين ، هو السبب الحقيقي في اكتمال النص ، وبالتالي لا يمكن فهمه إلا بالإحاطة بواقعه التاريخي .(1) و بهذا يحصر أصحاب الاتجاه التاريخاني النصوص المقدسة ضمن إطار تاريخي محض ، فيغدو النص نتاج منطقي لوقائع تاريخية ، وإن محاولة قراءته قراءة لاهوتية ذات بعد غيبي تعيق تفسيره و تعطل عملية تلقيه و فهمه موضوعيا ، بما يناسب الأفكار و الاتجاهات المعاصرة ، بهذا يسقطون عامل الوحي و يثبتون حداثة النص القرآني .(2)

ل – المنهج اللسانياتي :

يذهب أصحاب هذا المنهج إلى اعتبار النص القرآني نصا لغويا ، و يسعون إلى تطبيق النظريات اللسانية الحديثة للتوصل إلى دراسة لغته بطريقة علمية موضوعية ، و البحث عن القوانين التي تتحكم في تكوين اللغة القرآنية و مميزاتها ، و من دعاة

.....

1-عبد الرحمن الحاج براهيم : المرجع السابق ص 14

2 -جهلان محمد بن أحمد : المرجع السابق ص 285

هذا الاتجاه محمد أركون الذي نادى بتأسيس لسانيات اللغة الدينية ، او لسانيات الكتب المقدسة ،و ذلك بدراسة الخصائص اللغوية للنص القرآني و قد سماها "الوظيفة النبوية "، بتحديد بنية العلاقات بين الضمائر أو الأشخاص داخل الآية الواحدة أو النص الواحد أي مجموعة آيات ، ووصف التركيبة المجازية للخطاب القرآني ، و كذلك دراسة البنية الزمكانية الأسطورية للنص ، فالقصص القرآني هو عبارة عن حكايات أسطورية ،(1) و من الخصائص اللغوية للنص أيضا ما يسميه محمد أركون " المنظور الأخروي للقيم السيمانتية " و يريد بها علاقة المضمون الديني للنص القرآن بشكله اللغوي و الأسلوبي .(2)

و قد حاول الباحث محمد أركون تطبيق منهجه اللساني السيميائي التاريخي على النص القرآني و بالتحديد على سورة التوبة ، و بين أن الدراسة اللسانية السيميائية الدلالية للنص القرآني تفرض الفصل بين العقائد الإيمانية الموروثة و الأحكام الثيولوجية و بين قارئ النص ، بغية الوصول إلى تحليل موضوعي علمي للخطاب القرآني ، و لذلك تكون القراءة إما تزامنية ، يسعى فيها القارئ إلى دراسة معاني النص حسب دلالات العصر الي أنشا فيه ، أو تطورية لغوية بتتبع التغيرات التي تطرأ على معاني حسب العصور التالية لوجوده إلى غاية عصرنا الحاضر .(3)

و يصرح الباحث محمد أركون أن منهجه اللساني في دراسة اللغة الدينية و النصوص المقدسة لن يحيط به القارئ إلا بترصد كافة مؤلفاته ، نظرا لحداثة العلم و جدته ، مما يفرض على المؤلف مسايرة المنهج للدراسات اللسانية الحديثة .

.....

1 – أركون محمد : أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الساقي ، ط 1 ، 1993 ،بيروت ، لبنان ، 83 .

2 – المرجع السابق ص 13 .

3 – أركون محمد : الفكر الإسلامي قراءة علمية ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص 90

المبحث الثاني –الاتجاه النقدي في التفسير و الترجمة :

تروم محاولات بعض الباحثين المسلمين في ميدان تأويل النص و تفسيره ، التأسيس لمنهج موضوعي لقراءة القرآن الكريم بوسائل مرتبطة بالنص ذاته وليست خارجة عنه ، مما يؤثر لا محالة على تفسير النص الدائم ، حيث لم و لن تنقطع إسهامات المفسرين للولوج إلى خبايا النص القرآني ، و كل محاولة لتحديد دلالات نهائية واحدية للنص قد تؤدي إلى متاهات و انزلاقات دلالية لا حصر لها .(1)

و يرتبط مترجم النص القرآني بمفسره ارتباطا وثيقا ، فالنصوص الدينية تعد منبعا لتفسيرات متعددة و تأويلات متباينة عند أصحاب اللغة الأصل ، فيكون بذلك عمل المترجم مكملا للمفسر أو ناقلا له .

إلا أن أصحاب الترجمات المتعددة للنص القرآني ، قد اعتمدوا على تفاسير محددة ، و لكن حسب ميولهم ، و لهذا اختاروا معان مضبوطة دون غيرها من المعاني في نفس المصدر مع تعددها .

فإذا كان التفسير يفرض على المترجم اللجوء إلى المصادر المساعدة لتحديد مستويات التفسير فإننا لا نكاد نعثر على إشارات تحيل على مظان التفسير عند بعض المترجمين الغربيين و بخاصة الفرنسيين منهم ، باستثناء ريجيس بلاشير و جاك بيرك .

إن هذه الخطوة حتمية إجرائية في عمل المترجم تمكنه من إدراك المستويات الدلالية للنص المصدر، ليخرج بتفسيره الخاص الذي يحتمل التقابل و الاختلاف مع سابقيه لتحديد نقطة الارتكاز لصياغة جديدة بلغة جديدة للنص المترجم .

.....

1–إيكو أمبرتو : التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1992 ،ص 33

ولذا يمكن القول إن الاستناد على تفاسير بعينها و اختيار دلالات بذاتها هي عملية فردية تمليها عليه قدراته الفردية المرتبطة بمدى إتقانه للغات المختلفة ، وما تختزل من مفاهيم اجتماعية ودينية و فكرية وفلسفية .و تبقى محاولة ترجمة القرآن الكريم رهينة فهم التفاسير المختلفة للخوض في مرحلة قبلية للترجمة .

وقد نبه الكثير المفسرين منذ العصر الإسلامي الأول بخطورة تحريف مضامين النص القرآني ، بل إن بعضهم لجأ إلى عملية نقدية صارمة للحفاظ على قدسية النص القرآني و التفسير .

فقد نبه الإمام أحمد بن حنبل على هذه القضية ،حين صرح بأن بعض الآثار الـــواردة في تفسير الآيات القرآنية مشكوك في صحتها .

" ثلاثة ليس لها أصل :التفسير و الملاحم و المغازي" (1)

و الغالب أن المراد بالتفسير ما كان خاصا بالقصص القرآني وملاحم العرب ومغازيها التي ليس لها سند تاريخي حقيقي (2)، و الغالب عليها المراسيل مثل ما يذكره عروة بن الزبير و الشعبي عامر بن شرحبيل (ت 103 ه) و الزهري ابن شهاب محمد بن مسلم (ت 134) و موسى بن عقبة المتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان و ابن اسحاق(ت 151) ثم بعض رواة المغازي مثل يحي بن سعيد الأموي(ت 194)و الوليد بن مسلم (ت 195) و الواقدي أبو عبد الله (ت 207)، و يشير ابن تيمية بأن أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق .(3)

.....

1 –أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع ج 2 ص 162 رقم 1493 ، –ابن تيمية : أصول التفسير ص 41.

2–إبن تيمية أحمد : المصدر نفسه ص 41

2– أبو شهبة محمد بن محمد :المرجع السابق ص 85

وحين رأى الإمام الشافعي المؤلفات محشوة بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، أخبر بأن آثار ابن عباس ليست بالحجم الذي نسب إليه .

" لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث " .(1)

وبهذا يكون أكثر ما نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه من التفسيرالقرآني غير صحيح .

و قد كانت نظرات بعض العلماء الناقدة لما يؤلف حول كتاب الله دافعا لإرساء دعائم نقد التفسير ، وكانت عملية النقد و الاختبار التي أجراها بعض العلماء على الآثار و منها الأحاديث النبوية الشريفة ، أو الأحاديث المنسوبة إلى صحابة رسول الله ، خطوة هامة في تصحيح المرويات في التفسير ، تماشيا مع مبادئ نقد المرويات من الأحاديث النبوية الشريفة التي أصابها ما أصابها من التحريف و الوضع و الزيادة .

---

1 -عن ابن الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث " أنظر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ج 2 ص 189 ، و أبو شهبة محمد:المرجع السابق ص 85

1 -نقد التفسير بالرأي :

التفسيربالرأي هو اجتهاد ناتج عن الفهم الخاص للمفسر و استنباطه الشخصي من غير أصل ، و قد أوضح ابن جرير الطبري مقصد العلماء من الرأي بدون أصل ،بأنهم يريدون به الرأي الصادر بدون حجج عقلية شرعية أي العلم الراجع إلى الصحابة و التابعين المنقول عنهم نقلا صحيحا مستفيضا و هذا هو التفسير الصحيح في نظره.(1)

" فأحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيل،أوضحهم حجة فيما تأول و فسر، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم دون سائر أمته ، من أخبار رسول الله صلى الله عليه و سلم الثابتة عنه ، إما من وجه النقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض .

و إما من وجه نقل العدول الأثبات ، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض ،أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته ، و أوضحهم برهانا فيما ترجم و بين من ذلك ، مما كان مدركا علمه من جهة اللسان ، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة ، و إما من منطقهم و لغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنا من كان ذلك المتأول و المفسر ، بعد أن لا يكون خارجا تأويله و تفسيره ما تأول و فسر ، من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة و الأئمة و الخلف من التابعين ، و علماء الأمة " .(2) .

و بهذا يكون التفسير بالرأي هو التفسير المبني على الاجتهاد و القياس ، ذلك الاجتهاد المقترن بمعرفة المفسر لكلام العرب ، من حيث الإلمام بعلوم اللغة و إدراك العلوم المساعدة على فهم النص القرآني مثل أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و السيرة النبوية ، و بالتالي فالرأي هو النظر المجرد الذي لا يخالف اللغة بل يستعين بمناهجها و لا يخالف السنة بل يعتمد على الصحيح من أسانيدها و لا يناقض تفسير الصحابة و لا أسباب النزول .(3)

.....

1 -الطبري : المصدر السابق ج 1 ص 32

2 – المصدر نفسه ص 32

3 -المصدر نفسه ، 1ج ص32

و على هذا الأساس قسم العلماء التفسير إلى تفسير مأثور و أجمعوا على جوازه ، و تفسير بالرأي و اختلفوا فيه من حيث الإجازة و المنع ، و قد حلل بعض العلماء و المفسرين أدلة المانعين المعتمدة على الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة ، فوجدوا أن ظاهرها فقط يفيد المنع ، و من ذلك قوله تعالى :

" **وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** "(1)

فالتفسير بالرأي ليس قولا على الله بدون علم ، و إنما هو فهم للنص القرآني بما أوتي المفسر من أدوات لغوية و شرعية و فكرية ،إذ يعتمد التفسير على الاجتهاد المستقى من الأدلة الشرعية إن أمكن ، أو الأدلة اللغوية العقلية التي ترجحه ، فإن لم يكن ذلك لجأ المفسر إلى رأيه الخاص أي الظن إذا لم يجد ما يعضده ، و الظن كاف في هذه الحالة اعتمادا على قوله تعالى :

" **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**" (2) .

كما أن جل الآثار الواردة في النهي عن التفسير بالرأي تدل دلالة إيحائية على الرأي الفاقد للدليل الذي يعضده ، أما القول بالشاهد و البرهان فالقول فيه جائز ، لذلك دعا رسول الله لابن عباس قائلا :

" **اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل** ".و قوله أيضا :

" **اللهم علمه الكتاب** " (3)

.....

1 – الأعراف الاية 33

2 –البقرة الآية 286

3 – ورد عن مسدد عبد الوارث عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ضمني النبي صلى الله عليه و سلم إلى صدره و قال : اللهم علمه الحكمة " ، و عن أبي معمر عن عبد الوارث أنه قال : " اللهم علمه الكتاب " . أنظر : البخاري إسماعيل : صحيح البخاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط 1 ، 2002 ، الحديث رقم 3756 ص 756 .

أما إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تحريم القول بالرأي:
" **من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار** "(1)

فقد اعتبرها ابن تيمية تخص كل من فسر القرآن برأيه بأنه يقول بغير علم ، فحق عليه الوعيد حينئذ ، أما الإمام محمد أبو زهرة فيخصص الحديث لمن لم يؤت أدوات التفسير و منها العلم بلغة العرب وأساليب البيان فيها و مصادر الشريعة ، و أقبل على تفسير النص القرآني بمجرد رأيه ، فإنه بذلك يقول بغير علم ، أما من تبحر في العلوم المساعدة على فهم النص القرآني فإن الخبر لا ينطبق عليه . **(2)**

كما أن المراد بالقول في الحديث الشريف ،القول بمجرد الرأي في نظر الإمام محمد أبو شهبة ، بأن يجعل الرأي أصلا و القرآن تبعا ، و أن يكون له في المسألة رأي إليه يميل فيتأول القرآن على وفق رأيه و هواه ، كما أن المراد من الحديث من يفسر المتشابه من الآيات .
و ذهب بعض العلماء إلى أن القائل برأيه حسب اجتهاد أداه إلى رأي خاص ، مع انعدام الحجة على صحته ، فهذا الرأي ليس مذموما ، و إنما يعذر صاحبه . (3)
و على هذا الأساس نظر علماء الشريعة الإسلامية إلى التفسير بالرأي ، فقسموه إلى التفسير المذموم و الممدوح .

.....

1 – رواه محمد بن جرير قائلا : ثنا محمد بن بشار ثنا يحي بن سعيد ثنا سفيان قال : حدثني عبد الأعلى و هو ابن عامر الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار " .أخرجه الترمذي و النسائي من طرق عن سفيان الثوري و رواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى مرفوعا و قال الترمذي حديث حسن .أنظر : إبن كثير : المصدر السابق ج 1 ص 10 .

2– أبو زهرة محمد : المرجع السابق ص 568

3 –الجوزية بن القيم :المصدر السابق ،ج 1 ص42

أما التفسير الممدوح فهو الذي لا يعارض نصا صحيحا و لا عقلا سليما ، بالاعتماد على المعارف المتنوعة الكافية بعلوم اللغة و القواعد الأصولية من أصول الدين و الفقه و الأحاديث ، و سمي ممدوحا لموافقته أصول التفسير الصحيح ،كما يشترط فيه سعي المفسر إلى بذل كل جهده في البحث و تحري الصواب ، مبتعدا قدر الامكان عن التفسير بالهوى أو التعصب لرأي معين ، مما قد يحمل النص دلالات موجهة ، أو تكون للنص معان معينة يؤولها المفسر ليعضد بها مذهبا معينا أو فكرة محددة.

و لهذا كان التفسير المذموم هو التفسير بالهوى ، أي من غير معرفة شاملة بالعلوم المساعدة على فهم النص القرآني ، و يراد به أيضا التفسير المؤيد لمذهب ديني فاسد أو تفسير المتشابه من القرآن أو التفسير المبني على رأي باطل .(1)

2 -نقد التفسير المأثور :

إن التفسير بالمأثور لقي إجماعا عند غالبية العلماء لاعتماده على المأثور من السلف ، و من ذلك أقوال و أحاديث صاحب الرسالة محمد عليه الصلاة و السلام ، ثم التابعين من بعده و تابعيهم بعد ذلك ، إلا أن اختلاط الآثار المروية الصحيحة بالدخيل ، أثر سلبا على تفسير النص القرآني ، مما أدى إلى انتشار الكثير من الأفكار البعيدة عن روح الدين الإسلامي مع نسبتها إليه ، مما أفسد علم التفسير ، و قد كان الإمام الطبري (ت310) مع سعة علمه من أوائل المفسرين الذين توسعوا في ذكر الآثار التاريخية المنسوبة إلى الإسرائيليات ، فحفل تفسيره "جامع البيان في تفسير القرآن"

.....

1 -أبوزهرة محمد : المرجع السابق ص 568

بالكثير من القصص الغريبة و العجيبة ، و كذلك فعل كل من الإمام الثعلبي النيسابوري (ت427) في تفسيره " الكشف و البيان في تفسير القرآن " ، و ذكر بعض المفسرين الإسرائيليات دون الأسانيد ، و بدون تفحص و لا تعقيب ، و منهم الخازن (ت 725) مع تفسيره " لباب التأويل في معاني التنزيل " ، كما كان الإمام أبو محمد بن عطية الأندلسي أول من أسقط الأخبار و القصص الإسرائيلية من التفسير ،و دعا إلى عدم اعتمادها في التفسير القرآني ، لأنها ليست أساسا في تفسير النص ، و أما النص هو الأساس الذي يجب الاعتماد عليه ،و حقيقة تلك القصص أنها قائمة على أباطيل و خيالات لا أصل لها و لا سند قوي يدعمها ، بل الأخطر من ذلك أنها تؤدي إلى زعزعة ثقة القارئ في مقصود النص القرآني ، مما يؤدي إلى فساد الاعتقاد (1) ،و قد ساعد ابن عطية على نقد القصص و الإسرائيليات ، علمه الواسع بالحديث و كذا حسه النقدي ، حيث يرفض الخبر الواهي السند و كذلك المنافي للعلم و العقل و الدين .

و لما يعرض قوله تعالى :

" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ".(2)

يبسط الإمام ابن عطية الآراء المختلفة باختصار ، ثم يعقب :

" و أكثر أهل القصص في صورة هذه النازلة تكثرا اختصرته لعدم صحته " (3)

.....

1 – المشيني مصطفى إبراهيم : مدرسة التفسير في الأندلس ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1986 ،ص 550

2 – البقرة 259

3 – ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مطبعة الدوحة ، 1977 ، ج 2 ص 410

و قد أشاد المؤرخ العلامة ابن خلدون بمجهودات ابن عطية في نقد التفسير ، و اعتبره رائدا في تخليص التفسير من الإسرائيليات أو الأحاديث الموضوعة الضعيفة السند ، أو الواهية المضمون البعيدة عن الصحة .(1)

و جاء بعد ابن عطية مجموعة من المفسرين ، حاولوا تخليص التفسير من شوائب الإسرائيليات ، و لكنهم ارتكبوا خطئا منهجيا فادحا ، بحيث أنهم رغم نقدهم للقصص و الآثار الإسرائيلية إلا أنهم أثبتوها في تفاسيرهم ، و لم يلغوها تماما و لم يبعدوها عن التفسير ، رغم تناقضها مع النص القرآني .

كما اتبع أبو عبد الله محمد القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن " سبيل من سبقه من المفسرين بنقد الإسرائيليات و بيان ما تنطوي عليه من زيف و أباطيل و خرافات، مستعينا بآراء العلماء و أقوال المفسرين ، فيضعف بعض الأخبار من حيث سندها أو من حيث مخالفتها للعقل و المنطق .

" و أضرب عن كثير من قصص المفسرين و أخبار المؤرخين ، إلا ما لا بد منه و لا غنى عنه للتبيين " (2)

ففي تفسير قوله تعالى :

" **وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ، إِذْ تَسَّوَرَا الْمِحْرَابَ** " . (3)

يقوم المفسر ببيان معنى الآية بعرض قصة النبي داود مع زوجة اوريا بن حنان بتفاصيلها ، ثم ينسبها إلى قائليها من العلماء .

.....

1 – ابن خلدون : المصدر السابق ص 439

2–القرطبي أبو عبد الله : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ص 3

3– ص الآية 21

يقول : ذكره الماوردي و غيره . ثم يضيف : ولا يصح .

و لكن القرطبي ، يعود مرة أخرى لتصديق الخبر ، قائلا :

" قال ابن العربي : و هو أمثل ما روي في ذلك " .(1)

أما في تفسير قوله تعالى :

" وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ ". (2)

فيذكر القرطبي بما ورد من قصص حول الموضوع و لكنه يخلص إلى بطلانها .

" قلنا هذا كله ضعيف عن ابن عمر و غيره و لا يصح منه شيء ." (3)

و مع هذا بقيت كتب التفسير تحفل بالقصص الاسرائيلية ، و إن كان باطن القول يدل على بطلانها .

كما يعتبر تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت 774) أهم مؤلف كشف و نبه على خطورة تحريف معاني النص المقدس ، حيث وجه المفسر اهتمامه إلى تفحص الأحاديث النبوية والآراء التفسيرية التي وردت في مؤلفات التفسير قبله ، متتبعا الأحاديث الموضوعة التي تساهل في نقلها المفسرون قبله ، محاولا قبل كل شيء بيان خروجها عن حدود الرواية الصحيحة من حيث الأسانيد فضعفها ، ثم أظهر خروجها عن المعنى المقبول المعقول فوصفها بالمنكرة و الغريبة ، كما انتقد الآثار الواردة عن ابن عباس و بين أنها من ترويج غيره ، إذ لا يعقل أن تصدر تفسيرات خاطئة عن ابن عباس (رضي الله عنه) وهو من دعا له رسول الله صلى الله

.....

1 – القرطبي أبو عبد الله محمد : المصدر السابق ، المجلد 8 ص 166

2 –البقرة الآية 102

3 – القرطبي : نفس المصدر المجلد 1 ص 421

عليه وسلم بالعلم في التفسير ، كما انتقد ما نسب إلى ابن عمر و أنس بن مالك و علي بن أبي طالب و أبو هريرة و سعيد بن المسيب و عقبة بن عامر.(رضي الله عنهم).

يبين الحافظ ابن كثير أن فساد تأويل النص القرآني راجع إلى الاستشهاد بالروايات الاسرائيلية ، التي حرفت المعاني الأصلية ، و أحالت النص مجرد نص تاريخي لا يلتفت إلى عمق الأخبار و الغاية من ذكرها ، و السبب يرجع إلى اعتماد الرواة على الحديث النبوي الشريف القائل :

" **إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه و إما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه** "(1)

و لذلك يرى ابن كثير أن يتعامل المفسرون مع الإسرائيليات بحذر ، فمنها ما يعلم صحته فلا مانع من الأخذ به ، و منها ما يعلم كذبه و يخالف النص فلا يؤخذ به ، و أما ما لا يعلم صدقه و لا كذبه فلا نكذبه و لا نصدقه .

" و لكن في بعض الأحيان ينقل عنه (إبن مسعود و كذلك ابن عباس) ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث قال : بلغوا عني و لو آية و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج ".(2)

و حين يتعرض إلى بعض قصص أهل الكتاب يبين بالأدلة العقلية التحريف الذي وقع فيها أولا ، ثم تأثير ذلك على النص القرآني ، فالتفسير مرتبط بالنص القرآني .

.....

1 –رواه محمد بن بشار عن عثمان بن عمر أنه قال : أخبرنا علي بن المبارك عن يحي بن كثير عن أبي سلمه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم ..و قولوا " آمنا بالله و ما أنزل إلينا " أنظر : العسقلاني بن حجر :فتح الباري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 2003 ، ج 2 ، ص 682 .

2 –إبن كثير الحافظ : المصدر السابق ج 1 ص 8

يقول في تفسير قوله تعالى : "ق" " .

" فقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا "ق" جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف و كان هذا و الله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق و لا يكذب . وعندي أن هذا و أمثاله و أشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون على الناس أمر دينهم . كما افتري في هذه الأمة على جلالة قدر علمائها و حفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدىو قلة الحفاظ و النقاد فيهم و شربهم الخمور ، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه و تبديل كتب الله و آياته " .(1).

أما التفسير الحقيقي و المعقول لمعنى " ق " فيستمده من الأثر و القياس ، و هو أنه أحد الحروف التي افتتحت بها مجموعة من السور القرآنية .

" "ق" حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى" "ص" "ألم" "حم" "طسم" ونحو ذلك قاله مجاهد ".(2)

و بهذا حاول الحافظ ابن كثير نقد التفاسير المعتمدة على الاسرائيليات ، و بين أثرها السلبي على توجيه النص القرآني إلى دلالات تخالف روح الدين الإسلامي ، و في بعض الأحيان عقيدته . و قد كان الحافظ ابن كثير واعيا جدا بخطورة الإسرائيليات على النص القرآني ، بيد أنه لم يرفضها ميدانيا ، حيث أكثر من تلك القصص الغريبة التي تنأى عما يحتويه النص القرآني من أخبار تاريخية هامة ، مع التعليق عليها من حيث صحتها و بطلانها ، استنادا إلى نقد الأحاديث ، مما يظهر تحرجه الشديد فيما يخص الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و الصحابة رضوان الله عليهم ، و اكتفى بملاحظات يوردها للتقليل من قيمة القصة و الأثر.

.....

1- إبن كثير الحافظ : المصدر السابق ج 6 ص 395 .

2-نفسه ج 6 ص 395

" و قد ضعف هذا المذهب كثيرون ...." (1)

" و لا أعلم في هذا خلافا .. " (2)

" و هو الأرجح و الله أعلم ..(3)

و من علماء الجزائر نجد الشيخ عبد الرحمان الثعالبي (784 – 875 للهجرة) ، الذي اشتهر بتفسيره للقرآن الكريم المسمى "الجواهر الحسان في تفسير القرآن " و قد ألفه سنة 833 للهجرة ، معتمدا على منهج التفسير المأثور ، لذلك اعتنى بالسنة النبوية الشريفة المفسرة للقرآن ، حيث يورد الأحاديث التي أخرجها المفسرون قبله فينقد سندها و متنها ، كما نقد الإسرائيليات المنثورة في تفاسير الأولين .

و بالتالي يعد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أحد المفسرين المغاربة الرافضين للتفسير الخارجي المخالف للنص القرآني ، أي إقحام الروايات التاريخية الإسرائيلية المشكوك في صحتها في شرح النص القرآني المقدس ، لذا نجده في كثير من الأحيان يعرض القصص الإسرائيلية ثم يبين خطئها رافضا ارتباطها بالنص القرآني .و هذا ما نلاحظه في تفسيره لسورة ص و قصة النبي سليمان عليه السلام .

يقول الله تعالى :

« وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ »(2)

.....

1 – ابن كثير الحافظ : المصدر السابق ج 1 ص 69

2 – المصدر نفسه ج 1 ص 70

3 – نفسه ج 1 ص 71

4 –ص الاية 34

حيث رد التفاسير التي أسهبت في شرح الفتنة الواردة في الآية القرآنية ،و بالتالي رفض الإسرائيليات ، على أساس أنها غير مقبولة عقلا و لا نقلا .

."و لقد أكثروا في قصص هذه الآية بما لا يوقف على صحته " (1)

و مع هذا فالنقل هو مصدر التفسير عند الثعالبي ، و كل رأي يأتي بعد الأثر يوازيه أو يخالفه فهو غير مقبول و ليس فيه نظر ، و لذلك نجد الشيخ الثعالبي يقع في نفس الحرج الذي وقع فيه سابقوه من المفسرين ، إذ يرفضون القصص التاريخية الإسرائيلية، و لكنهم يوردونها في تفاسيرهم ، لارتباطها بالمنقول من الأثر المنسوب إلى رسول الله أو صحابته .

و من نظراته النقدية ، الإنتقاء و الانتخاب في الآراء و التقارير ، و ذلك عن طريق مقارنة مختلف التفاسير و ترجيح بعضها على بعض ، حيث يقدم رأي الصحابي على غيره ، و ينتقي التفاسير و الآراء .

يقول عن الطبري : « و ما قال الطبري عندي أبين » و عن البخاري يقول : « و الأول أبين و هو تفسير البخاري » و حين يرفض رأيا يقول :

«و هذان قولان بعيدان (بعد ذكر الرأي الثالث) و هذا هو الصحيح –و هذا تأويل قوي» (2)

إن الحس النقدي عند عبد الرحمن الثعالبي ، أدى به إلى محاولة المقارنة بين الآراء التفسيرية ، ثم الإدلاء برأيه ، للتوفيق بين الآراء تارة ، أو لإظهار رأي مخالف ، لكنه معقول و صحيح لغة و شرعا .

.....

2 –الثعالبي عبد الرحمن : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،المكتبة العصرية صيدا ، لبنان ج 3ص 126.

1 –نفس المصدر ج3 ص 117

" و الراجح عندي من الأقوال في هذه الآية ..." (1)

أما الإمام تقي الدين أحمد ابن تيمية فكانت له نظرته الخاصة في التفسير من خلال مؤلفه الفريد " مقدمة في أصول التفسير" ، و قد أعقبها بتفسير بعض أجزاء القرآن في كتابات متفرقة ، وتعد بهذا دراسته أول دراسة نقدية لكتب التفسير ، فقد اتبع نهجا خاصا في التمييز بين المنقول من الآثار، مرتكزا على أساس عقلي منطقي وكذلك فعل مع التفسير بالرأي .

وعلم التفسير في نظره إما نقل عن معصوم فهو مصدق بلا ريب ، أو قول من غيره فيحتاج إلى دليل معلوم يثبت صحته ، ولهذا كان المميز بين الآراء الدليل العقلي الفاصل بين الحق و الباطل .

و نظرا لتباين وجهات النظر ، فقد اختلف المفسرون من السلف و بعدهم من الخلف ، إلا أن اختلاف السلف راجع في نظر الشيخ ابن تيمية إلى اختلاف تنوع و ليس اختلاف تضاد ، كالاختلاف في المترادفات من الأسماء و المشترك اللفظي و غيرها من الظواهر اللغوية ، و كذلك الاختلاف بالأخذ بالعام و الخاص من مدلولات الألفاظ القرآنية .(2)

أما التفسير بالرأي فالاختلاف فيه كثير ، و يرجع في معظمه إلى منهج المفسر في تأويل النص القرآني ، مما قد يخالف قواعد النص اللغوية و الفقهية و الأصولية ،ومن التفسيرات التي أثارت انتباه ابن تيمية تفاسير الفرق الدينية المختلفة التي نشأت بعد عهد الخلفاء الراشدين ثم التفسير الاشاري ، إذ يحمل اللفظ فيها ما لا يدل عليه ، سواء من الجانب اللغوي و البياني أو استنباط معان لا علاقة لها بالنص ، و إنما يتأولون القرآن حسب أفكار مسبقة مستوحاة من مبادئ الفرق و المذاهب الدينية

.....

1 – الثعالبي عبد الرحمان :المصدر السابق ج 2 ص 201

2–ابن تيمية أحمد : المصدر السابق ص 22

المختلفة ،و من ذلك جعل اللفظ المطلق محصورا في شخص واحد ، (1) ففي قوله تعالى :

"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً" (2)

فقد تأولوا البقرة الواردة في قوله تعالى بأنها عائشة رضي الله عنها .

أما قوله تعالى :

"وَمَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ "(3)

فقد قالوا بأن المراد بالبحرين علي (كرم الله وجهه) وفاطمة (رضي الله عنها) .

و الاختلاف في التفسير على نوعين حسب رأي ابن تيمية ،منه ما يستند على النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك ، إذ العلم إما نقل مصدق و إما استدلال محقق ، و المنقول إما عن معصوم و إما عن غير معصوم .(4)

فالمنقول عن المعصوم قد يتمكن العلماء معرفة صحيحه من ضعيفه بالنظر في الأسانيد، وغير المعصوم بالنظر في الاستدلال ، أما ما لا يمكن التعرف عليه ، فالبحث عنه مما لا فائدة فيه ، و الكلام فيه من فضول الحديث ، و من ذلك اختلاف التفاسير في لون كلب أصحاب الكهف و صفاته ، في حجم سفينة النبي نوح عليه السلام ، و ما نوع خشبها و أصناف حيواناتها ، و في اسم الغلام الذي قتله الخضر ، و غيرها من الأحداث التي وردت مجملة في النص القرآني ، و أخذ المفسرون يطيلون في شرحها إجحافا بمعناها .

.....

1- ابن تيمية أحمد : المصدر السابق ص 55

2- البقرة الآية 67

3-الرحمن الآية 19

4- ابن تيمية : نفس المصدر ص 39

و إن أحسن الطرق لمعرفة صدق الأخبار في نظر الشيخ ابن تيمية النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أما ما ورد من جهة الرواة الآخذين عن مؤرخي أهل الكتاب كذكرهم اسم صاحب الخضر بأنه موسى عليه السلام ،فهذا لا يجوز لنا تصديقه و لا تكذيبه إلا بدليل تاريخي مقنع ، و كذلك كل ما نقل عن التابعين مع عدم تصريحهم بالأخذ عن أهل الكتاب .

و حين يقع الاختلاف بين التابعين لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر ، بينما ما نقل عن الصحابة الكرام نقلا صحيحا فالنفس تطمئن إليه ، إذ يحتمل أنهم سمعوه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، كما أن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين . (1)

و يستطرد الإمام ابن تيمية في الحديث عن أسباب الخلاف بين المفسرين مرتكزا على الآية الكريمة :

"سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَ لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا " (2)

في الآية الكريمة غنى عن الجدال و الخلاف في عدد أصحاب الكهف ، فبعدما ذكر الله سبحانه مجموع الآراء بأنهم ثلاثة و رابعهم كلبهم ، و بأنهم خمسة سادسهم كلبهم ،

.....

1 – ابن تيمية : المصدر السابق ص 40

2 – الكهف الآية 22

عقب عليها بقوله تعالى" **رَجْمًاً بِالغَيْبِ** "أما حين ذكر عددهم الحقيقي بأنهم سبعة و ثامنهم كلبهم لم يعقب ، و أمر رسوله الكريم عليه الصلاة و السلام بأن لا يجادلهم في العدد ، و كذلك أمره بأن لا يماري فيهم إلا مراء ظاهرا أي لا يجهد نفسه فيما لا طائل منه ، و يصل ابن تيمية إلى النتيجة المنطقية بأن في حالة الخلاف الظاهر وجب على المفسر استيعاب الأقوال و التنبيه عل الصحيح و الباطل ،ثم على المفسر أن يذكر فائدة الخلاف و ثمرته . **(1)**

كما كان المؤرخ العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 للهجرة) بارعا في استقراء الأحداث التاريخية ، لذا تنبه إلى خطورة التفسير الخاطئ و التأويل الفاسد للأحداث ، و أفرد لذلك مباحث خاصة في مقدمته المشهورة لكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، حيث ربط بين التاريخ و التفسير التاريخي للنص القرآني ، فالتاريخ فن و علم و هو أيضا فن عزيز المذهب لما يحمله من فوائد جمة من التعريف بأحوال الماضين وأخلاقهم من شعوب وملوك و أنبياء ، و من هنا كان لفن التاريخ أهميته في نظر ابن خلدون من حيث التأثير على الأجيال اللاحقة ، التي تروم منه الإقتداء بالأولين بمعرفة أحوال الدين و الدنيا ، بيد أن إمكانية التحريف واردة عند المؤرخين و المفسرين العرب القدامى ، لاعتمادهم المطلق على النقل دون استقراء للتاريخ بالمقارنة و التحليل ، و استعمال المنطق العقلي في العرض التاريخي .

" اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ...فهو محتاج إلى مآخذ متعددة و معارف متنوعة و حسن نظر و تثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق و ينكبان به عن المزلات و المغالط لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل و لم تحكم فيها أصول العادة و قواعد السياسة و طبيعة العمران و الأحوال في المجتمع الإنساني ..فربما لم يؤمن فيها من العثور و مزلة القدم و الحيد عن جادة الصدق " . **(2)**

.....

3 -ابن تيمية : المصدر السابق ص 66

2- ابن خلدون عبد الرحمان :المصدر السابق ص 8

و بهذا نبه العلامة ابن خلدون إلى خلو بعض التفاسير من الدقة التاريخية و البرهان العقلي الرابط بين جوهر الحدث التاريخي ، و من ذلك ما نقله المسعودي و بعض المفسرين للقرآن الكريم ، عن عدد جيش النبي موسى عليه السلام ، بأنه يقارب الستمائة ألف جندي أو يزيدون ، و هذا جيش هائل العدد لا يمكن لأرض مصر و الشام أن يطيقوه ، في حين كان جيش ملك فارس الذي ملك تلك المنطقة من العالم لا يتعدى مئة و عشرين ألف جندي .

"و لقد كان ملك الفرس و دولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير ..و مع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد و لا قريبا منه " (1)

و تكمن خطورة التساهل في النقل فيما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، على أنه حقيقة منبعها الوحي و الإلهام ،مما يؤدي إلى تحريف معاني و دلالات النص القرآني ،و من جهة أخرى قد توهم بعض الروايات و التفسيرات بنسبتها إلى الفكر الإسلامي باعتمادها على نص قرآني ، بينما أصحابها ينطلقون من فكر مخالف أوشبيه بمقال النص ، و من ذلك تفسير بعض المفسرين و الشارحين لقصة عاد التاريخية الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

" **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** " .(2)

إن إرم في الآية الكريمة اسم لمدينة بناها شداد بن عاد لما سمع بوصف الجنة ، في صحاري عدن باليمن ،فكانت شبيهة لها .

و يرفض ابن خلدون هذا الخبر ، متعمقا في دراسته :

" و هذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض ، و صحارى اليمن التي

.....

1- ابن خلدون : المصدرالسابق ص 9

2 – الفجر الاية 7

زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن ، و ما زل عمرانها متعاقبا و الأدلاء تقص طرقها من كل وجه و لم ينقل عن هذه المدينة خبر و لا ذكرها أحد من الإخباريين و لا من الأمم " .(1)

و يمكن الجزم بعد تقدم الأزمنة أن ابن خلدون كان أول مفكر يضع المعايير العقلية للتعامل مع التاريخ البشري ، و كان لذلك أثر كبير في توجيه التفسير القرآني و دفع المفسرين إلى التقيد بمضامين النص المقدس ، بحيث يكون النص وحده نقطة الارتكاز ينطلق منها المفسر ليعود إليها ، عكس ما كان سائدا بالتفسير الخارجي للنص ، لذلك حوت التفاسير على الغث و السمين و المقبول و المردود ، و السبب في ذلك في نظر ابن خلدون أن العرب في الجاهلية و بعد الإسلام لم يكونوا أهل كتابة و تدوين ليرجعوا إلى المكتوب للتأكد من صدق الأخبار ، و إنهم حين كانوا يتشوقون لسماع أخبار الأمم السالفة يرجعون إلى أهل الكتاب ، و معظمهم من اليمن ممن أسلم بعد انتشار الإسلام، فامتلأت تفاسير القرآن الكريم بأحاديثهم ، و لما رجع العلماء إلى التحقيق و التمحيص تنبهوا إلى التحريف التاريخي و تأثيره السلبي على التفسير القرآني .

و بهذا يعد ابن خلدون رائدا في المجال النقدي للتاريخ و نقد التفسير ، بدراسته للعلاقة الكامنة بين التاريخ و التفسير القرآني ، و هو بذلك يدعو إلى منهجية جديدة لتفسير النص القرآني بطريقة موضوعية تنأى به عن التحريف.

و فرضت التطورات التي عرفتها الشعوب العربية و الإسلامية خلال القرنين- التاسع عشر و العشرين - على العلماء إعادة النظر في المناهج الموروثة من التراث الفكري القديم ، و محاولة إعادة أصول جديدة تتوافق مع التطور الإنساني مع المحافظة على

.....

1 - ابن خلدون : المصدر السابق ص 12

أصالة المنهج الرباني ، و يكون ذلك بخاصة مع تفسير القرآن الكريم لأنه دستور الأمة، لذلك وجدت الأفكار التي نادى بها الشيخ جمال الدين الأفغاني من يتبناها فعليا للوصول إلى تفسير جديد يبعد عن الاجترار وجمود الماضي ، و يدعو إلى الرجوع إلى المنابع الأصلية للدين و محاربة الدخيل من البدع و المنكرات .

و كان الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغاني السابق في الدعوة إلى تجديد التفسير القرآني ، بالرجوع إلى منابعه الأصلية و تطهيره من الإسرائيليات و الخرافات و مما أضافته المذاهب المتعددة و الأفكار المنفردة ، كما دعا الشيخ عبده إلى ربط النص القرآني بتطورات العلوم و الفنون ، لذلك سار على النهج الأدبي و الاجتماعي ببيان بلاغة القرآن وتوضيح معانيه ثم ربطها بسنن الكون و ظواهر الاجتماع محاولا بذلك معالجة مشاكل الأمة الإسلامية في زمنه بربط القرآن بالنظريات العلمية الصحيحة .

"خاطب الله بالقرآن من كان في زمن التنزيل ، و لم يوجه الخطاب إليهم لخصوصية في أشخاصهم، بل لأنهم من أفراد النوع الإنساني الذي نزل القرآن لهدايته ، يقول الله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم » فهل يعقل أنه يرضى منا بأن لا نفهم قوله هذا ، و نكتفي بالنظر في قول ناظر فيه ، و لم يأتنا من الله وحي يوجب إتباعه لا جملة و لا تفصيلا ؟ كلا إنه يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته » **(1)**

و الخطأ الذي وقع فيه السابقون من المفسرين ، اعتمادهم على النص القرآني لإثبات صحة أخبار محرفة ، مصدرها ليس الكتب السماوية السابقة للإسلام مثل التوراة و و الإنجيل ، و إنما هي أخبار مستقاة من الرواة و القصاصين من أهل الكتاب نسجوها من خيالهم ، تأثرا بالحضارات السائدة في تلك الفترة من التاريخ الإنساني ، فالشعب اليهودي كان متنقلا متفاعلا مع الحضارات السابقة المبنية على الأساطير الخارقة .

.....

1 – عبده محمد :تفسير القرآن الحكيم ، –تفسير المنار – تأليف رشيد رضا ، دار المنار ، القاهرة ، مصر ،ط 4 ،1954 ، ج 1 ص 20 .

"ثالثها تتبع القصص و قد سلك هذا المسلك أقوام زادوا في قصص القرآن ما شاءوا من كتب التاريخ و الإسرائيليات ، و لم يعتمدوا على التوراة و الإنجيل و الكتب المعتمدة عند أهل الكتاب و غيرهم بل أخذوا جميع ما سمعوه عنهم ، من غير تفريق بين غث و سمين و لا تنقيح لما يخالف الشرع و لا يطابق العقل ".(1)

و بهذا دعا الشيخ محمد عبده إلى عدم تصديق ما عرف بالإسرائيليات ، و البحث في أسانيدها ، بغرض تخليص الصحيح منها من الموضوع ،ثم جمع الأخبار في كتب خاصة ، مثلما حدث مع الأحاديث النبوية الشريفة ، و تجنب ذكرها في كتب التفسير ، لما فيها من تأثير سلبي على فهم النص القرآني . (2)

و قد تفطن العديد من علماء الأزهر المحدثين إلى أثر القصص الإسرائيلي في تشويه النص القرآني ، بحيث أن ذكر تلك القصص في معرض تفسير كتاب الله تعالى يجعل النص يؤكد تلك الآثار ، فيحدث الخلط بين ما هو نص قرآني و بين التفسيرات البشرية المصاحبة له ، و من بين العلماء المشهورين نجد محمد بن محمد بن أبي شهبة ممن اهتموا بقضية تحريف تفسير دلالات النص القرآني ، و بخاصة ما تعلق منها بتفسير الأحداث التاريخية السابقة للعصر الإسلامي و هذا لجهل العرب بها ، واستحواذ أهل الكتاب ممن أسلموا أو غيرهم بالمصادر التاريخية ، مما ورد ذكره في النص القرآني أو لم يرد ، و قد دفع هذا الشيخ أباشهبة إلى تأليف كتاب أسماه " الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير " ، و سبب تأليف الكتاب ترغيب فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالجامع الأزهر للشيخ أبي شهبة في تأليف كتاب يبين فيه الإسرائيليات المبتوتة في كتب التفسير و يشير إلى

.....

1 – عبده محمد : المرجع السابق ج 1 ص 18

2 –نفسه ج 1 ص 8

تزييفها و بيان بطلانها .(1)

قبل الخوض في تحليل نصوص التفسير التي حوت قدرا غير يسير من الإسرائيليات و نسبتها في بعض الأحيان إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، يبين الشيخ أبو شهبة أن ظاهرة التفسير الموضوع المسمى بالإسرائيليات وقع فيه من أكابرالمفسرين للقرآن الكريم و منهم ابن جرير الطبري و السيوطي في الدر المنثور و القرطبي في تفسيره و البغوي و غيرهم لذا يعتبر من الأمور الخطيرة التي تدعو إلى التفكير مليا في حلها .

و ينتهي الشيخ أبو شهبة إلى اقتراح مجموعة حلول لمواجهة التفاسير المتضمنة للشروح الإسرائيلية للأحداث التاريخية ، التي جنت على النص القرآني و بينت فيه من العيوب و المفارقات ما قد يسيء إلى الإسلام ، و هي:

1 - الاستغناء عن كتب التفسير التي حوت الإسرائيليات و ذلك بإبادتها أو حرقها للحيلولة بينها و بين كل من يريد الإطلاع عليها .

2 - إعادة طبع كتب التفسير المملوءة بالإسرائيليات مع تنقيتها بحذف كل الإسرائيليات.

3 – التنصيص على كل الإسرائيليات المبثوثة في ثنايا التفاسير القرآنية و دراستها مع بيان وجه الصحة فيها و الخطأ ، و التأليف في ذلك ما وسع العلماء بغرض بيان الموضوعات المدسوسة على الرواية الإسلامية و التحذير من سمومها التي أفسدت الكثير من عقول الناس . (2).

و قد كان الاختيار الثالث هو الأنسب في نظر الشيخ أبي شهبة لأنه الأسلوب العقلي

.....

1- أبو شهبة محمد :المرجع السابق ص1

2-المرجع نفسه ص 9

الناجع لمواجهة كل تحريف و خطإ ألصق بعلم التفسير عن قصد أو بدونه ، و كان من الأضرار في نفوس العامة من الناس الذين ظنوها لأزمنة طويلة أصلا في الرواية الإسلامية و بالتالي أصلا في الدين الإسلامي و خطابا صريحا في النص القرآني .

و قد اتبع الشيخ أبوشهبة منهجية صارمة في نقد الأخبار المفسرة للكثير من النصوص القرآنية ، و ذلك بعرض أراء المفسرين و العلماء و حفاظ الحديث و أئمة النقد و التعديل و الجرح فيما يتعلق بسند الآثار ، و بالتالي معرفة الموضوع منها و المحرف و بخاصة أن عددا كبيرا من تلك الآثار نسب مباشرة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم . أما ثاني خطوة فقد عرض فيها الشيخ أبوشهبة الأخبار و الإسرائيليات على النقد العقلي بتحليل جزئيات الأخبار و موضوعاتها لمعرفة وجه الخطإ فيها و التحريف و الخروج عن المعهود و المعقول و مقارنتها مع الأحداث التاريخية و الآثار العمرانية ، و إنما كان ذلك بالاستعانة بالعلوم الحديثة و ما استجد من نظريات علمية لم تكن معروفة في الماضي مع الإلمام بالدراسات القرآنية و التخصص في القرآن و السنة .(1)

2 -1- نقد سند المرويات :

إن عدد المرويات من الإسرائيليات لا يمكن حصرها في مؤلف واحد ، لذا اعتمد الشيخ أبو شهبة على عدد منها للدراسة و بيان أوجه الخطإ و التحريف فيها ، و لما

---

1 -أبوشهبة محمد : المرجع السابق ص 11

كانت هذه المرويات منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو المعصوم من الخطأ ، و حيث إن صحتها و نسبتها للرسول الكريم يجعلها واجبة الإتباع عند علماء التفسير بالمأثور، استوجب على المؤلف اتباع خطى العلماء من قبله ، للتأكد من نسبتها إلى الرسول عليه الصلاة و السلام ، و لذلك كان نظر الشيخ أبا شهبة إلى سند الرواة أولا ، و من ذلك ما ورد في المرويات عن قصة آدم عليه السلام المبنية على قوله تعالى :

"فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ " (1)

فقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره عن وهب بن منبه بسنده عن ابن عباس و عن ابن مسعود ، و كذلك أورد السيوطي في الدر المنثور و لكنه لم يذكر الرواية عن وهب بن منبه بأنه لما أسكن الله آدم و زوجته الجنة و نهاه عن الشجرة ، و كانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض ، و كان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم و هي الثمرة التي نهى الله آدم عنها و زوجته ، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية و كانت للحية أربعة قوائم ، كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فجاء إلى حواء ، فقال : انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، و أطيب طعمها ، و أحسن لونها ، فأخذت حواء فأكلت منها ، ثم ذهبت إلى آدم ، فقالت له مثل ذلك ، حتى أكل منها ، فبدت لهما سوءاتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : ياآدم أين أنت ؟ فقال : أنا هنا يارب قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يارب ، قال : ملعونة الأرض التي خلقت منها ، لعنة يتحول عمرها شوكا ..ثم قال : يا حواء ، أأنت التي غررت بعبدي ؟ فإنك لا تحملين

.....

1 -البقرة الآية 36

حملا إلا حملته كرها ، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا ، و قال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ، و لا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة ابن آدم و هم أعداءك ..قال عمرو : قيل لوهب : و ما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء . (1)

و إن السند في هذه الرواية الواهية تفطن له ابن جرير الطبري نفسه حيث رأى أن الرواية السالفة و إن رويت عن ابن عباس و ابن مسعود إلا أنها لا تنسب إلا إلى وهب بن منبه ، أما إذا حملناها على تفسير الآية الكريمة فإنها تتنافى مع صريح النص القرآني ،و من الروايات الإسرائيلية المبثوثة في كتب التفسير و منها تفسير الطبري و السيوطي في الدر المنثور و تفسير البغوي و غيرهم ، تعرضهم لتوبة آدم عليه السلام الواردة في قوله تعالى :

" **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** "(2)

فقد ذكر السيوطي أنه أخرج الطبراني في المعجم الصغير و الحاكم و أبو نعيم و البيهقي و ابن عساكر عن ابن الخطاب عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه ، رفع رأسه إلى السماء ، فقال : أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه ، و من محمد ؟ فقال : تبارك اسمك ، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك ، فإذا فيه مكتوب (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليه : ياآدم إنه آخر النبيين من ذريتك ، و لولا هو ما خلقتك "(3)

.....

1-الطبري بن جرير : المصدر السابق ج 1ص 187

2-البقرة الآية 37

3 – السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، لبنان ، ط 2 ،1983 ج 1 ص 58

و في رواية أخرى أخرجها الديلمى بسند ضعيف عن علي كرم الله وجهه أنه سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن قوله تعالى " **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** " فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله أهبط آدم بالهند و و حواء بجدة و إبليس ببيسان و الحية بأصبهان و كان للحية قوائم كقوائم البعير ، و مكث آدم بالهند مائة سنة باكيا على خطيئته ، حتى بعث الله إليه جبريل و قال : ياآدم ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ألم أسجد لك ملائكتي ؟ ألم أزوجك حواء أمتي ؟ قال : بلى . قال : فما هذا البكاء ؟ قال : و ما يمنعني من البكاء ، و قد أخرجت من جوار الرحمن ، قال : فعليك بهذه الكلمات فإن الله قابل توبتك و غافر ذنبك قل : اللهم إني أسألك بحق محمد و آل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءا و ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنك أنت الغفورالرحيم ، اللهم إني أسألك بحق محمد و آل محمد سبحانك ، لا إله إلا أنت ، عملت سوء و ظلمت نفسي ، فتب علي ، إنك أنت التواب الرحيم ".(1)

و العجيب في الأمر كما يرى الشيخ أبو زهرة أن الديلمي نقد الحديث بأن سنده واه و لكنه مع ذلك ذكره ، و في هذا الخطأ الكبير لأنه أفسد تفسير الآية بإيراده. (2)

و يستطرد الشيخ أبو زهرة في ذكر الإسرائيليات و بخاصة ما ارتبط منها بتفسير الآيات القرآنية و منها قوله تعالى :

" **وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** " (3)

و ما ذكر حولها من أعاجيب حول الملكين هاروت و ماروت ، و كذلك قصة داوود .....

1-أبو شهبة محمد : المرجع السابق ص 180

2- نفسه ص 181

3-البقرة 102

و جالوت استنادا إلى قوله تعالى :

" يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سُدًا " (1)

كما أن أكثر الروايات الإسرائيلية كانت مرتبطة بتاريخ بني إسرائيل و أهل الكتاب بما فيهم ماحدث للنبي عيسى عليه السلام ، و منها سؤال موسى عليه السلام رؤية ربه في قوله تعالى :

" وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيْقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنْ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ "(2)

و كذلك قصة فتنة سيدنا سليمان عليه السلام الواردة في قوله تعالى :

" وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ " (3)

ففي هذه القصة الأخيرة ، يثبت السيوطي في تفسيره حديثا لابن عباس رضي الله عنه يفسر فيه الآية السابقة يقول فيه :

" قال : أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى جرادة خاتمه ، و كانت جرادة امرأته و كانت أحب نسائه إليه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي فأعطته فلما لبسه دانت له الجن و الإنس و الشياطين ، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها : هاتي خاتمي قالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت لست سليمان ، فجعل لا يأتي احدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عز و جل و قام الشيطان يحكم بين الناس ".(4)

.....

1 - الكهف 94

2-الأعراف 143

3-ص 34

4 -السيوطي جلال الدين : المصدر السابق ، ج 7 ص 179

و هكذا تتتابع قصص الأنبياء و الرسل المروية بنفس الطريقة ، و هي كثيرة لا يمكن حصرها في هذا البحث ، ولكنها تأخذ كلها طابعا أسطوريا ، يختلف عن سياق القصص القرآني ، و منها قصة النبي أيوب و نوح و إلياس عليهم السلام ثم قصة الذبيح و اختلافهم في كونه اسماعيل أم إسحاق عليهما السلام ، و كذلك قصة ذو القرنين و بلقيس ملكة سبأ و القصة العجيبة و الغريبة لجبل ق المزعوم .

فقد ورد عن ابن عباس : " خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له " ق " السماء الدنيا مترفرفة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل الأرض سبع مرات ...." (1)

و هكذا تستمر الرواية بنفس النسق سبعة أرضين و سبعة أبحر و سبعة أجبل و سبع سموات ، معضدة بآية قرآنية ، لقوله عز و جل :

" **وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ** " (2)

و بالتالي يصبح النص القرآني سندا للقصة ، التي تنأى عن الحقائق التاريخية ، و يرفضها العقل و الدين .

2 -2- نقد محتوى المرويات و إن صح السند :

إن اعتماد النص القرآني على التفسير المأثور جعل بعض المفسرين المحدثين يقعون

.....

1 – السيوطي : المصدر السابق ج 7 ص 589

2 – لقمان الآية 27

في حرج التعامل مع النص القرآني ، حيث إن بعض الأخبار المروية فيها مخالفة صريحة للحقائق العلمية و الظواهر الكونية ، ومنها كروية الأرض و دورانها حول نفسها وحدوث الرعد و البرق و الصواعق و حقائق الكواكب و المجرات ، لذلك نجد الشيخ أبازهرة يتعرض لبعض الأخبار بعين متبصرة معتمدا على الحقائق العلمية و مرتكزا على ميزان العقل .

فقد ورد في بعض المرويات حديثا مرفوعا إلى الرسول صلى الله عليه و سلم بأن عمر الدنيا سبعة ألاف سنة و أن النبي صلى الله عليه و سلم بعث في آخر السادسة ، غيرأن الشيخ أبا زهرة يرفض الحديث و ينفي أن يصدر من رسول الله عليه الصلاة و السلام.

.

"أقول على فرض تسليم صحتها ، فصحتها عن ابن عباس لا ينفي أنها من الإسرائيليات التي تحملها ابن عباس و غيره لما فهموه من الإذن في الأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا و هذا لا يتنافى كونها باطلة في نفسها ".(1)

و تزداد الهوة شساعة بين النص القرآني و بعض الآثار المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فيما يتعلق ببعض الظواهر الكونية الطبيعية ، و منها تفسير قوله تعالى : " **وَ يُسَبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ** " (2)

فقد رأى كثير من المفسرين بالمأثور أن الرعد المذكور في الآية إنما هو ملك يسوق السحاب ، فيسمع صوت زجره للسحاب ، و هو في نفس الوقت تسبيح لله سبحانه ، و قد اعتمد المفسرون في ذلك على الحديث الذي رواه أحمد و صححه الترمذي و النسائي عن ابن عباس .

.....

1 – أبوشهبة محمد : المرجع السابق ص 290

2 – الرعد ألآية 13

قال: أقبلت اليهود إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا : أخبرنا عن الرعد ماهو ؟ قال : ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله ، فقالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال : صوته ،قالوا : صدقت . (1)

إن وصف الرعد بأنه ملك بيده سوط يزجر السحاب ، تفسير نتحرج في قبوله ، على فرض صحة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لو أنه قابل للتأويل على أساس أن الملائكة جنود الله ، و إن أحدهم وكل بمهمة إحداث الرعد و البرق ،(2) إلا أنه يتعارض مع النص القرآني ذاته ، الذي يؤكد قدرة الله الخارقة في إيجاد الظواهر الطبيعية ، و منها قوله نعالى :

"**وَ هوَ الذِي يُرِيْكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَ طَمعاً وَ يُنْشِئُ السِحَابَ الثِقَالَ** " (3) "

و كذلك قوله تعالى :

"**وَ يُرْسِلُ الصَوَاعِقَ فَيُصِيْبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ** " (4)

و لذلك يخلص الشيخ أبو شهبة إلى رفض الحديث و إن صح سنده .

" و هذا الحديث – إن صح – يمكن حمله على التمثيل ، و لكن لا يطمئن قلبي إليه ، و لا أكاد أصدق وروده عن المعصوم صلى الله عليه و سلم ، و إنما هو من إسرائيليات بني إسرائيل ألصقت بالنبي صلى الله عليه و سلم زورا "(5)

.....

1-رواه أحمد بن حنبل و الترمذي عن ابن عباس و صححه النسائي ،أنظر أبوشهبة محمد : المرجع السابق ص 297.وورد عن ابن عباس عن المنجاب بن الحارث عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله : الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد و هو الذي تسمعون صوته " أنظر : الطبري : المصدر السابق ج 1 ص 116 .

2-أبوزيد نصر حامد : مفهوم النص ص 223

3-الرعد الآية10

4-الرعد الآية11

5 – أبوشهبة محمد : المرجع نفسه ص 297

و بهذا يتوصل الشيخ أبو زهرة إلى ضرورة نقد التفسير المأثور ، فيما يتعلق بالقصص التاريخي السابق لعصر النبوة ، و الذي يؤخذ من مصادر إسرائيلية ، و يلحق بالحديث الشريف أولا ثم بالتفسير ، للإساءة إلى النص القرآني ، من حيث تعارضه مع العقل و المنطق و العلم .و ينادي بضرورة التفسير القرآني للقرآن لتفادي التحريف في الشرح و التفسير .

الفصل الثاني :

علاقة التفسير بالترجمة

المبحث الأول –أحكام ترجمة القرآن :

يمثل القرآن الكريم عند العرب منذ نزوله إلى زماننا الكتاب المقدس الذي لاتشوبه شائبة، إذ اعتبروه وحيا إلهيا يستوعب من المعارف و الأخبار ما يقصر على البشر إدراكه في عصورهم السابقة و اللاحقة .

و قد دفع هذا علماء التفسير منذ العصور الإسلامية الأولى إلى محاولة ترجمته إلى العامة من الناس و طلاب العلم منهم ، بنفس اللغة التي كتب بها ، و ذلك ابتداء من القرن الثاني للهجرة ، و لم تكن فكرة الترجمة تلح عليهم بالقدر الذي نراه في عصرنا الحاضر ، إذ اشتد الصراع مع مشارف القرن العشرين الميلادي بين العلماء و الجمعيات الدينية و الهيئات الإسلامية العليا حول قضية ترجمة القرآن إلى لغات العالم المختلفة ، فاحتدمت المطارحات حينا و فترت أحيانا أخرى ، بين مؤيدي الترجمة و محرميها ، وأخذت البحوث النظرية القسط الوافر من أقلام و فكر العلماء ، بعيدا عن الترجمة الفعلية التي كان يقوم بها عادة مترجمون غير مسلمين و من غير العرب ، غير عابئين بفتاوى العلماء المسلمين في القضية ، و لا يتبعون شروطهم المقترحة في ترجمة النص القرآني ، و نتج عن هذا الحال ظهور عدد غير قليل من الترجمات الغثة و السمينة تسير سيرا نحو إثبات ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية و لكنها تحمل من النقائص ما يجعلها تنأى عن الهدف المراد .

و قد كانت جل البحوث و الدراسات التي أثارت قضية ترجمة النص القرآني تحاول فك رموز الترجمة كعملية مميزة في نقل ثقافة الشعوب ، بيد أن النظرة السائدة انطلقت من أسس أصولية ، مرتكزة على الإفتاء في قضية الترجمة ذاتها ، و مع ذلك ألفينا الكثير

من علماء الأصول يتعرضون لخصائص الترجمة و أسسها ، حين يتعرضون لقضية الإفتاء في جواز أو حظر ترجمة النص القرآني المقدس.

لقد اشتد الصراع حول ترجمة القرآن الكريم في نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور الاستشراق في البداية ،ثم بعد حركة الاستعمار الأوروبي على الدول العربية الإسلامية ،وازداد عنفوانا وقوة مع بداية القرن العشرين، بيد أن فكرة ترجمة القرآن بصفة جزئية على الأقل ظهرت مع البدايات الأولى للإسلام ، فقد روي أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه يطلبون منه ترجمة سورة الفاتحة إلى اللغة الفارسية ففعل ، وعرضها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ذلك ، وبعثها سلمان إليهم فكانوا يقرؤونها في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للنطق باللغة العربية .
وفي راوية أخرى أن سلمان رضي الله عنه ترجم لهم قوله تعالى : " بسم الله الرحمن الرحيم "
بقوله :" بنام غداكي بخشانده مهربان ."(1)

ورغم أن العلماء المحدثين يقدحون في هذا الأثر إلا أنه كان مثار جدال ونقاش حاد بين أئمة المذاهب الدينية الأربعة ، فتفرقوا إثره بين مؤيد للترجمة ومحرم لها .
أ) **المذهب الحنفي** : استند الإمام أبو حنيفة على الأثر القائل بأن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ترجم سورة الفاتحة لأهل فارس ، لما رآهم يقبلون على الدين الجديد و غرضه من ذلك تطويع ألسنتهم للنطق بالعربية دون عجمة ، (2) فأجاز ترجمة

.....

1-الزرقاني محمد عبد العظيم : المرجع السابق ص 163

2 – الصابوني محمد علي : المرجع السابق ص311

القرآن و القراءة بها في الصلاة ، إلا أنه عاد ورجع عن رأيه حين قال :
"من كان (المصلي) قادرا على العربية ففرضه قراءة النظم العربي ، ولو قرأ بغيرها فسدت صلاته لخلوها من القراءة مع قدرته عليها.. "(1)
وكان هذا الرأي مسوغا لعلماء الحنفية المحدثين بالإقرار بعدم جواز قراءة القرآن بغيرالعربية خارج الصلاة ،لأن ذلك من قبل التصرف في قراءة القرآن بما يخرجه عن إعجازه .
و بهذا تغدو القراءة في الصلاة بغير العربية محرمة إجماعا .

ب) رأي المالكية :
لم يجز المالكية قراءة القرآن بغير العربية ، فإن عجز المصلي عن النطق بالعربية، إأتم بمن يحسنها فإن لم يجد سقطت عنه قراءة الفاتحة .(2)

ج) رأي الشافعية : قال الشافعية على غرار المذاهب الأخرى بعدم جواز قراءة القرآن بغير اللسان العربي سواء في حالة التمكن أو العجز عن تعلم العربية و النطق بها و سواء كان القارئ في الصلاة أو خارجها .
قال الزركشي : " لا تجوزقراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة و خارجها " .(3)

.....

1 -الزرقاني محمد عبد العظيم : المرجع السابق ص 163

2- المرجع نفسه ص 161

3-الزركشي : المصدر السابق ج 1 ص 464

د) **رأي الحنابلة :** تشدد الحنابلة في قضية الصلاة بقرآن مترجم، بل وحرموها إجماعا، فمن قرأ أم القرآن أو شيئا منها أو شيئا من القرآن في صلاته مترجما بغير العربية أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التي أنزل الله تعالى عامدا لذلك، أو قدم كلمة أو أخرها عامدا لذلك، بطلت صلاته وهو فاسق ،(1)لأن الله تعالى قال :

" **قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ". (2)

وغير العربي ليس عربيا ،فليس قرآنا وإحالة عربية القرآن تحريف لكلام الله ، وقد ذم الله من فعلوا ذلك فقال سبحانه :

" **يُحَرِفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** " (3)

و من كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته لقوله تعالى :

" **لَا يُكَلِفُ اللهُ نَفْساً إِلَّآ وُسْعَهَا** " .(4)

إن الموقف الموحد لعلماء الإسلام الرافض لترجمة الآيات القرآنية ، نابع أصلا من حرصهم الشديد على الحفاظ على كتاب الله ولغته الأصلية ، بيد أن القضية ارتبطت لديهم بإقامة الصلاة ، فكان الاتجاه السائد هو التحريم مطلقا . لذا فقد ناقشوا هذه الفكرة من منطلق فكري عقائدي .

.....

1 -الزرقاني محمد عبد العظيم :المرجع السابق م 2 ص 162

2 -الزمر الآية 28

3 -النساء الآية46

4-البقرة ألآية 286

لقد كان لظهور ترجمات القرآن الكريم في أوروبا منذ القرن الثاني عشر ميلادي أثره السلبي على القارئ غير العربي ، بحيث تم تشويه وتحريف معاني الآيات ، ولم تكن الدراسات عند الجانب الإسلامي مواكبة لحركة الترجمة إلى غاية بداية القرن العشرين إذ بدأت الدراسات تنهال تباعا في الصحف و المجلات تعالج موضوع ترجمة القرآن، ومنها مقال الشيخ محمد رشيد رضا الموسوم" ترجمة القرآن وما فيها من مفاسد ومنافاة للإسلام "(1926).(1)

كما صدرت كتب منها "حكم ترجمة القرآن و قراءته و كتابته بغير اللغة العربية" لمحمد حسين مخلوف العدوي (1925) و" تنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين "لأبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي (1117للهجرة) و كذلك "حجة الله على خليقته في بيان حقيقة القرآن و حكم كتابته و ترجمته " لمحمد بخيت المطيعي (1932) و " القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد " لمصطفى الشاطر (1932) و "حادث الأحداث في الأقدام على ترجمة القرآن" للشيخ محمد سليمان القاضي (1936) ، وفي نفس السنة إنبرى مجموعة من العلماء لمناقشة قضية ترجمة القرآن الكريم و منهم عبد الرحمن الجزيري (أحسن البيان في الرد على الشيخ محمد الشاطر و غيره من المانعين لجواز تفسير القرآن) و محمد الههياوي (ترجمة القرآن غرض للسياسة و فتنة في الدين) .كما نشر الشيخ محمد مصطفى المراغي بحثا في مجلة الأزهر عنوانه "ترجمة القرآن أحكامها" (1936) ،وكذلك فعل الشيخ محمود شلتوت في نفس السنة في مجلة الأزهر ، إذ

.....

1 – البنداق محمد صالح : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 1980 ، ص 65 .

نشر بحثا عنوانه " ترجمة القرآن و آراء العلماء فيه ".

و لقد تحمس الشيخ محمد مصطفى المراغي حماسا كبيرا لفكرة ترجمة القرآن الكريم ،بل ذهب أبعد من ذلك حين أقر إمكانية ترجمته ترجمة صحيحة ، و إن تعطيل القرآن في نظره عن الترجمة الحرفية قد يقضي عليه بألا يكسبه أنصارا من الأمم الأخرى و بخاصة الأوروبية منها ، و سار على هديه الأستاذ محمد فريد وجدي مدير مجلة الأزهر،حيث نشر بعض أرائه في بحث عنوانه " الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية "(ربيع الأول 1355 –يونيو 1936).

و قد نشرت أبحاثه تباعا في جريدتي المقطم و الأهرام ثم جمعت في عدد خاص من مجلة الأزهر(1936) .و كتب على غلاف المجلة : " ردود علمية على الذين يذهبون إلى عدم جواز ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، تصحيحا للترجمات الموجودة و تعميما للدعوة الإسلامية " .(1)

و كان سبب إنجاز البحث الرد على مشايخ الأزهر، و من بينهم الشيخ مصطفى الشاطر و محمد سليمان و كذلك الشيخ التفتازاني والأستاذ أحمد محمد شاكر و الشيخ مصطفى صبري ممن عارضوا معارضة شديدة إجازة الترجمة الحرفية و قيام الترجمة مقام الأصل .

و قد فند الشيخ مصطفى صبري كل الآراء التي جاء بها الأستاذ فريد وجدي حول ترجمة القرآن ، و ذكر الأدلة القاطعة التي تحظر الترجمة ، مع إمكانية ترجمة معاني القرآن من خلال الترجمة التفسيرية .(2)

"إني لا أرى خيرا قط في هذه الفكرة ، فكرة تحويل وجوه المسلمين غير العرب إلى التراجم و .....

1 –البنداق محمد صالح : المرجع السابق ص 74

2 – عبد الحكيم عيد : حركة الترجمة الحديثة ، شركة الملل للطباعة و النشر ، 1997 ، ص 137

ترجيحها لهم ، فلو كان السلف الصالح من علماء الإسلام في هذه العقلية و زينت لهم هذه الفكرة لما بقي القرآن الكريم في أيدي الشعوب المسلمة غير العرب ... و تلخيص الكلام أن في القرآن نظرتين نظر الفقهاء و نظر المتكلمين ، فعلى نظر الفقهاء و تعريفهم فإن القرآن عبارة عن النظم و المعنى ، و هما جزءان للقرآن لا فرق بينهما في عدم جواز إخلاء القرآن من أحدهما بل أكثر ما يدور تعريفه على أوصاف النظم و لا يفهم من هذا عدم اهتمامهم بالمعنى بل إنهم رأوا أسلم طريق محافظة المعنى في محافظة النظم ".(1).

و غلب على ردود علماء الأزهر التركيز على ما في الترجمة من عيوب و مساس بمقدسات الاسلام ، لذا توجه أصحابها وجهة التحريم عوض البحث الموضوعي المتعمق لهذا النمط من الترجمة .

في خضم هذه الخلافات تصدر اللجنة العلمية للأزهر الشريف فتوى بخصوص ترجمة القرآن على شكل رسالة بعثت بها جماعة كبار العلماء إلى مجلس الوزراء المصري سنة 1936 ، بعدما كانت ختام العديد من الاجتماعات بالجامع لأزهر بداية من سنة 1929 ، و قد تبنت الجماعة فكرة ترجمة تفسير القرآن لكريم أو الترجمة التفسيرية، و حظرت الترجمة الحرفية ، بيد أن الأستاذ فريد وجدي عارض الفكرة داعيا إلى ترجمة دقيقة ، و أشد ما كان يخشاه أن يوكل أمر الترجمة إلى من لا يحسنون اللغات الغربية و لا يحسنون الترجمة . (2)

إستند علماء الأزهر في فتواهم على موقف علماء الإسلام القدامى الموحد الرافض لأي نوع من الترجمة ، و هو موقف نابع أصلا من حرصهم الشديد على الحفاظ على كتاب الله ولغته الأصلية ، بيد أن القضية ارتبطت لديهم بإقامة الصلاة ، فكان الاتجاه السائد

.....

1- عروة محمد : التبيان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 302

2 -البنداق محمد صالح : المرجع السابق ص 74

هو التحريم مطلقا . لذا فقد ناقشوا هذه الفكرة من منطلق فكري عقائدي ، وقد طرحوا لاثبات فكرتهم عدة علل نذكر منها :

1) القرآن الكريم لفظ و معنى :

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحيا لفظا ومعنى، وبلسان عربي مبين لقوله تعالى :

" **نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِيٍّنٍ** " (1)

و الترجمة تحول معاني القرآن من اللغة العربية إلى لغة أخرى ، فتنتج معان قرآنية جديدة خالية من لفظه ومستبدلة بألفاظ ليست ألفاظه.

2) القرآن يتعبد بتلاوته :

إضافة إلى كون النص القرآني يجمع بين اللفظ و المعنى ، فإنه يتعبد بتلاوته سواء في الصلاة أو خارجها ، وهذا مما يستحيل حدوثه مع الترجمة لأنها ليست قرآنا ، وقد فصل في هذا الأمر فقهاء الإسلام في العصور السالفة بتحريم ترجمة الفاتحة إلى اللغة الفارسية وقياسا إلى لغات العالم .

3) القرآن معجز في نظمه :

إن الباحث في خصائص القرآن تعترضه بما لا يدع مجالا للشك ظاهرة الإعجاز الكامنة في النظم ، حيث يربط بين نظم الكلام وبلاغته من جهة وبين معاني النحو وقواعده و أسسه من جهة أخرى ، وهذا قد يفضي إلى تعجيز في الترجمة لأنه لا يمكنها بحال أن تفي بنقل هذه الخصائص .(2)

.....

1 – الشعراء الآية 195

2 – عروة محمد : المرجع السابق ، ص 302

المبحث الثاني – بين الترجمة و التفسير :

لقد تعرض الشيخ محمد عبده بالتفصيل لأصول التفسير مركزا على دور المفسر و خطورته في شرح النص القرآني ، فللتفسير مراتب يصل إليها من أقدم على شرح المعاني السامية للوحي الإلهي ، مرتبتان تحديدا يبلغهما المفسر و هما مرتبة عليا و مرتبة دنيا .(1)

المرتبة العليا و لا يبلغها إلا العلماء المخلصين ، لذلك يقيدها المؤلف بخمسة شروط هي:

1) فهم حقائق الألفاظ المفردة و استعمالات اللغة ، فالعلم بأحوال اللغة من حيث التراكيب و الألفاظ و دلالتهما يساعد على تفكيك بناها النحوية و الصرفية و التمكن من ربطها بالسياق .

2) معرفة الأساليب الرفيعة بمعرفة بلاغة القرآن ، فالنص القرآني يحوي الأساليب المباشرة و غير المباشرة ، فلن يتمكن المفسر من الولوج إلى خبايا الآيات المتشابهة إلا بمعرفة بلاغة النص .

3) العلم بأحوال البشر و معرفة سنن الله الكونية في تطور الأمم و اختلاف أحوالهم من قوة و ضعف و عز و ذل و إيمان و كفر ، و هذا الاتجاه برز جليا في تفسير الشيخ محمد عبده لأنه يعتبر القرآن الكريم صالحا لكل زمان و مكان ، فيجب فهمه و تفسيره حسب ما يقتضيه تطور البشرية في كل عصر و آن .(2)

4) العلم بوجه هداية القرآن للبشرية ، مما ينفي عن النص القرآني ما لحق به من .....

1- عبده محمد :المصدر السابق ، ج 1 ص 21

2 – المصدر نفسه ج 1 ص23

افتراءات خاطئة حين صنف ضمن الكتب العلمية أو الأدبية.

5) العلم بسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه ، فهذا يساعد على معرفةأسباب نزول الآيات و بالتالي حصر محتواها باعتبار خصوص اللفظ أو عمومه فيها.

أما المرتبة الدنيا فيعدها الشيخ محمد عبده حالة يتمكن فيها المفسر من تبيين محتوى النص القرآني ببساطة و يسر ، بصرف النفس عن الشر و جذبها إلى الخير و بهذا تلج إلى حقيقة عظمة الخالق من خلال الوحي الإلهي .

حين يبلغ المفسر المرتبتين سيتمكن من التفسير الصحيح للنص القرآني ، فهما بذلك شرطان أساسيان لعملية التفسير ، تمدانه بقدرة فائقة في التحليل ، ترتكز على العلم باللغة العربية و فروعها ، فمن لم يحسن و لـم يتقن اللغة العربية بقواعدها اللغوية و الأسلوبية ، لن يتمكن من الفهم الصحيح لمعاني النص القرآني .

و العلم باللغة العربية مرتبط بالعلم بأصول العلوم المتعلقة بالنص القرآني ، و منها العلم بالقراءات و علم التوحيد و الأصول و الفقه .

و بعد ذلك ينفرد كل مفسر بصفة جوهرية هي دقة الفهم ، و هي أساس استنباط الشروح و الأحكام ، بحيث تميز بين المتعمق في الشرح و بين العرض السطحي للدلالات .

و لا يخفى ما للمفسر من أهمية في فهم مقاصد الدين و الشريعة ، فالمضطلع بهذه المهمة يحمل حملا ثقيلا ، بشرح و تفسير و ترجمة النص القرآني في نفس لغته بطريقة ميسورة ، تكون ملجأ كل شغوف و متشوق لفهم النص القرآني ، ممن يحسن اللغة العربية ، أما القارئ الذي لا يحسنها ، فإنه يضطر إلى الرجوع إلى نوع آخر من الترجمة ، و هي الترجمة بين اللغات بحيث يسعى المترجم فيها إلى نقل معاني القرآن إلى اللغات المختلفة و إلى أصحاب تلك اللغات المختلفة .

و إذا كان العلماء قد تشددوا في تحديد الأوصاف اللازمة لمن يقدم على تفسير النص القرآني ، و منها بالتحديد صحة الاعتقاد ، فمن الأولى أن تطبق نفس الشروط على المترجم ، لأنه ناقل و مفسر للنص القرآني بلغة غير اللغة العربية .

هذا أمر تصعب الدعوة إليه ، نظرا للعدد الهائل من الترجمات باللغات المختلفة ،التي لا يتقيد أصحابها بأي توجيهات ، من أي جهة كانت .

و الحال هذا يفرض علينا دراسة كافة الترجمات الحديثة و السابقة بغرض تقييمها ، مع بيان ما اشتملت عليه من إيجابيات ، فكل ترجمة مهما كانت يسقط صاحبها لا محالة في فخ سوء الفهم أو سوء التفسير و التأويل ، مما يجعل كل ترجمة عرضة للنقد .(1)

و لهذا تسبق الفعل الترجمي و الصياغة النهائية له عملية فهم النص المصدر ، و فهم اللغة المصدر ، و لفهم اللغة وجب على المترجم إدراك بناها الأساسية ، مثل البنية الصرفية و النحوية و الدلالية و الأسلوبية .

و يفرض فهم النص على المترجم رصد الظواهر اللغوية و خارج اللغوية ، ما تعلق منها بصاحب النص أو محيطه الاجتماعي أو الجوانب الثقافية المساهمة في إنشاء النص .(2)

و يمكن القول إن عملية الترجمة تبنى على فهم المترجم للنص الأصل و لغته ، و حين يتجاوز المترجم هذه المرحلة بإعطاء النص قراءة معينة و تفسيرا محددا ، يمر حينئذ إلى فعل الترجمة ، و الصياغة النهائية لها .(3)

.....

1-ballard Michel : Les Mauvaises Lectures ,in Enseignement de la Traduction , Sous la direction de Jean Delisle , LesPresses de L'Université D'Ottawa , 1998 p 44

2- Idem : p 39

3-المودن حسن : من أجل مقاربة عملية للترجمة ، مجلة فكر و نقد،السنة 3 ،أكتوبر1999 ،الرباط ،المغرب ، ع 22 ص 54

لا شك أن مترجم النصوص المقدسة و النص القرآني بخاصة يمر بنفس المراحل السابقة ، و لكن تبقى المرحلة الأولى حيوية كي تستقيم الترجمة بعد ذلك ، إذ أن فهم النص القرآني يمر عبر فهم لغة النص بقواعدها اللغوية النحوية و الصرفية و الأسلوبية ، و كذلك الدلالية المرتبطة بالسياق النصي ، أما ما يتعلق بفهم الظواهر خارج- لغوية فنجد التفسير النبوي للنص القرآني و كذا آثار الصحابة و التابعين ، ثم آراء العلماء بعدهم ،و كذلك تحليل الثقافة السائدة و علاقة النص بها و من ذلك تحديد أسباب نزول الوحي القرآني ،و لن يتمكن المترجم من فهم النص و تفسيره إلا بربط تلك الظواهر الخارج -لغوية بالنص .

و يجد مترجم النص القرآني في التفاسير القرآنية المختلفة ، خير معين على فهم النص، لذلك يلمح جل المترجمين الغربيين ، و بخاصة الفرنسيين إلى حتمية الاعتماد على تفاسيير معينة حين إقدامهم على ترجمة النص القرآني ، و لعل جاك بيرك كان أحرصهم على التصريح بمجموع التفاسير التي اعتمدها ، و هي تتنوع بين التفسير المأثور و بالرأي ، و بين التفاسير الحديثة .

1--دلالة الترجمة عند العرب :

ورد لفظ الترجمة عند العرب في العصور الإسلامية الأولى و ما قبلها للدلالة على معان مختلفة تصب جلها حول التوضيح و التبيين .

و الترجمان المفسر للسان ، و تدل الترجمة على تفسير الكلام في ذات اللغة ، لذلك نجد ابن عباس رضي الله عنه ينعت " بترجمان القرآن " أي مفسره (1) ، فلا يعقل أن تحمل اللفظة معنى ناقل الكلام من لغة إلى لغة ، دون قرينة تدل على انتشار النقل

.....

1- ورد الحديث عن محمد بن بشار عن وكيع عن سفيان عن الأعمش عن مسلم قال : قال عبد الله بن مسعود : " نعم الترجمان للقرآن ابن عباس " أنظر : إبن كثير : المصدر السابق ج 1 ص 8 .

و الترجمة في ذلك الزمن المتقدم.و تكون الترجمة في أي اللغة من اللغات بتوضيح مبهم الكلام و غامضه إلى القارئ أو المتلقي بصيغة تقرب له المعنى و الفهم .

و قد حدث هذا منذ العصور الإسلامية الأولى ، فقد كانت القبائل العربية تفد إلى المدينة المنورة حيث يقيم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، غايتها الإنهال من معين القرآن الكريم ،فكان عليه الصلاة و السلام يترجم لهم كل حسب لهجته ، و كلهم يتكلمون لغة واحدة ، بيد أن لهجاتهم تحوي من الفروق ما قد يعيق فهمهم أو يؤثر عليه ، و بذلك الصنيع عرف العرب الترجمة داخل اللغة .

و قد يفسر الكلام من لغته الأصلية إلى لغة مخالفة نسبيا أو مطلقا ، فتكون حينئذ الترجمة بين اللغات ، و هذا المعنى هو الشائع و المتداول ، ولذلك يقال ترجم كلامه إذا فسره بلغة أخرى ، و قيل الترجمان الناقل للكلام من لغة إلى أخرى .

" الترجمان بالضم و الترجمان بالفتح المفسر للسان ، وفي حديث هرقل :"قال لترجمانه " و هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى "(1)

و قبل تداول الفعل **Traduire** الذي أدرجه إتيان دولي في اللغة الفرنسية سنة **1539** ، فقد شاع مصطلح " دراكومان " المشتق من الكلمة العربية "الترجمان "،و قد كان الدراكومان يقوم بمهمة الترجمة لدى الوفود الأجنبية التي تفد إلى القسطنطينية في العهد العثماني ، و لفظ الترجمان هو الأصل فيمن يقوم بمهنة الترجمة ، و لكنه بدل بصيغة جديدة في عصرنا الحديث هي المترجم .(2)

.....

1-ابن منظور : لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 -1991، ج 12 ص 66

2- روبير لاروز : في مفهوم الترجمة و تاريخها ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، مجلة فكر ونقد العدد 22 ، ،ص 44

بينما استعملت لفظة **Traduciblis** للدلالة على نقل الأفكار ، وكذلك **Traduco** تدل على مفهوم النقل عموما في اللغة اللاتنية (1) ، بينما كان لمصطلح التفسير الأنجليزي **Hermeinein** ثلاثة معان أحدها يدل على الترجمة أي نقل المعاني من لغة إلى أخرى (2) ، في حين أخذ مفهوم الترجمة يتطور عند العرب منذ القرن الأول للهجرة، ليدل دلالة ثابتة على نقل المعارف و العلوم من لغة إلى أخرى .

و قد كان للمترجمين السريان الأثر الكبير في ظهور حركة الترجمة المدونة عند العرب ، في العصور الأولى للحضارة الإسلامية ، لكونهم عرفوا حركة ترجمية هامة قبل الإسلام بقرون ، إذ تمكنوا من ترجمة الأناجيل الأربعة في النصف الأول من القرن الثاني للميلاد ، ثم تحول اهتمامهم إلى ترجمة الفكر اليوناني و فلسفته ، فكان أشهرهم سمعة و أجودهم ترجمة على الإطلاق فوقا بن سرجي المعروف بجرجس (القرن 5 أو 6 الميلادي) (3) .و بهذا كان للعلماء السريان الفضل الكبير في العصور الإسلامية في نقل نفس الفكر و الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية ، بالرغم من عدم تأقلمهم مع الثقافة العربية الإسلامية في البداية ، ففي أحايين كثيرة كانوا لايحسنون اللغة العربية بالقدر الذي يسمح لهم بالترجمة الدقيقة ، فكانت معظم الترجمات تتسم بالحرفية الشديدة و الأمانة الدقيقة للأصل اليوناني .

و إن أول ترجمة عربية ظهرت في العصر الأموي ، بإيعاز من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 للهجرة) (4) الذي انصرف عن الخلافة إلى العلم و الترجمة ،

.....

1- Felix Gaffio :Le Grand Affio Dictionnaire Latin-Français ,Hachette ,Paris 2000 ; p 1613.

2 – عزيز فهيم : علم التفسير ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة مصر ، ص 9 .

3–الديداوي محمد : الترجمة و التواصل ،المركز الثقافي العربي ، المغرب ط 1 – 2000ص 83

4-Redouane Joelle :Encyclopédie de la traduction , OPU.1996 ,p6.

فاتصل بجماعة من العلماء بمصر ، و طلب منهم ترجمة الكتب اليونانية إلى اللغة العربية ، و كان أول كتاب ترجم هو " أحكام النجوم " المنسوب إلى "هرمس " .(1)

يؤكد الجاحظ ذلك بقوله :

" و كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا و فصيحا جامعا ، و جيد الرأي كثير الأدب و كان أول من ترجم كتب النجوم و الطب و الكيمياء " (2)

و لم تتضح المعالم المنهجية للترجمة إلا في عصر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، حيث شجع الترجمة من العلوم اليونانية ، مع إنشائه "ديوان الترجمة"، و سار الخليفة هارون الرشيد على نفس النهج ، فوسع الديوان و كلف مجموعة من المترجمين بنقل التراث اليوناني ، و من أشهرهم يوحنا بن ماسويه. أما الخليفة عبد الله المأمون (198 -218 ه) فقد قام بتأسيس أعظم صرح للترجمة و هو" بيت الحكمة " . فدخلت الترجمة العربية – السريانية طورا جديدا متميزا في عهد هذا الخليفة .

لقد كان بيت الحكمة صرحا علميا عظيما ، فقد حوى مجمعا علميا و مرصدا فلكيا و مكتبة عامة تضم المئات من الكتب المترجمة ، أما قسم الترجمة فقد ضم قسما للتأليف و آخر للغات و منها اليونانية و السريانية و الهندية، وكلف مجموعة من المترجمين بمهمة نقل العلوم المختلفة إلى اللغة العربية ، ومنهم

.....

1-العيسى سالم : الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية ، إتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، 1999 ، ص 19

2- الجاحظ أبو عثمان : البيان و التبيين ، دار الفكر ، ج 1 ص 328

حنين ابن إسحاق و بختيشوع بن جرجيس و جبرائيل بن بختيشوع و قسطابن لوقا و محي بن هارون و يوحنا بن البطريق و ثابت بن قرة الحراني و عبد المسيح بن ناعمة الحمصي و أبو البشر بن متى ، فقد شجعهم الخليفة و أمدهم بكل ما يحتاجونه من وسائل لإثراء حركة الترجمة إلى اللغة العربية ، إذ أغدق عليهم الأموال في سبيل ذلك ، و بعث بعضهم إلى القسطنطينية لجلب المخطوطات الثمينة .(1)

و كان حنين بن إسحاق من الذين يتقنون اللغة العربية نظرا لنسبته إلى قبيلة "عباد " العربية (الحيرة – العراق) إذ تمكن من الجمع بين الترجمة السريانية الحرفية و البيان العربي ، و هذا المزج جعله أكثر قدرة و براعة في إنشاء الجملة العربية البليغة في مجال الترجمة .

"و طريقة حنين بن إسحاق تتمثل في التكييف السهل مع الأصل الإغريقي ، و في دقة التعبير من دون حشو ،تلكم البلاغة التي اشتهر بها حنين " .(2)

نعتت الطريقة التي اتبعها ابن إسحاق بالترجمة البيانية ، و هي نفسها التي حدد قواعدها و أسسها الأديب العربي أبو عثمان الجاحظ ، انطلاقا من نظرته الخاصة للبيان .

تتبع الجاحظ باهتمام كبير خطى حركة الترجمة في العصر العباسي ، مطلعا على اللغة العربية محاولا مقارنتها مع اللغات البشرية الأخرى ، و بالرغم من عدم تمكن

.....

1 – العيسى سالم : المرجع السابق ص 25

2– نفس المرجع ص 93

الجاحظ من معرفة اللغات الأعجمية ، فقد خلف لنا نظرية هامة في الترجمة انطلاقا من أفكاره النظرية البحتة .

كانت الترجمات ركيكة و سيئة في أحايين كثيرة ، و منها الجيد في بعض الأحيان ، مما دفعه إلى إرساء دعائم نظرية لغوية للترجمة ، ترمي إلى تفادي كل انزلاق و تحريف للنصوص ، و هي ماصطلح عليه بالترجمة البيانية ، و قد أطلق عليها فيما بعد الترجمة شبه حرفية أو الترجمة المكيفة .(1)

لقد ركز الجاحظ في إشاراته و ملاحظاته حول عملية الترجمة على ضرورة الإلمام بموضوع الترجمة أي الإلمام بمحتوى النص ، و اشترط إصباغه بصبغة بيانية تتفق مع خصائص اللغة العربية المنقول إليها ، فيكون اللفظ هو لب ترجمة النص ، لذلك استوجب الدقة في ترجمته بغرض إفهام القارئ (2) .

و الخطوات التي اتبعها حنين ابن إسحاق ما هي إلا صدى لأراء الجاحظ الترجمية ، كما تعرض إلى أعمال سابقيه من المترجمين السريان ، فنقدهم نقدا شديدا لم يسلم منه حتى فوقا بن سرجي و هو أمهرهم ، بيد أن النهج الذي سار عليه المترجمون السريان لنقل الفكر و الفلسفة اليونانية إلى اللغة السريانية ثم العربية ، اتسم بالحرفية مثل ما نجد عند يوحنا بن البطريق و ابن الناعمة الحمصي ، حيث ينظران إلى الكلمة المفردة في اللغة الأصل مع الإتيان بمرادف لها في اللغة المنقول إليها ، أما حنين بن إسحاق فيأخذ الجملة و يدرك معناها ثم يعبر عنها في اللغة المستقبلة بجملة تطابقها سواء تساوت الألفاظ أم اختلفت .

و قد تفطن الجاحظ لفرط ذكائه بخطورة الترجمة ، فأولاها جهدا عظيما لدراستها و

.....

1- الديداوي محمد : المرجع السابق ص 83

2 -كار مريم سلامة:الترجمة في العصر العباسي ،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سورية ،1998 ، ص 88 .

تحديد أسسها و ضوابطها ، إلا أن أصعب أنواع الترجمة في نظـره ترجمـة الكتـب الدينية فهي عويصة ، و الخطأ فيها يكون ضرره كبير على الدين و العقيدة .

و لم تطرح فكرة ترجمة النص القرآني المقدس كاملا في عصر الجاحظ و ما بعده، نظرا للغلبة التي فرضها العرب على الأجناس و الشعوب المجاورة ، بقـوة ديـنهم و لغتهم و آدابهم ، إلا أن تحليل الجاحظ لظاهرة ترجمة النصـوص الدينيـة ، تـوحي باهتمام الجاحظ بترجمة كتاب المسلمين المقدس ، حيث ينتهي إلى استحالة ترجمته ، سواء من حيث الشكل أو المضمون ، فترجمته مستحيلة مثل استحالة ترجمـة الشـعر العربي ، لما يتميز به من إيقاع ساحر ، يختلف في جوهره عن شعر الشعوب المختلفة (1).

أما مضامين النص الديني المقدس فهي صعبة الترجمة من لغة إلى أخرى ، و بخاصة مع النص القرآني ، الذي يخبر عما يجوز و لا يجوز ، أي أنه منبع التشريع و ذالتوحيد ، لذا وجب على كل خائض فيه ، أن يعلم احتمالات وجوهه ، و دلالات العام و الخاص ، و التأويل ووجوهه ، و يعرف أمثال النص الديني و بلاغته و مميزات الوحي فيه ثم على المترجم معرفة خصائص لغة النص الأصلية ، و منها أبنية الكلام و قواعد اللغة العربية ، فإذا لم يتمكن المترجم من ذلك أخطأ الفهم و التأويل و بالتالي الترجمة .(2)

" و حتى يعلم مستقر العام و الخاص .. و حتى يعرف المثل و البديع و الوحي ، و الكناية و فصل ما بين الخطل و الهذر و المقصور و المبسوط و الاختصار ، و حتى يعرف أبنية الكلام و عادات القوم و أسباب تفاهمهم ، و الذي ذكرنا قليل من كثير " .(3)

.....

1 – الجاحظ أبوعثمان : الحيوان ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 1996 ، ج 1 ص 75

2–نفس المصدر ج 1 ص 78

3– نفسه ص ج 1 ص 77

و بهذا ندرك أن الجاحظ تفطن إلى خطورة ترجمة النصوص الدينية المقدسة ، لما فيها من إمكانية تحريف النصوص ، و بالتالي تغيير ملامح الدين ، و هي نظرة تؤدي بنا إلى استحالة ترجمة بعض الأنماط النصية عند الجاحظ ،فهو يرفض ترجمة الشعر و النصوص الدينية ، و لكنه يثبت ترجمة النصوص العلمية و التقنية ، نظرا لاهتمام المترجم فيها على نقل الدلالات دون الشكل .

" و متى لم يعرف ذلك المترجم أخطأ في تأويل كلام الدين ، و الخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة و الصناعة و الفلسفة و الكيمياء و بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم " .(1)

و بهذا فإن المترجمين العرب لم يعرفوا إلا الترجمة الحرفية و البيانية ، كما أن فكرة ترجمة النص القرآني المقدس لم تكن مطروحة آنذاك ، وبالمقابل نعثر على محاولات عديدة من طرف بعض الأوروبيين لترجمة كتاب المسلمين المقدس بداية من القرن الثالث عشر الميلادي ، بغرض تفنيد ما جاء به الدين الإسلامي من عقائد و شرائع تخالف ما ورد في الديانة المسيحية ،و أخذ الاهتمام بالقرآن الكريم يتزايد عند الأوروبيين المهتمين بتراث الشرق الإسلامي .و لم يكد ينتصف القرن العشرون حتى كان القرآن مترجما إلى جل اللغات الأوروبية الحديثة .

.....

1 – الجاحظ أبوعثمان : المصدر السابق ج 1 ص 78

المبحث الثالث-مبادئ تفسير النصوص و ترجمتها :

إن الإقدام على ترجمة كتاب سماوي موحى مثل القرآن الكريم إلى لغات العالم المختلفة و المتباينة ، يعد في ذاته مجهودا فكريا لا يمكن إنكاره ، بيد أنه من الضروري على كل خائض في هذا الحقل من الترجمة أن يتخذ لنفسه هدفا يحقق خاتمة مجهوده ، حتى يتمكن من تدارك النقائص الكائنة عند من سبقه إلى الترجمة ، و إلا وقعت عملية الاجترار، و إن أي مبادرة لترجمة النص القرآني تفرض معرفة حقيقية لكوامن المعاني، وهذا لا يتأتى بمعرفة قوانين اللغة بصفة سطحية بل من خلال التعامل معها بعمق ، حتى أن علماء اللغة على تفرعات ميولهم تاهوا في محاولاتهم لتفسير معاني القرآن فنتج كم هائل وعدد لا يحصى من التفاسير .

فإذا كانت عملية الترجمة بين اللغات تروم أساسا نقل مجموعة رموز ودلالات من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف ، فإنها لا تعدو أن تكون ضربا من التفسير ،فالترجمة هي تأويل نص لغوي بكلام من غير لغته (1) ، و المترجم قبل أن يصل إلى عملية النقل و الترجمة فهو مفسر و مؤول للنصوص المراد ترجمتها ، و يعتمد على كفاءته و قدرته اللغوية لتحديد طبيعة النصوص و مضامينها ،و بالتالي يقوم بقراءة ذاتية للنص الأصل ، يحدد بها تفسيره الخاص لذات النص ، قبل الخوض في عملية النقل لإنتاج نصين متوازيين .

.....

1 – شيخ الشباب عمر : المرجع السابق ص 13

و يرى سالم العيسى إن الترجمة في إطارها الميداني و العملي هي تفسير النص المصدر بلغة جديدة ، فالتفسير يرتكز في الأصل على الأفكار و الدلالات القابلة للنقل دون اللغات .

" الترجمة هي شرح و تفسير ما يقوله و يكتبه الآخر ، من لغة أخرى إلى لغة المتلقي و المستمع، فهي بالنسبة للمترجم تفسير فكرة مصاغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى ".(1)

وعلى هذا الأساس تعامل المترجمون مع النص القرآني ،إذ كان لزاما عليهم فهم النص و تفسيره و في بعض الأحيان تأويله ،و لم يتمكنوا من بلوغ ذلك إلا بالاعتماد على مصادر مساعدة لفهم المعاني السامية ،فقد وجدوا أنفسهم أمام" ظاهرة قرآنية" لا يمكن فهم بناها الخارجية إلا بالتمكن من فهم بناها الداخلية، مما فرض الاستعانة المباشرة بعدد متباين من التفاسير التي تعتبر قراءات خاصة لمعاني القرآن الكريم ،وهي بذلك ضرورية كي يستند عليها المترجم لبناء تأويله الشخصي .

" ثم يتبنى (المترجم) تفسيرا خاصا به ، قائما على فهمه للنص المصدر أو لأجزاء النص ، معتمدا على معرفته للنص المصدر و لغته و نمطه النصي " .(2)

وبهذا فإن الغوص في عالم النص بقصد إعطائه قراءة محددة هو وظيفة فعالة تقوم على تحليل النص الأصل على مستويات مختلفة ، تبدأ من تحليل رموز الكتابة مرورا بتحليل معاني المفردات ثم تتبع الوظائف النحوية للكلمات و علاقاتها ضمن التراكيب ، و هذه القراءة في حد ذاتها هي عملية تفسير للنص المصدر .(3)

وتفرض كل عملية تفسير الاستعانة بالمصادرة المساعدة التي لهاصلة وثيقة باللغة المصدر قبل النص المصدر ، من خلال المفاهيم المسبقة التي تنظم الحقول الدلالية و

.....

1 -العيسى سالم : المرجع السابق ص 7

2 – شيخ الشباب عمر : المرجع السابق ص 38

3 -نفسه ص 37

النحوية والأسلوبية لهذه اللغة ،وإذا خصصنا القرآن الكريم بالذكر فإننا نجد أن كتب التفسير تعد أهم المصادر المساعدة ،لأنها تعرضت لأهم حقول الدراسة القرآنية ، فهذه التفاسير تعد نظرات ثاقبة ذات وعي عميق لحركة اللغة في عصر نزول القرآن و ما قبله ،فتكون بذلك شديدة الصلة بالنص الموحى في مساره التاريخي .

و يمكن تصنيف محتوى التفاسير ضمن المعنى التاريخي ، باعتباره يعكس دلالات النص زمن نزوله ، أو بعبارة أخرى يمثل المعنى التاريخي جميع المعاني التي اهتدى إليها المفسرون الأوائل للنص القرآني ، و هم بطبيعة الحال مجموعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قد يشمل المعنى التاريخي جل النظرات الدلالية التي قال بها مجموعة من المفسرين ، الذين شهدوا التنزيل أو عاشوا في مراحل قريبة. كما تمثل عملية تفسير و تأويل النص القرآني مرحلة قبلية هامة ترمي إلى ترجمة و نقل معاني النص بصورة هادفة .

و قد تبنت مدرسة باريس في النصف الثاني من القرن العشرين تلك النظرة التأويلية للنصوص ، فنتج ما يسمى بالنظرة التأويلية للترجمة ، حيث رأت دانيكاسلسكوفيتش Danika Seleskovitch (1921 -2001) مع ماريان ليدرير Lederer Marianne في مؤلفهما Interpréter pour traduire (1)بأن كل ترجمة هي في حقيقتها تأويل ، إذ تبنى الترجمة على ثلاثة أسس هي التفكير ثم الترجمة و بعدهما التنظير ، لهذا تؤكد ماريان ليديرير إن فهم المترجم لا يكفي لقيام الترجمة بل يجب أن يفهم الآخرين ، لذا فإن كل ترجمة مهما كان نوعها تحوي جانبا من التأويل ، و كل ترجمة مهما بلغت من التحرر فإنها

.....

1- Danika Seleskovitch- Lederer Marianne : Interpréter pour traduire . Didier Erudition, Paris ,1984.

تحوي جانبا من الحرفية .(1)

و يكون أساس الترجمة عند أصحاب المدرسة التأويلية هو المعنى المرتبط ارتباطا وثيقا بعملية الفهم و التأويل عند الفرد ، فالنظرية التأويلية نقلت الترجمة من الميدان اللساني المرتكز على مقارنة المجال اللغوي في كل من اللغة الأصل و الهدف ، إلى الميدان الدلالي المرتبط بالقدرات الذهنية للفرد من حيث تأويل النص المصدر .

يأخذ التأويل حسب النظرية التأويلية أهميته بالنسبة للنص الأصل و الهدف ، في محاولة تحديد الدلالات و المعاني بتجاوز القشرة اللغوية للنصوص ، و هكذا ترتكز عملية الترجمة على نقل الدلالات دون اعتبار للخصائص اللغوية للنص المترجم .(2)

إن النظرة التأويلية للنصوص من منظور مدرسة باريس تبنى أساسا على تفسير النص ، و ذلك بالسعي إلى معرفة قصد المتكلم ، و مقصدية النص من حيث المضمون المباشر أو الخفي ، (3) .مما جعل النظرية ترتبط أكثر بمفهوم التأويل منه بالتفسير ، و هذا ما يجعل الحكم على الترجمة صعبا أو مستحيلا ، نتيجة لتعدد التأويلات و لامحدوديتها ، فتصبح كل التأويلات ممكنة ، و في هذا خطر على النص المصدر من انفتاح دلالاته .

.....

1-Alfonso Avitabile in :www.tesionline.com p 1

2- الديداوي محمد: منهاج المترجم ، المركز الثقافي العربي ، الدارالبيضاء ، المغرب ط 1 ،2005 ص 34

3-نفس المرجع ص 34

و قد أشار المترجم صلاح الدين كشريد إلى إشكالية تفسير و تأويل النص القرآني ، بالنسبة للمترجم الأوروبي ، مما يجعل النصوص القرآنية المترجمة مرتبطة بالمترجم و طريقته في شرح النص ، و بالتالي يصبح النص مرتبطا بالمفسر المترجم أكثر من ارتباطه بالتفاسير القرآنية التي يعتمد عليها المترجم .

" إني وجدت بالفعل صعوبات جمة في ترجمة بعض الكلمات القرآنية ..و مع ذلك و بالرغم من حرصي الشديد على ذكر كل التأويلات الممكنة للآية الواحدة ، فلا يمكن للنص الفرنسي أن يلم بكل المعاني التي توحي بها الآية القرآنية ، و لكن الترجمة تمثل ما توصل إليه اجتهاد المترجم نفسه و فهمه الخاص ، مما يقرب معاني القرآن من عقول القارئ بالفرنسية ".(1)

و لا شك أن التراث المعرفي الإسلامي تناول قضية التأويل و التفسير بالدرس و التحليل ، إذ تعامل العلماء في البداية مع مصطلحي التأويل و التفسير على أساس التماثل الدلالي ، إذ كان الخلاف لفظيا في المرحلة الأولى من بروز التفسير.

و إن تداخل المعنى بين المصطلحين كان ظاهرا ، حيث نجد ابن كثير يشير إلى تفسير الآيات بقوله :- القول في تأويل كذا و كذا ..

-و اختلف أهل التأويل في هذه الآية ..(2)

و قد ورد عن ثعلب و ابن الأعرابي أن التفسير و التأويل معناهما واحد .(3)

و التأويل في اللغة هو التفسير ، يقال أول الكلام تأويلا أي فسره ، و منه تأويل الأحلام أي تفسيرها ، و التأويل كذلك المعنى الحقيقي للشيء . (4)

.....

1 -البنداق محمد صالح : المرجع السابق ، ص 131 .

2-الطبري : المصدر السابق ج 1 ص 26-27

3-الزبيدي محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، مطبعة حكومة الكويت 2000 ، ج 13 ص 323

4-الفيروزآبادي : القاموس المحيط ج 3 ص 341 – الأصفهاني الراغب : المصدر السابق، ص31 31

يقول الله تعالى :

" ذَلِكَ تَأْوِيْلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " (1) أي حقيقة الخبر .

و قوله تعالى :

" نَبِّئْنَا بِتَأْوِيْلِهِ " (2) أي نبأنا بتفسيره .

و أخذ لفظ التأويل بعد ذلك دلالة جديدة عند علماء الأصول نظرا لتجدد وظيفة المصطلح ، و ذلك بحمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده .(3)

" فإن لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان .أحدها : و هو إصطلاح كثير من المتكلمين في الفقه و أصوله أن التأويل هو صرف اللفظ عن احتمال الراجح إلى احتمال المرجوح لدليل يقترن به ، و هذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، و ترك تأويلها .

الثاني : أن التأويل بمعنى التفسيرو هذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن " .(4)

و هذا ما ورد أيضا عند كل من صاحب اللسان و التاج ، إذ يرى ابن منظور (ت711) أن الفسر كشف المغطى ، و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ، أما التأويل فهو رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر (5)، و هذا يدل على التطور الدلالي لمصطلح التأويل و انفصاله عن التفسير ، و يؤكد هذا المعنى الزبيدي (ت 1192) إذ التأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر أي تبيين معنى المتشابه ، و هو ما لم يقطع

.....

1-الكهف الآية 82

2-يوسف الآية 36

3-الرشيد عماد الدين محمد : أسباب النزول و أثرها في بيان النصوص ،دار الشهاب ، 1999 ص 470

4-ابن تيمية أحمد :مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ،المجلد الثالث ص 55

5-ابن منظور: المصدر السابق ، ج 10 ص 221

بفحواه من غير تردد فيه و هو النص .(1)

فالتأويل عند المتأخرين من علماء الأصول هو حمل اللفظ دلالة معينة ترجحها القرينة اللغوية أو العقلية ، و في هذا دليل على تناول العلماء المسلمين ظاهرة التأويل بالتحليل و الدراسة و تطبيقها على أقدس نص لديهم و هو القرآن الكريم .

في حين نجد التأويل في الفكر الأوروبي الحديث يأخذ طابع العلم من خلال ما اصطلح عليه بالهرمونيطيقا ، الذي يخوض في تفسير النصوص و محاولة فهمها . و نعني بها النصوص الدينية على وجه التحديد ، و بخاصة النصين التوراتي و الإنجيلي سواء مجتمعين أو منفصلين ، و كانت الهرمونيطيقا تدرس مشاكل تأويل النصين و تسعى لإرساء معايير نظرية تحدد تعامل المفسر مع النص المقدس في شرحه و تفسيره .(2) و الهرمونيطيقا كمصطلح يصعب تحديد ترجمته ، إذ نجده تارة علم تفسير الكتاب المقدس أو علم تفسير النصوص عامة ، أو العلم بقواعد فهم النصوص ، أو ما أطلقه عليه المحدثون التأويلية أو علم التأويل .

كما أن أصل المصطلح اليوناني **Hermenein** يدل في الاستعمال على ثلاثة معان وظفها اليونانيون و هي (3):

1 – التفسير ، و ذلك بالمعنى العام للكلمة ، أي كشف الغامض و المبهم ، لذا سمي المتصلون بالآلهة بالمفسرين ، إذ أنهم يشرحون إرادة الآلهة .

.....

1–الزبيدي مرتضى : المصدر السابق ج 13 ص 324

2–أبوزيد نصر حامد : الخطاب و التأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدارالبيضاء ، ط 1 –2000 ،ص 173

3– عزيز فهيم (القس) : المرجع السابق ، ص 9

2 – الشرح و التفسير : إذ ركز اليونانيون على معاني الكلمات و النصوص ، بكشف غامضها و توضيح مبهمها .
3 – الترجمة : و ذلك بنقل المعاني من لغة إلى لغة أخرى مخالفة ، فيكون بذلك المترجم هو مفسر للنص .

و في القرن السابع عشر الميلادي يبرز مصطلح **Hermeunétique** عند عند دان هاون في كتابه "الهرمونيطيقا " (1654) ، إذ حاول فيه وضع منهجية واضحة و قواعد محددة لتفسير " كتاب الأسفار " ، و في مرحلة متأخرة وسع دان هاون منهجيته لتشمل تفسير جميع الكتب بما فيها غير المقدسة .

و كان مارثن لوثر كينغ أول من أثار فكرة النظر إلى الإنجيل في لغته الخاصة ، و التعامل معها بدون وسيط و يعني به الكنيسة التي تمثل المؤول و المفسر الخاص للنص، حيث دعا إلى حرية في قراءة الإنجيل لاحتوائه على دلالات و معان مختلفة يمكن أن يستنبطها القارئ ، مما يعني أن كل اختلاف في التأويل معطى سلفا لاحتواء النص عليه .(1)

أما شلايرماخر (1768–1834) فهو مؤسس الهرمونيطيقا الحديثة ، حيث انطلق من ظاهرة سوء فهم النص الناتجة عن غموضه ، بحيث يكفي الاحاطة بقوانين اللغة لفهم النص ، بل يرى إنه من الضروري وجود عنصري الحدس و التنبأ عند المفسر لفهم النص فهما نهائيا ، و إنما ينتج الحدس بعد معرفة دقيقة لشخصية المؤلف و

.....

1– تاج الدين مصطفى : النص القرآني و مشكل التأويل ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي السنة الرابعة ، العدد 14 ، خريف 1998 ، ص 19

ظروفه الثقافية و الحضارية و الفكرية و اللغوية و العرفية و هي الدوافع الحقيقية التي تتحكم في قصد المؤلف ووعيه .(1)

بينما اهتم ويلهام دلتاي (1833-1911) بوضع منهج لتفسير العلوم الانسانية عامة على غرار العلوم التجريبية ، و ركز على ضرورة فهم النص من خلال تبين قصد المؤلف و مراده ، فعلى المفسر أن يقترب من المؤلف لفهم قصده و بذلك يتوصل إلى فهم النص ، و هذا هو الغرض الحقيقي للتفسير و الهرمونوطيقا .

و يصل دلتاي إلى التأكيد على دور المفسر في فهم النص ، و تغير التفسير و الفهم حسب تغير المفسر ، مما يؤدي إلى وجود تأويلات مختلفة لا تأويلية واحدة للنصوص.(2)

و في القرن العشرين عرفت الهرمونيطيقا مرحلة متميزة مع كل من مارتن هيدغر (1889 -1976) ، وبعده هانز جورج غادامير مع ما أطلق عليه الهرمنوطيقا الفلسفية ، فقد اهتم هيدغر بالبحث عن معنى الفهم و حقيقته و حقيقة المفسر ، فحين يصدر النص يكون له وجود مستقل عن مؤلفه ، لذا لا تتوجه الدراسات إلى فهم المؤلف و لا قصده ، بل يهم فهم و قراءة الآخرين أي القراء الذين تختلف ظروفهم و تجاربهم و أحاسيسهم .(3)

.....

1- لزعر مختار : نظرية التأويل في التراث اللساني العربي ،رسالة دكتوراه تحت إشراف د .عبد المالك مرتاض، معهد اللغات و الآداب و الفنون ، جامعة وهران 2005 ، ص 6

2- مرتاض عبد الملك : نظرية القراءة ،دار الغرب ، وهران 2003 ، ص 185

3 -هايدجر مارتن : كتابات أساسية ، ترجمة إسماعيل مصدق ،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،مصر 2003 ص 21 .

و يصرح هانز جورج جادامير في مؤلفه " الحقيقة و المنهج (1) بأن المؤلف أحد مفسري النص (2) ، كما أنه لا أهمية للمنهج في فهم النصوص ، فعملية التفسير ليست إلا عملية حوار و تفاعل بين المفسر و النص .

و في نفس إطار الفلسفة التأويلية قال غادامير بفكرة الاستقلال الدلالي للنصوص أي أن اللغة المكتوبة كلها تظل مستقلة عن العالم الذاتي لأفكار الكاتب الفردية و مشاعره فيكون للنص هويته ، التي تنشأ بين معاني النص ووجوده كنص .(3)

و بهذا لا يكون للنص فهم و تفسير نهائي ثابت ، فيقبل نفس النص تفسيرات متعددة و لامتناهية ، لأن كل مفسر جديد للنص يلجه بأفق و ذهن جديد متجدد ، و على هذا يغدو الحكم على التفسيرات بالصواب و الخطأ غير ممكن ، مما يستوجب على القارئ قبول تفسيرات متعددة بل مغايرة في بعض الأحيان للنص ، و تكمن الإشكالية ههنا في الاختلاف الكائن بين لغة النص و لغة المفسر ، مما يصعب عملية الفهم التي تعد بحق أساس عملية التفسير ، و لهذا يسعى كل تفسير إلى إعادة بناء مضمون النص .(4)
لقد تمخض عن هذه الآراء تلك النظرية التي أطلق عليها " الإستقلال الدلالي للنص اللغوي " و قد دعا أصحابها إلى حرية التأويل عند القارئ و المفسر ، الذي يحدد لنفسه

.....

1-Hans Georg Gadamer :Verité et Methode ,Les Grandes Lignes D'une Hermeunétique Philosophique Hermeunétique ,Traduction De L'Allemand Par Etienne Sacre , Revision De Paul Ricoeur.

2-لزعر مختار : المرجع السابق ص 19

3 -جادامير هانز جورج : تجلي الجميل ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1997 ، ص 168 .

4 – مرتاض عبد المالك : المرجع السابق ص 198

معنى ذاتيا و هو دلالة النص زمن قراءته ، و المعنى يتحكم فيه المتلقي بميولاته و اعتقاداته و أوهامه و شهواته .(1)

بيد أن نظرية الاستقلال الدلالي واجهت انتقادات أصحاب نظرية التأويل الموضوعي أمثال أمبرتو إيكو الذي دعا إلى ضرورة تحديد ضوابط التأويل التي تحد من سلطة القارئ على النص .

و إذا كان النص ينتج قراءات لاحصر لها و لا نهائية ، فهذا لا يسمح بأي حال في نظر أمبرتو إيكو بأي قراءة ، كيفما كانت طبيعتها .

" فالقول بلانهائية النص لا يعني أن كل تأويل هو بالضرورة تأويل جيد "(2)

و بهذا أكد إيكو إمكانية تعيين التأويلات الخاطئة للنص للحد من استقلالية الدلالة و حرية التأويل .

" و في اعتقادي نستطيع الإستناد على مبدأ بوبر القائل بغياب أية قاعدة يمكن وفقها تحديد التأويلات الجيدة ، و لكن هناك قاعدة واحدة على الأقل تسمح لنا بتحديد التأويل الرديء " .(3)

إن نظرية الاستقلال الدلالي للنصوص التي برزت في الفكر التأويلي الغربي لم تطبق إلا على نصوص العلوم الإنسانية ، و لم يجرؤ منظروها على تطبيقها على النصوص المقدسة ، بالرغم من أن النظرية التأويلية منبعها النص الديني المقدس و بخاصة كتاب الأسفار و الإنجيل .

.....

1 – تاج الدين مصطفى : المرجع السابق ص 17

2 – إيكو أمبرتو : المرجع السابق، ص 21

3-نفس المرجع ص 21

و بالرغم من ثراء الفكر العربي الإسلامي بقضيتي تفسير و تأويل النص القرآني المقدس ، إلا أن الفكر الغربي لا يكاد يلتفت إلى تلك الأصول المعرفية ، و أسبقيتها في هذا الميدان من البحث (1) ، و في المقابل نجد بعض المفكرين العرب يظهرون تأثرا بأفكار شلاير ماخر و ولهام دلتاي و هانز جورج غادامير ، بل يحاولون تطبيقها على فكرهم الديني ممهدين السبيل لتطبيقها على النص القرآني ، و منهم المفكر الجزائري محمد أركون من خلال كتاباته المتعددة في مجال دراسة الفكر الإسلامي ، و منها " الفكر الإسلامي : قراءة علمية ، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، و " **Penser L'Islam** "حيث يؤكد تعدد قراءات النص القرآني ، فلكل إنسان في كل زمان و مكان قراءته الخاصة للإسلام .

إن المفكر محمد أركون يطرح في سلسلة كتبه عن الفكر الإسلامي ، فكرة تعدد قراءة النص المقدس ، و تعدد الفهم و التفسير و ما ينجم عنهما من تعدد العقائد و النظرات في الواقع الإجتماعي و التاريخي للمسلمين .

بيد أن المفكر محمد أركون يدرك جيدا قداسة النص القرآني باعتباره وحيا إلاهيا ، و ما يترتب عن ذلك من خصوصية لغوية اعجازية ، تملك من القدرة في تعاملها مع الواقع على تحويل الآني و التاريخي و النسبي و الاجتماعي إلى مجال المطلق و المتعالي و الأزلي ، (2)و هذا ما يفسر صلاحية النص المقدس لكل زمان و مكان ، و هذا مايمكن أن يطلق عليه " التسامي " .

.....

1 –مرتاض عبد المالك : المرجع السابق ، ص 63

2 – أركون محمد : أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، ص 104.

كما نجد أيضا المفكر العربي نصر حامد أبو زيد يدعو من خلال مجموعة مؤلفات حول تأويل النص الديني إلى تطبيق المنهج اللغوي التحليلي على النص القرآني ، باعتباره نصا لغويا يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصا محوريا .

" القرآن نص لغوي يمكن أن نصفه بأنه يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصا محوريا ". (1)

و هذا التجريد يتيح في نظر نصر حامد أبو زيد للدارسين إمكانية تفسير و فهم النص القرآني فهما حديثا يختلف عن التفسير التقليدي الجامد .

إن تغيير الوسائل الإجرائية لتحليل النص الديني بعامة و النص القرآني بخاصة ، ترمي كلها إلى إحداث منهجية جديدة لتأويل و تفسير النص الديني ، على غرار ما يحدث في الفكر الفلسفي التأويلي الغربي ، بيد أن الباحثين العرب لا ينظرون إلى النص القرآني على أنه مجرد نص لغوي ، و إنما يمثل هذا النص قمة الإعجاز اللغوي، حيث يتجلى في ظواهر لغوية و أسلوبية متميزة ، و هو في ذلك لا يخرج عن سنن العرب في كلامهم و مذاهبهم في القول.

" القرآن نص لغوي معجز ". (2)

كما تعرضت الباحثة عائشة عبد الرحمن إلى فكرة تفسير و تأويل النص القرآني المقدس ، إذ بينت حدود فهمه و تفسيره ، إذ يجوز لأي أحد فهمه و تدبره حتى و إن كان غير مسلم أو ملحد ، و لكن محاولة تفسيره و تأويله لا يقوم بها إلا من كانت له دراية بأسرار لغته و فقه سياقه و دلالاته ، بالإضافة إلى العلوم الدينية المساعدة على فهمه و تفسيره و تأويله .

.....

1-أبو زيد نصرحامد : مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 9

2-طاووس محمد إبراهيم : أفاق التعاطي مع النص القرآني ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر 2003 ص 302

" يبدو أننا في حاجة إلى أن نضع الحدود الفاصلة بين ما يباح و ما لا يباح من تأويل كلام الله ،و غير متصور أن يتصدى لتفسير النص من لا دراية له بأسرار لغته و فقه سياقه و دلالاته ."(1)

إن تعدد التفسير و الفهم الذي يطرحه بعض المفكرين العرب على شكل نظري بحت، سبق أن طرح في مجال التفسير القرآني اعتمادا على المعنى الذاتي الذي حمل القرآن نظرة المفسرين التأويلية الخارجة عن دلالته ، مثلما نجد في تفسير المتصوفة و الطوائف المذهبية المختلفة ، حتى غدا النص مرتكزا لأفكار تأويلية سابقة على فهمه ، حيث لجأوا للنص لإثبات صحة الأفكار و النوازع و التصرفات و المذاهب ، فأصبح النص نقطة ارتكاز تأويلات عديدة متقاربة ومتناقضة .(2)

و بهذا تحول فعل المفسر و المؤول من عمل موضوعي لمسألة النص إلى محاولة التعالي لبلوغ قدسية النص ، و ذلك بالسعي إلى المطابقة بين الكلام المفسر و المفسر من حيث التنزيه و القدسية ، إلا أن بعض العلماء تصدوا لكل اتجاه تفسيري قد يشوه دلالات النص القرآني ، و من بينهم الشيخ ابن تيمية الذي بين حقيقة تفاسير بعض أهل الملل حيث يسلبون اللفظ القرآني دلالاته الحقيقية ، و قد يحملونه معان لا يطيقها وضعه الأصلي ، فيكون خطئهم في الدليل و المدلول معا .

و هذا يدل أيضا على تعدد التأويل و التفسير ، بيد أنه ليس كل تاويل و تفسير يمكن أخذه مأخذ الصحة ، لذلك حاول الشيخ ابن تيمية تحديد الحدود الدقيقة لمعرفة التفسير الخاطئ قبل الصحيح ، و عادة ما يكون ذلك في التفسير بالرأي ، و يكون الخطأ فيه من جهة أن بعض المفسرين اعتقدوا معان ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها ، فيكون

.....

1 -عائشة عبد الرحمن : القرآن و التفسير العصري ، دار المعارف ، القاهرة ط 3 ، 2004 ، ص 48

2-تاج الدين مصطفى : المرجع السابق ص 18

خطأهم من ناحيتين :

1 -تارة يسلبون اللفظ ما دل عليه و أريد به .

2 - و تارة يحملونه ما لم يدل عليه و لم يرد به .

" و في كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا فيكون خطأهم الدليل و المدلول ، و قد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول " . (1)

و ينظر إبن تيمية إلى النص القرآني على أساس من الثبات الناتج عن ألوهية المصدر، و لكنه لا ينكر تبدله و تغيره تبعا لاختلاف المفسرين و المؤولين ، مما خلف اتجاهات مختلفة في تفسير النص ، غير أن هذه التفسيرات لا يمكن قبولها بسهولة ، لأنها تؤدي حتما إلى تناقض النص ، أو اختلافه مثلما اختلفت الفرق الإسلامية و أحزابها .

و لا شك أن تـــأويل النص القرآني مرتبط أشد الارتباط بالتفسير ، إذ التفسير للمحكم من الآيات و التأويل للمتشابه ، و هذا ما يؤكده النص القرآني ، في قوله تعالى :

" **هُوَ الِذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الِكتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الِكتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** "(2)

فالمتحكم في معاني و دلالات النص هو الألفاظ القرآنية ذاتها ، و قد تؤدي الدراسات الحديثة إلى اعتبار النص القرآني نصا لغويا ، نصا مفتوحا على كل التأويلات و السعي بذلك إلى تجريده من قدسيته .

.....

1 - ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ص 73

2 - آل عمران الآية 7

و قد ذهب جاك دريدا أبعد من ذلك حيث رأى إن النص عبارة عن آلة تنتج سلسلة من الإحالات غير المحددة أو تأويلات لامتناهية ، إلى درجة أن يصبح النص ينتشي من غياب الشيئ المحال عليه أو بعبارة أدق غياب المؤلف أو المصدر .(1)

و مصدر النص القرآني هو الذات الإلهية ، و السعي إلى تجريد النص من مرجعيته يعني تجريده من خصوصيات الوحي و الإعجاز، مما يؤدي إلى تفكك النص في عملية التفسير و التأويل .

و لتفادي الوقوع في التأويلات الخاطئة المحرفة التي تحمل المعنى ما لا طاقة له من الدلالات ، فقد اشترطت بعض الضوابط المحددة لقبول التأويل و الميل إلى المعنى المجازي دون الحقيقي .

-1-أن يكون احتمال التشبيه قويا فلا اعتداد بتشبيه موهوم كما في صفة السمع و البصر ، إذ لا يشترط في هاتين الصفتين أداة و لا جارحة.(2)

فإن قبلنا بتأويل اليد بالجارحة في قوله تعالى :

" **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** " ("3)

و قوله سبحانه :

" **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ".(4)

.....

1-إيكو أمبرتو : المرجع السابق ص 124

2 -الشاطبي أبو إسحاق : الموافقات في أصول الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ج 2 ص 163

3- الفتح الآية 9

4- المجادلة الآية 1

فإن المترجم لا محالة يثبت المعنى في الترجمة على أنها الحقيقة المرادة في النص ، و الحقيقة أن اللفظة القرآنية لمرونتها قد تتحمل المعنيين بدون تقييد دلالي .

2 -أن يكون التأويل مما تقره اللغة العربية في وضعها الحقيقي أو الاستعمال الشرعي أو العرفي كتأويل الآية السابقة بالقدرة ، أي تأويل اليد بالقدرة و العين بالرعاية .(1)

3 -أن يزيل التأويل شدة التجسيم الكائن في المتشابه ، كتأويل المعتزلة الإستواء بالاستيلاء في قوله تعالى :

" **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ".(2) .

و يحدد الباحث مصطفى تاج الدين عدة أسس للحفاظ على النص القرآني من التأويل الفاسد ، ردا على الدكتور حسن حنفي الذي يرى أن معنى النص يتغير حسب الأحوال النفسية للمتلقي ، و بالتالي يكون للنص الواحد تأويلات متعددة عند نفس القارئ و المفسر على حسب المراحل و الظروف التي تمر به . (3)

وتلك الأسس تحافظ على ثبات النص من كونه كلاما موحى ، إذ يعتبر شهادة إلهية لجميع الشعوب و في كل العصور ،ولتفادي التأويل الفاسد اتبع الباحث منهجية صارمة بناهاعلى الأسس التالية : (4)

1 -كل تأويل تعارض كلا أوجزءا مع مقصد من مقاصد الشريعة فهو تأويل فاسد كلا أو جزءا .

.....

1-الشاطبي : المصدر السابق ج 3 ص 75

2 -طه الآية 5

3 -حنفي حسن : قراءة النص ، مجلة ألف ع 8، 1988 ص 17 -18

4-تاج الدين مصطفى : المرجع السابق ص 25 -29

2 -إذا تعارضت التأويلات فإن أقربها إلى الصواب أكثرها انسجاما مع مقام الخطاب .
3 -كل تأويل بني على غير مقتضى قانون التأويل العربي فهو تأويل فاسد .
4 -كل تأويل أدى إلى تعارض أجزاء النص فهو تأويل فاسد .

و تروم محاولات بعض الباحثين المسلمين في ميدان تأويل النص و تفسيره ، التأسيس لمنهج موضوعي لقراءته بوسائل مرتبطة بالنص ذاته ، وليست خارجة عنه ، مما يؤثر لا محالة على تفسير النص الدائم ، حيث لم و لن تنقطع إسهامات المفسرين للولوج إلى خبايا النص القرآني ، و كل محاولة لتحديد دلالات نهائية واحدية للنص قد تؤدي إلى متاهات و انزلاقات دلالية لا حصر لها .(1)

و يرتبط مترجم النص القرآني بمفسره ارتباطا وثيقا ، فالنصوص الدينية تشكل بيعتها المقدسة منبعا للتفسيرات المتعددة و التأويلات المتباينة عند أصحاب اللغة الأصل ، فيكون بذلك عمل المترجم مكملا للمفسر أو ناقلا له .
إلا أن الترجمات المتعددة للنص القرآني ، قد اعتمد أصحابها على تفاسير معينة ، و لكن حسب ميول المترجم ، و لهذا اختاروا معان مضبوطة دون غيرها من المعاني في نفس المصدر مع تعددها .
فإذا كان التفسير يفرض على المترجم اللجوء إلى المصادر المساعدة لتحديد مستويات التفسير فإننا لا نكاد نعثر على إشارات تحيل على مظان التفسير عند المترجمين الغربيين ، و بخاصة الفرنسيين منهم ، باستثناء ريجيس بلاشير و جاك بيرك .
إن هذه الخطوة حتمية إجرائية في عمل المترجم تمكنه من إدراك المستويات الدلالية

.....

1-إيكو أمبرتو : المرجع السابق ص 33

للنص المصدر، ليخرج بتفسيره الخاص الذي يحتمل التقابل و الاختلاف مع سابقيه لتحديد نقطة الارتكاز لصياغة جديدة بلغة جديدة للنص المترجم .

ولذا يمكن القول إن الاستناد على تفاسير بعينها و اختيار دلالات بذاتها هي عملية فردية من لدن المترجم تمليها عليه قدراته الفردية في عملية إنتاج النصوص المترجمة، و التي تعتمد على مدى إتقانه للغات المختلفة ، وما تختزله تلك اللغات من مفاهيم اجتماعية ودينية و فكرية وفلسفية .

ويبقى الهدف السامي للترجمة في مجال الكتب المقدسة و بالتحديد القرآن الكريم ، البحث عن نوع من الترجمة يحدد فعليا مرامي الترجمة الحقيقية ، إذ أن اعتماد المترجمين الفرنسيين على الطريقة التفسيرية بتحديد المكافئ المناسب من خلال المرجعية المعجمية في عصر من العصور الإسلامية السابقة لا يحدد دلالات النص القرآني مطلقا بل يحددها جوهر النص القرآني.

و تبقى محاولة ترجمة القرآن الكريم رهينة فهم التفاسير للخوض في مرحلة قبلية للترجمة و هي قراءة القراءة و بالتالي تفسير التفسير .

و قد حدد علماء الأصول و التفسير حين تعرضوا لعملية التفسير الشروط الواجب اتباعها للربط بين الترجمة و التفسير ، إذ كلاهما يندرج في إطار التوضيح و التبيين، وكلاهما مرتبط بالآخر ارتباطا تكامليا ، فحين ينتهي عمل المفسر يبدأ عمل المترجم ، وقد تتحول الترجمة بدورها إلى تفسير في إطار تعدد اللغات .

لقد كانت جل البحوث و الدراسات التي أثارت قضية ترجمة النص القرآني تحاول فك رموز الترجمة كعملية مميزة في نقل ثقافة الشعوب ، بيد أن النظرة السائدة انطلقت من أسس أصولية ، مرتكزة على الإفتاء في قضية الترجمة ذاتها ، و مع ذلك ألفينا الكثير من الأصوليين يتعرضون لخصائص الترجمة و أسسها ، حين يتعرضون لقضية الإفتاء في جواز أو حظر ترجمة النص القرآني المقدس ،كما أن الكثير من العلماء أعطوا تعريفات خاصة للترجمة لا تختلف عما ورد عند علماء الترجمة ، من حيث الدقة و الإحاطة بمفهوم الترجمة المرتبط بالجانب الدلالي و اللغوي .

يرى الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني أن الترجمة في حقيقتها هي عملية نقل الكلام من لغة إلى أخرى ، و يشترط الدقة في نقل المعاني .

"نقل الكلام من لغة إلى أخرى ، و معنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى التعبير عن معناه بكلام آخر من لغة إلى أخرى مع الوفاء بجميع معانيه و مقاصده كأنك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية "(1)

و هذا التعريف لا يبعد كثيرا عن تعاريف كبار المتخصصين في الترجمة ، من كون العملية الترجمية ترتكز في الأساس على لغتين مختلفتين ، و إن تقاربتا في الأصول ، كما أن ما يترجم ليس اللغة فقط ، و إنما مضامين اللغة من دلالات و أفكار .

و يرى كاتفورد ج . س . إن المعنى مهم في الترجمة ، بل إن تعريف الترجمة مرتبط بالمعاني و الدلالات (2)، بحيث ينقل المترجم دلالات النص الأصل إلى لغة النص الهدف ، فتكون حتما دلالات النص الهدف هي نفسها دلالات النص المصدر .

.....

1 -الزرقاني محمد عبد العظيم : المرجع السابق ص 11

2 -كاتفورد ج .س : نظرية لغوية للترجمة ، ترجمة عبد الباقي الصافي ، مكتبة دار الكتب جامعة البصرة ، 1983 ، ص 64 .

في حين يرى جول ماروزو(1) إن للمعنى ارتباط وثيق بالمظاهر اللفظية البنيوية للنص المترجم .

" يجب أن تنقل المعنى كل المعنى ، و لا شيئ سوى معنى النص الأصلي ، لكن على الترجمة أن تنقل المظهر أيضا ، أي أن عليها أن تتيح للقارئ تكوين فكرة تقريبية على الأقل عن اللغة المنقول منها " .(2)

و إذا رجعنا إلى معاجم اللغات الأوروبية نجدها لا تبعد عن النظرية الدلالية في الترجمة ، فمثلا في تعريف معجم أوكسفورد للترجمة نجد :(3)

Traduction :translation into another language .

أي النقل إلى لغة جديدة ،أما المعجم الفرنسي روبير فيعرف الترجمة :

Traduction :Texte ou ouvrage donnant dans une autre langue l'equivalent du texte original qu'on a traduit .

أي أن الترجمة هي نقل مكافئ النص في لغة جديدة .(4)

و لهذا لا تزال الآراء متباينة حول قضية نقل المعنى و شكل النص الأصل ، و هل من الضروري نقل المعنى وحده دون نقل الشكل ؟

و الحقيقة إن الترجمة تجسيد لعملية التواصل ، وهي تروم أساسا نقل رسالة معينة من مرسل إلى متلق ، و غاية المترجم من عمليته هذه أن يحقق التواصل بين النص

.....

1 -جول ماروزو (1878 -1964) عالم لغوي فرنسي متخصص في فيلولوجيا اللغة اللاتنية ،عين مديرا للمدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس 1922 ، من مؤلفاته :معجم المصطلحات اللسانية 1933 ، اللسانيات أو علم اللغة 1960 .

2- جورج مونان : المسائل النظرية في الترجمة ،ترجمة لطيف زيتوني ،دار المنتخب العربي لبنان ص 9 .

3-The Oxford English Dictionnary : Oxford ,Volume xi ,p 228

4- Le Grand Robert De La Langue Française , Paul Robert , 2ed , Tome ix ,Paris 1985,p408.

الأصل و النص المترجم ، و بينه و بين متلقي هذا النص المترجم ، لهذا يكون اهتمامه منصبا على مكونات الرسالة من معنى و مبنى ، فعليه أن ينقل المعنى أولا ثم عليه أن ينقل المبنى إلى ما يساويه في لغته لا إلى ما يشابهه ، لذا تتطلب ترجمة المبنى التقيد التام بتراكيب اللغة المنقول إليها مع اختيار الأسلوب الذي يناسب النص .(1)

إن تحديد هوية اللغة المترجم إليها عملية أساسية في الترجمة ، فالمترجم البارع تكون له القدرة على إتقان لغته ، و هي في الغالب لغة الترجمة ، فلكي يقدم على عملية الترجمة يجب التمكن من معرفة آليات الإبلاغ في لغة المترجم ذاته. و لهذا تكون لغة الترجمة أكبر عائق لدى المترجم ، و عدم إتقانها يؤثر سلبا علىعملية الترجمة ككل ، و حتى و إن فهم الأصل جيدا فإن ترجمته لن تكون إلا رديئة.(2)

لهذا ظلت الأسئلة تلح على المترجمين عبر العصور المتعاقبة ، حول إمكانية الترجمة أو استحالتها ، و في كل الأحوال كان للرأيين حضور فعلي ، فالدراسات النظرية تثبت استحالة الترجمة بينما تثبت الممارسة الفعلية إمكانيتها ، لهذا بقيت نظرية استحالة الترجمة بمثابة رأي نظري يصعب إثباته و رده في آن واحد .(3)
و يؤكد أوجين نيدا : " تقوم الترجمة على إيجاد المكافئ العديل الطبيعي الأقرب إلى الأصل في اللغة المنقول إليها من ناحية الدلالة أولا ثم من ناحية الأسلوب " (4)

.....

1-لطيف زيتوني : مقدمة " المسائل النظرية في الترجمة " ص 1

2-Katharina Reiss :Op.cit ,p 26

3 -جورج مونان :المرجع السابق ص 304

4-نفسه ص 310 .

و قد أتفق الكثير من الباحثين على أن الترجمة ليست ممكنة دائما و لا مستحيلة دائما ، فهي إذن عملية نسبية من حيث نجاحها .

تجعل هذه العملية المترجم يبذل جهده للوصول إلى سبر أغوار معاني النص، و محاولة نقلها إلى اللغة الجديدة المستقبلة ، ثم على المترجم في مرحلة لاحقة البحث عن وسيلة للتعبير عن معنى النص الأصل في لغته ، إذ تغدو مهمته اللاحقة محاولة إفهام المتلقي الجديد بلغة هذا المتلقي ، انطلاقا من المعنى ذاته .

و أهم ما يعتنى به في عملية الترجمة هو المعنى ، فهو سابق على الكتابة نفسها ، سابق على اللغة ، و هو بذلك يملك من القدرة بأن ينتقل من لغة إلى أخرى و يتجسد بين دلالة و أخرى .

" و على هذا الأساس تكون حتما عملية الترجمة ممكنة ". (1)

و هي على النقيض من ذلك غير ممكنة ، من منظور أصولي ، فالبحوث و الدراسات التي قام بها علماء الإسلام لا تنحو منحى الدارسين الغربيين فيما يخص ترجمة النص القرآني من لغته الأصلية إلى اللغات الأوروبية بخاصة ، و تبدو آرائهم أكثر مسايرة لفكرة استحالة الترجمة ، بل إن السؤال عنها ضرب من المغالطة .

" فأما الترجمة الحرفية فهي ضرب من المحال باتفاق و زعمها جهل باللغات ، و لا يقر به عارف باللغويات " (2)

إنه رأي أجمع عليه علماء الإسلام في العصر الحديث ، بدءا بلجنة علماء الأزهر الشريف ، بيد أن الشيخ عثمان الصافي يذهب أبعد من ذلك إذ ينكر كل عملية للترجمة

.....

1-بن عبد العالي عبد السلام : في الترجمة ، دار المغرب ، الرباط ، المغرب ص 13

2 – الصافي عثمان عبد القادر : القرآن الكريم ،المكتب الإسلامي ،بيروت لبنان ط 1 ص 33

سواء أكانت حرفية أو معنوية ، و ذلك حفاظا على قدسية النص القرآني ·
" الخطوات هذه إن تبين على ضوئها تعذر ترجمة القرآن سواء لانتفاء الدقة في نقل النص من لغة إلى أخرى عموما أو من العربية إلى غيرها خصوصا فإنها (أي الترجمة) تحرم لا محالة " .(1)

إن محاولة التشكيك في قدرة الترجمة على الاستيفاء بمعاني النصوص الأصلية ، فكرة قديمة قدم وجود الترجمة ذاتها ،و لذلك كان السعي دائما لبلوغ ترجمة وفية أهم ما يشغل بال المهتمين بحقل الترجمة و بخاصة ترجمة الكتب المقدسة ، و تكمن صعوبة الترجمة عموما في أنها تؤلف نصا جديدا يقول الشيئ نفسه و يرمي إلى الغاية نفسها التي يحتويها النص الأصل ، (2) و يزيد من صعوبة الترجمة انتماء النص إلى ثقافة و لغة تختلف نسبيا أو مطلقا عن اللغة المترجمة ، مما يجعل عملية النقل من لغة إلى أخرى تفقد النص خصوصياته الثقافية ، و لهذا رأى فينوتي Venuti أن الترجمة تعد على النص المصدر و هي عملية يمكن تشبيهها بالإرهاب الثقافي ·
" الترجمة هي الاستبدال القسري للاختلافات اللغوية و الثقافية في النص الأجنبي بنص يكون مفهوما لقارئ اللغة الهدف " (3)

و يؤكد نيوبرت ألبرت على خطورة تشويه الترجمة نظرة قارئ اللغة المستقبلة لثقافة اللغة الأصل ، و هي نفس نظرة فينوتي الذي يقترح مفهوم الترجمة المقاومة الداعي إلى الحفاظ على خصوصية النص المصدر ، و الإبقاء على الإختلافات الكائنة بينه و

.....

1- الصافي عثمان عبد القادر :المرجع السابق ص 22
2-بن عبد العالي عبد السلام : المرجع السابق، ص 13
3-نيوبرت ألبرت –غريغوري شريف : الترجمةو علوم النص ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 2002 ، ص 3

بين النص المترجم . (1)

و هكذا يغدو من الضروري على المترجم ، الحفاظ على الخصوصيات اللغوية و البلاغية و الدلالية للنص المترجم ، و كذلك الحفاظ على خصوصياته الثقافية ، و بهذا يصبح للترجمة دورها الفاعل في نقل ثقافات و علوم الشعوب المختلفة ، دون أن يخل ذلك بوظيفة الترجمة و أهدافها ، و إن لم يتحقق ذلك فشلت عملية الترجمة .

و لذا تكون نظرة العلماء المسلمين أقرب ما يكون إلى نظرية استحالة الترجمة لاختلاف اللغات و عدم تشابه النصوص ،و لعل إصرارهم كان من قبيل مفهوم المقاومة ، فالإعجاز القرآني كان و لا يزال عنصرا أساسيا في الدعوة إلى حظر ترجمة النص القرآني .

و مع ذلك فقد تفطن العلماء المسلمون للخصائص اللغوية في عملية الترجمة ، إذ يمكن ربط تعريف الشيخ عبد العظيم الزرقاني بسهولة مع تعريفات علماء الترجمة ، لنؤكد على أن الترجمة نقل الكلام من لغة إلى أخرى , و بالتالي نقل معناه من لغة إلى أخرى و لكي تتجلى لنا الفكرة نعرض بعض التعريفات للترجمة ، و منها ما تبناه جي . سي . كاتفورد الذي تعرض للترجمة من منظور لغوي في مؤلفه "نظرية لغوية للترجمة ":

"يمكن تعريف الترجمة كالآتي : استبدال مادة نصية في لغة واحدة (اللغة ألأصلية) بمادة نصية مكافئة لها في لغة أخرى (اللغة المستهدفة) ".(2)

.....

1 -رأي فينوتي ورد في مداخلته الموسومة :

Venuti .L :Translation As a Social Practice or The Violence of Translation .1991

أنظر : نيوبرت ألبرت –غريغوري شريف : الترجمةو علوم النص ص2

2- كاتفورد جي .سي. : المرجع السابق ص43

وتحوي اللغة الأصلية في عملية الترجمة مادة نصية أي دلالات محددة تكون محل اهتمام المترجم بحيث يسعى إلى استبدالها بمادة مكافئة لها في الدلالة لا في اللغة ، باعتبار الاختلافات البينة بين اللغات .

و في نظر البروفسور بيتر نيومارك فإن نقل معنى نص اللغة المصدر يكون تابعا في الغالب إلى الطريقة الأصلية للمؤلف .

"ما الترجمة ؟ هي غالبا –و لكن بالتأكيد ليس دائما– نقل معنى نص إلى لغة أخرى بالطريقة التي أرادها مؤلف النص "(1).

و بهذا فإن تحديدنا للنص المراد ترجمته و هو هنا القرآن الكريم ، يجعل الترجمة تبدأ من تحديد اللغة المصدر (اللغة العربية) إلى تحديد مضامين و دلالات هذه اللغة ، أي محتوى النص القرآني ، و بالتالي تكون عملية الترجمة محاولة للوفاء بالمعاني التي يتضمنها النص القرآني .

و إن هذه الفكرة تحيلنا مرغمين إلى النقاش القائم بين علماء الأصول حول استحالة ترجمة النص القرآني باعتباره أنزل لفظا و معنى ، مقابل من اعتبروه معنى فقط .
و قد أجمع العلماء على ذلك ، فلا يعد المعنى وحده قرآنا ، مثلما نجد في عملية الترجمة التي تركز في الغالب على المعاني و الدلالات التي يتبناها النص القرآني. (2)
و الترجمة كما ذكرنا تنقل المعنى دون اللفظ ، فهي بذلك تفصل في مسألة ترجمة النص القرآني ، و تفرض علينا هذه النظرة اعتبار الترجمة عملية تفسير النص القرآني

.....

1- نيومارك بيتر : الجامع في الترجمة ، ترجمة حسن غزالة ، مطابع جامعة البصرة ، ص 2

2- محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن ،دار الفكر العربي،القاهرة مصر ص 583

إلى لغة جديدة ، مع اختلافها نسبيا أو كليا عن الأصل .

و قد أشار جورج مونان إلى أن الترجمة غير قادرة على إعادة إنتاج الأصل ، إلا في في حدود معينة و بمقدار معين ، لذلك يغدو من الضروري تحديد المقدار من الترجمة و رسم حدوده ، و عموما فإن الترجمة غير قادرة أن تكون الأصل .

" يمكن تحديد عمل المترجم بأنه يترجم ، و لكي يبلغ غايته عليه أن يتجنب كل العوائق و يقوم بكل ما تسمح به الترجمة " .(1)

و يهتدي جورج مونان إلى ثلاثة نقاط جوهرية يشكل تجنبها خطوة هامة في عملية الترجمة :

1- إن التجربة الشخصية غير قابلة للتوصيل بمجموعها.

2- إن الوحدات الأساسية للترجمة في لغتين ليست قابلة دائما للقياس بمقياس واحد من الناحية النظرية .

3- الإتصال هو لب عملية الترجمة و يبقى دائما ممكنا بالرجوع إلى المواقف المشتركة بين المتكلم و المخاطب أو بين المؤلف و المترجم .(2)

و ما دامت التجربة الشخصية غير قابلة للتوصيل بصفة كلية ، فإن هذا يجعل من عملية الترجمة عملية جزئية ، فلا يمكنها أن تكون تامة .

و في هذا الشأن يوجه مونان خطابه إلى الدارسين و الباحثين في مجال الترجمة ،

.....

1- جورج مونان : المرجع السابق ص 305

2-نفسه ص 309

داعيا إياهم إلى إحصاء وقائع إخفاق الترجمة بدلا من تعميم النتائج المستفادة من عدد قليل من التجارب على اللغة ككل و عملية الترجمة ككل . (1)

المبحث الرابع –أنواع ترجمة النصوص:

لم تكن ترجمة النص القرآني ملحة على علماء الإسلام في عصورهم الأولى ، نظرا لسيطرتهم السياسية و الاجتماعية على الشعوب المجاورة ، التي تبنت الإسلام دينا جديدا لها و اللغة العربية لغة جديدة لها .

و مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي برزت الترجمة كعامل أساسي لنقل المعارف و العلوم العربية إلى اللغات الأوروبية ، فكان من بينها القرآن الكريم الذي يعد بحق أغلى و أقدس كتاب لدى العرب و المسلمين ، مما دفع بالعديد من المترجمين الأوروبيين إلى محاولة نقله إلى اللغة اللاتنية بداية ثم إلى اللغات الأوروبية المختلفة فيما بعد .

كانت الترجمة حينئذ تسير على منهج ترجمة الأسفار مجتمعة في العهدين القديم و الجديد ، و اتخذ رجال الدين و المفكرون الأوروبيون ثلاثة طرق لترجمة النصوص المقدسة ، أولها الترجمة الحرفية الشديدة التي تقابل فيها كل كلمة في لغة النص المصدر مثيلاتها من النص الهدف ، و ثانيها الترجمة الحرة التي لا تتقيد بالأصل و تسعى إلى إعادة صياغة الترجمة في اللغة الهدف ، أما الطريقة الثالثة فتتجسد من

.....

1- جورج مونان : المرجع السابق ص 305

خلال الترجمة الخلاقة التي تعتمد على محاكاة الأصل ثم إعادة الخلق بعد ذلك ، إلى أن تصل العملية إلى إبداع نص جديد لا يشير إلى الأصل إلا تلميحا .(1)

و لما اتسع نطاق الترجمة في أوروبا ، اتجه بعض الأوروبيين إلى ترجمة كتاب المسلمين المقدس ، بغرض تفنيد ما جاء به الدين الإسلامي من عقائد و شرائع . غير أن الاهتمام بالنص القرآني أخذ يتزايد عند الأوروبيين المهتمين بتراث الشرق الإسلامي ، و لم يكد ينتصف القرن العشرون حتى كان القرآن مترجما إلى جل اللغات الأوروبية الحديثة.

و قد أوردت الإحصاءات أن القرآن الكريم ترجم إلى أزيد من سبعين لغة مع نهاية سنة 1986 ، بينما تجاوز كتاب الأسفار الجامع للعهدين القديم و الجديد ألفا و ثلاثمائة لغة في العالم مع نهاية سنة 2005 .(2) و مما لا شك فيه أن اللغات الأوروبية كانت دائما سباقة لترجمة النصوص المقدسة ، و ذلك نظرا للظروف اللغوية التي تعيشها القارة الأوروبية ، من تعدد لغوي يفرض على الباحثين ترجمة دائمة في العديد من اللغات الأوروبية .

و قد كان القرآن الكريم مصدر اهتمام كبير لدى المستشرقين و رجال الدين في أوروبا منذ القرن العاشر الميلادي ، و لم يكد يطل القرن العشرون حتى كان نطاق ترجمة النص القرآني قد اتسع عند الغربيين بكيفية لم يتمكن علماء الإسلام التحكم فيها و توجيهها ، و مع ذلك حاولت بعض الهيئات الإسلامية و بعض العلماء المسلمين .....

1 – الديداوي محمد : الترجمة و التواصل ص 80

2 -Elfoul Lantry : Traductologie Littérature Comparée, Casbah editions , Alger 2006 , p 270

التصدي إلى فكرة ترجمة النص القرآني ، و ذلك بعد مناقشات حادة حول قضية جواز أو حظر ترجمة القرآن الكريم .
كما نوقشت بعض الجوانب النظرية و التطبيقية للترجمة ، من منظور أصولي شبه علمي ، فكان الإجماع على أن الترجمة الخاصة بالنص القرآني نوعان ، ترجمة حرفية و ترجمة تفسيرية ، و لكل منهما أنواع فرعية .

1 : الترجمة الحرفية :

الترجمة الحرفية هي أقدم الترجمات على الاطلاق ، إذ أن نقل المعارف يتم حتما بنقل الخصائص اللغوية في مادة الترجمة ، لذلك كانت الترجمة الحرفية عند علماء الأصول بمثابة نقل الكلام من لغة إلى أخرى بشرط الموافقة في النظم و الترتيب و بطبيعة الحال المحافظة على معاني النص الأصلي المترجم .

و إن الترجمة الحرفية كانت دلالة على النقل الأمين للنصوص الدينية ، فقد ترجم التلمود قديما بنفس الكيفية ، بل إن الخارج على الترجمة الحرفية عند العلماء اليهود يتهم بالهرطقة و الإبتداع .(1)

و عرفت أوروبا بعد النهضة تيارين متجاذبين في الترجمة ، هما الترجمة الحرة و الحرفية ، فكانت الغلبة في القرن السابع عشر للاتجاه الأول أو ما سمي بترجمة الحسناء الخائنة أو الترجمة التي توهم بالتماثل ، و لكن القرن التاسع عشر كان ينتصر

.....

1 - لاروز روبير : المرجع السابق ص 46

للترجمة الحرفية بغرض الوفاء للنص و عدم الخروج عن مضامينه الأصلية .
و قد أولى العلماء المسلمون المحدثون الترجمة الحرفية عناية خاصة ، لما لها من تأثير على طبيعة النصوص و النص القرآني بخاصة ، و أسموها كذلك الترجمة اللفظية ، احتداء بالباحث الأنجليزي جون دريدن –ق 19 – الذي ميز بين ثلاثة أنواع من (1) الترجمة أولاها الترجمة الحرفية اللفظية و ثانيها الترجمة التفسيرية و ثالثها الترجمة الحرة .ويبقى الباحثون و العلماء في المشرق العربي يقارنون بين النوعين الأولين دون الخروج عنهما في جل الدراسات التي أقيمت حول ترجمة النص القرآني .

فالترجمة الحرفية في نظر الشيخ مناع القطان" هي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقا للنظم و الترتيب موافقا للترتيب .(2)
و هذا النوع من الترجمة قوبل بالرفض و التحريم من طرف جل فقهاء و علماء العصر الحديث سواء كانت الترجمة الحرفية بالمثل أو بغير المثل .
إن الترجمة الحرفية بالمثل هي الترجمة المماثلة للأصل في النظم ، بحيث توافق كل كلمة في النص المترجم جارتها في النص المصدر ، كما يشترط فيها المماثلة في الأسلوب و النحو .
أما الترجمة بغير المثل فيشترط فيها التماثل بين اللغتين بالقدر الذي يسعه المترجم و تسعه الترجمة .
و إن الترجمة الحرفية في نظر بعض المترجمين أثبتت محدوديتها في ترجمة بعض الأنماط من النصوص ،لكن النظرة إلى وظيفتها كعملية قبلية في الترجمة لا زالت مجهولة عند العديد من المترجمين .حيث يرى بيتر نيومارك :

.....

1- لاروز روبير: المرجع السابق ص 45
2-القطان مناع : مباحث في علوم القرآن ،مكتبة وهبة ،ط 10 ، ص 307

"قم بترجمة جمل حيثما استطعت ، و دائما حرفيا و بشكل لصيق قدر الامكان ، حينما يتسنى لك أن تمسك برأس الخيط أو تحظى بفهم المعنى العام،بعدئذ تأكد أنك أخذت بالحسبان كل كلمة في نص اللغة المصدر ، هناك الكثير من الكلمات التي يمكنك أن تقرر عدم ترجمتها لسبب وجيه ".(1)

إن بيتر نيومارك يؤكد أن عملية الترجمة تخطو خطوات متنامية لبلوغ الترجمة الصحيحة المرجوة ، فتكون بذلك الترجمة الحرفية عملية أساسية سابقة لكل عملية بعدها ، و قد تكون موفقة و مرضية إذا كانت موافقة و مكافئة لمادة اللغة المصدر .

" أعتقد أن على الترجمة الحرفية أن تكون إجراء الترجمة الأساسي في كل من الترجمة المعنوية و التخاطبية .."(2)

و بهذا تكون الترجمة الحرفية أول عملية يقوم بها المترجم على وجه العموم ، وبخاصة مترجم النص القرآني ، لينتقل بعد ذلك إلى خطوة أخرى هي محاولة نقله بما يوافق قدسيته .

" الترجمة الحرفية هي الخطوة الأولى في الترجمة ، و لا يهجر المترجم الجيد الرواية الحرفية إلا حينما لا تكون دقيقة بشكل واضح أو مكتوبة على نحو رديء. "(3)

فالترجمة الحرفية هي الخطوة الأولى التي يقوم بها المترجم في عملية التحويل ، و تسمى كذلك الترجمة الوسيطة ، بحيث ينقل المترجم تراكيب و جمل اللغة الأصل إلى ما يكافؤها حرفيا في اللغة الهدف ، و لكنها تكون في الكثير من الحالات غير مستوفاة لشروط النصية أي تخلو من السلاسة و الحبك و السبك ، و بخاصة في اللغات غير المتقاربة .(4)

.....

1- نيومارك بيتر :المرجع السابق ص 65

2 -نفسه ص 91

3-نفسه ص 100

4 -الديداوي محمد : منهاج المترجم ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط 1 ،2005 ، ص 366 .

والحقيقة إن الترجمة الحرفية ليست نوعا واحدا ، بل نوعان من حيث النقل الدقيق أحدهما صحيح و سليم تتطابق فيه اللغة الهدف و اللغة المصدر تطابقا كليا أو شبه كلي، و هذا الأمر نادر الوقوع ، و ثانيهما الترجمة السقيمة التي لا تتطابق فيها اللغتان، و بخاصة في اللغات المختلفة الأصول(1) .كما أن الترجمة الحرفية قد قسمت حسب طبيعة النقل إلى ثلاثة أقسام هي الحرفية وواحد بواحد و الكلمية ، و هذا لايتنافى مع التقسيم الثنائي ، و تظل اختلافات البنى اللغوية بين اللغات المختلفة الأصول فاصلا ، يجعل الترجمة الحرفية عادة عرضة للإبهام ، و لكنها صحيحة و يجب عدم تجنبها .(2)

كما قسم بعض علماء الأصول الترجمة الحرفية إلى نوعين هي الترجمة الحرفية بالمثل و بغير المثل ، و هو تقسيم صائب إلى درجة كبيرة ،بيد أن الاختلاف بين علماء الأصول و الترجمة يكمن في الأساس في تسمية المصطلحات لا غير .

تقسم الترجمة الحرفية عند المتخصصين إلى ثلاثة أنواع هي الترجمة كلمة بكلمة والترجمة واحد بواحد و الترجمة الحرفية .

1-1 -**الترجمة كلمة بكلمة أو الكلمية** : و فيها يتم تحويل قواعد اللغة المصدر و كلماتها

المرتبة بنفس الكيفية إلى اللغة الهدف ، أي أن تكون كلمات اللغة الهدف تحت كلمات اللغة المصدر بصفة مباشرة ، و تستعمل هذه الترجمة لفهم آليات اللغة المصدر و تفكيك النص المصدر كعملية قبلية للترجمة .

الترجمة الحرفية أو كلمة كلمة إنتقال من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف ، دون أن يصب المترجم اهتمامه على شيئ آخر غير التوظيفات اللغوية أي تحويل قواعد اللغة

.....

1 - نيومارك بيتر : المرجع السابق ص 89

2 - المرجع نفسه ص 90

الأولى و ترتيب كلماتها إلى اللغة الثانية .(1)

1-2-**الترجمة واحد بواحد** : و هي تشبه ترجمة الكلمة بالكلمة ، إذ تركز أيضا على الكلمات الأصلية في اللغة المصدر و ترصد مكافئاتها في اللغة الهدف ، بيد أن التركيز على دقة المعاني قد يكون نسبيا ، نظرا لتباين اللغات و انعدام المكافئات المعنوية الدقيقة و بخاصة بين اللغات المختلفة الأصول .

و قد تكون الترجمة كلمة بكلمة وواحد بواحد هي ما عناه الأصوليون بالترجمة الحرفية بالمثل ، أما الترجمة كلمة بكلمة فقد تكون الترجمة بغير المثل ، و إن الاختلاف في المصطلح موجود عند الباحثين أنفسهم ، فالترجمة كلمة بكلمة هي كلمية عند كاتفورد و بيسيطرية عند نيومارك .(2)

1-3 – **الترجمة الحرفية** :

في هذا النوع من الترجمة يتم استبدال مفردات اللغة الأصل بمثيلاتها في اللغة الهدف، و قد تكون بذلك عملية التحويل شاملة لكل البنى القواعدية للغة المصدر بتحويلها إلى ما يقاربها في اللغة الهدف ، وتشكل بذلك تقيدا تاما بالنص الأصل و بناه ، مما يؤدي إلى عدم الخروج عن الضوابط و السمات الشكلية و التركيبية للنص .

ويؤكد بيتر نيومارك على أن الترجمة الحرفية أبسط و أسهل شكل للترجمة ، إذ تتم عملية الاستبدال اللغوي بين نصين دون المساس بضوابط اللغتين ، غير أنه من النادر أن تتطابق لغتان معنويا .

.....

1 – نيومارك بيتر : المرجع السابق ص 90

2 –نفسه ص 58

وقد يحدث أن يجري المترجم تغييرات في اللغة الهدف تفرضها الخصائص النحوية المغايرة لنحو اللغة المصدر،و يكون التغيير عادة بإضافة بعض الكلمات أو التضخيم أو تغيير تركيب الجمل.

"ما أطرحه على أية حال هو أن الترجمة الحرفية صحيحة و يجب عدم تجنبها إذا كانت تضمن مرادفا إشاريا و ذرائعيا للأصل ".(1)

إن الترجمة الحرفية أثارت تحفظ الكثير من المترجمين على أنها عقيمة ، و لكنها في حقيقة الأمر مرحلة هامة و أساسية في عملية الترجمة من وجهة نظر لغوية ، على أن يسعى بعدها المترجم إلى اختيار عملية النقل المناسبة لطبيعة النص ، و مع ذلك لا يوجد ترجمة كاملة و صحيحة أو مثالية ، فالمترجم الجيد لا يشعر بالرضا أبدا عن ترجمته أو أي ترجمة كانت ، فكل ترجمة قابلة للتحسين من طرف المترجم ذاته أو مترجم آخر .

و يصعب من الناحية التطبيقية تحديد المكافئ المناسب في اللغة المترجمة ، و بالمفهوم اللغوي يندر إيجاد كلمات في اللغة الهدف تعبر عن نفس معنى كلمات اللغةالمصدر ،لذا يؤكد نيوبارتNeubert استحالة التطابق المعنوي بين كلمة في اللغة المصدر و كلمة في اللغة الهدف إلا في القليل النادر ، كما أنهما يتباعدان غالبا من حيث القواعد الجملية و النحوية .(2)

كما يؤكد ولهلم فون همبولت (3)wilhelm von humbolt في مقدمة ترجمته لمسرحية

.....

1-نيومارك بيتر : المرجع السابق ص 90

2 – نفسه ص 89

3 - ولهلم فون همبولت عالم لغة ألماني 1767 –1835 ، مؤسس جامعة برلين 1809 و صاحب النظرية العامة للغات .

أغاممنون agamemnon لأشيل ، أن المعنى الأصلي لا يوجد إلا في النص الأصل .(1) إذ الاختلاف بين اللغات موجود ، و ناتج عن بناها و تراكيبها المختلفة ، و لذلك فإن لكل لغة بنيتها المتميزة بحيث تؤثر على طرق تفكير أصحابها .(2)

و هذه الفكرة تدعم بطريقة جلية الفكرة القائمة عند علماء الأصول القائلة باستحالة ترجمة النص القرآني إلى لغات الشعوب المختلفة ، و العلة في ذلك أن القرآن الكريم أنزل لفظا و معنى ، كما كان التحدي فيه و الإعجازمستند على اللفظ و المعنى معا ، أما الترجمة فلا تنقل إلا المعنى ، مما يجعل إشكال ترجمة النص القرآني عويصا.(3)

2 : الترجمة التفسيرية :

أجمع العلماء المعاصرون على جواز ترجمة النص القرآني ترجمة تفسيرية ، و لكن ما المراد بالترجمة التفسيرية ؟

يراد بها شرح الكلام و بيان معناه بلغة مخالفة للغة النص المصدر ولا يشترط فيها التماثل في النظم و ترتيب الكلام فيه. و تنعت عند الأصوليين كذلك بالترجمة المعنوية، كما تختص ترجمة النص القرآني بالترجمة التفسيرية المعنوية ، و تتخذ لذلك أسسا و مقاييس محددة و مضبوطة .و قد قسم علماء الأصول هذه الترجمة إلى أنواع متعددة نذكرمنها :

.....

1-Reiss Katharina –:Op.cit p 115

2-مومن أحمد : اللسانيات النشأة و التطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ط 2 ،2005،ص 60

3-أبوزهرة محمد : المرجع السابق ص 583

2-1 – أنواع الترجمة المرتبطة بدلالة النصوص : و تقسم إلى أنواع أربعة هي :

2-1-1 –الترجمة التفسيرية :

تعتمد هذه الترجمة على مجموعة تفاسير لتحديد المعنى المعجمي لألفاظ النص القرآني ، فتغدو مهمة المترجم حيوية لاستقصاء الآراء و التفاسير ، مع مقارنتها و تمحيصها ليخرج المترجم برأي شخصي يتحدد من خلاله معنى النص ليقوم بعملية التحويل و الترجمة ، و في هذا النوع من الترجمة تترك المبادرة للمترجم لاختيار اللغة و الأسلوب المناسبين لنقل معاني النص ،فالترجمة التفسيرية هي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقيد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لتنظيمه. (1)

2-1-2/ ترجمة تفسير معاني القرآن الكريم : يعتمد هذا النوع من الترجمة على تفسير محدد سلفا ، يبني المترجم تفسيره عليه لتحديد دلالات النص الأصلي ، كما تعت الترجمة التفسيرية عند بعض الأصوليين بالترجمة المعنوية ، و لعل التقارب بين النوعين كامن في حرية تعامل المترجم مع معاني النص المصدر ، بنقلها بطريقة قد تخالف أسسه الشكلية ، إلا أن الترجمة المعنوية هي ترجمة غير مقيدة أو حرة. .

و هي بهذا تخالف قواعد الترجمة الحرفية الدقيقة الارتباط بالنص المصدر و خصائصه اللغوية و الأسلوبية ، و كانت الحرية و عدم التقيد السمات البارزة للترجمة المعنوية ، فهي بهذا مرنة يتساهل فيها المترجم في تعامله مع الشروط الموضوعة للترجمة الصحيحة ، و يمكن للمترجم فيها أن يتدخل في تفسير النص و تأويله ،بالإضافات و التضخيم بغرض إبلاغ المضمون للقارئ .

.....

1 – القطان مناع : المرجع السابق ص 310

إن الترجمة التفسيرية تتعامل مع المحتوى الدلالي للنص المصدر بحرية ، من حيث الميل إلى الإطالة و إعادة صياغة التراكيب ، و هذا ناتج عن إصرار المترجم على تتبع دقائق دلالات النص .

"يجب على الترجمة المعنوية أن تفسر بينما الترجمة التخاطبية توضح . " (1)

و من هذا الأساس كانت الترجمة التفسيرية معنوية ، و هذا لا يعني أن هذا النوع من الترجمة هو الأفضل ، فالترجمة المعنوية عادة ما تكون في مستوى أدنى من الأصل حيث يفقد النص بعض دلالاته نتيجة لتعامل المترجم مع معاني النص حسب فهمه و تأويله .

و إنما كان اختيار الترجمة التفسيرية عند علماء الأصول بغرض الحفاظ على قدسية النص القرآني ، و ذلك بتجنب الترجمة الدقيقة لئلا ينصرف المتلقي العربي و غير العربي الجاهل باللغة العربية إلى الترجمة دون الأصل مما قد يؤثر على فهمه للإسلام، أو قد ينتج عنه تحريف صريح أو غير صريح للنص المقدس .(2)

و هذه نظرة سليمة ، و لكن في المقابل تبقى الترجمة التفسيرية أو المعنوية دائما ترجمة شخصية و فردية ، و لا تعبر إلا على فكر المترجم المحدد لتفسير النص ، في حين أن النص أقوى و أسمى من أي نوع من الترجمة .

2-1- 3- الترجمة الوفية : و هي من أكثر الترجمات ارتبطا بالنص المصدر من حيث المضمون الدلالي و الشكل اللغوي ، حيث يسعى المترجم فيها إلى الوفاء التام بمقاصد النص و التحقيق النصي ، و يتم إثرها إعادة إنتاج المعاني السياقية للنص المصدر بدقة متناهية في النص الهدف ، مع محاولة الحفاظ على البنى النحوية للغة ، و هي عموماترجمة تتوخى الصرامة في نقل المعاني و لا تقبل المهادنة مثلما نجد في

.....

1-نيومارك بيتر : المرجع السابق ص 61

2-أبوزهرة : المرجع السابق ، ص 588

الترجمة المعنوية التي تقبل التنازلات ، كما تفتح المجال واسعا لتغلغل المترجم في النص المترجم ، مما يجعلها تبتعد عن النص ، و تكون أقل وفاء في ترجمته .

وقد اعتبر بعض الباحثين الترجمة المعنوية الأجدر بالنصوص المقدسة دون غيرها من أنواع الترجمة .

" تستعمل الترجمة المعنوية للنصوص التعبيرية بينما التخاطبية تستعمل لنصوص إعلامية و خطابية " . (1)

هذه الأنواع من الترجمة قد يستفاد منها في تحديد كيفية جديدة لترجمة النصوص المقدسة أو النصوص التعبيرية عموما ، في حين لا يمكننا قبول أنواع أخرى تميل إلى تحرير الترجمة من بعض القيود ، و نذكر منها :

1 - فوق الترجمة Surtraduction :

يلجأ المترجم في هذا النوع من الترجمة إلى الإضافة والحشو و التضخيمParaphrase في النص المترجم(2) ، سواء فيما يتعلق بتوضيح كلمات أو مفاهيم(3)، و بهذا يبتعد النص المترجم عن النص الأصل إثر تدخل المترجم لإيضاح المعنى أكثر مما يرد في الأصل ، و من الترجمات المشهورة في هذا النوع نجد ترجمة أندري شوراكي للقرآن الكريم باللغة الفرنسية(1990) ، و قد اتبع فيها أصل الكلمات الإشتقاقي اللغوي في كل النص القرآني ، و عدم الالتفات إلى المعاني السياقية و الدلالات الشرعية ، و إنما اتبع المترجم هذه الطريقة في نقل المعاني محاولة منه لإبراز أن اللغة القرآنية و العربية لها جذور عبرية ، فتكون اللغة العبرية هي الأصل ، و بالتالي يكون إقحام مفهوم لغوي غريب عن الترجمة في المجال الترجمي ، مع أنه اتبع نفس الطريقة في

.....

1 -بيتر نيومارك : المرجع السابق ص61

2 -الديداوي محمد : الترجمة و التواصل ، ص 15 .

3-Elfoul Lantry ; Op.cit p 213

ترجمته للنصين التوراتي و الإنجيلي(1) .

2-2 -أنواع الترجمة المرتبطة بلغة الترجمة :

و من أنواع الترجمة المرتبطة باللغة المصدر و النص المصدر نجد الترجمة البائنة و عكسها الترجمة غير البائنة .

2-2-1 – الترجمة البائنة :

تعد أهم نوع من الترجمة ذات الصلة و الارتباط الوثيق بالنص المصدر و لغته ، إن الترجمة البائنة تتقيد بالأصل ، و ترتبط على نحو معين بثقافة و مجتمع اللغة المصدر ، لذلك يسعى المترجم فيها إلى الحفاظ على تراكيب و خواص اللغة المصدر ، و بخاصة في اللغات ذات الأصول المشتركة . (2)

إن التأكيد على النص المصدر ، هو تأكيد على الخصوصية الثقافية للنصوص ، و بالتالي محاولة الاهتمام بالجانب الثقافي في عملية الترجمة ، مثلما دعت إليه المدرسة الألمانية على يد فيرمير و سنيل هورنبي وكاثارينا رايس باقتراح الترجمة الهادفة أو الغائية ، فأصبح أساس الترجمة عندئذ أنها تقع بين ثقافتين لا بين لغتين .(3)

.....

1-نعيمي محمد صادق : ملاحظات نقدية على ترجمة شوراكي للقرآن الكريم ،في مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ، س 13 ، العدد 34 ، أبريل 1998 ، الكويت ، ص 160

2 -الديداوي محمد : المرجع السابق ص 81

3- المرجع نفسه ص 81

2-2-2 – الترجمة غير البائنة :

و يكون فيها النص المترجم هو المهيمن على النص المصدر و لغته ، و تكون النتيجة تأقلم النص المصدر مع النص الهدف و قبوله ، و هي بهذا ترجمة لا تحافظ على أصالة النص ، بل يتوخى المترجم فيها تحويل خصائصه إلى اللغة المستقبلة و ثقافتها ، حتى يبدو كأن النص الهدف هو المصدر .

ويبرز في هذا المجال اللغوي الأمريكي أوجين نيدا (1914) المتخصص في ترجمة الأسفار ، حيث تمكن من ربط نظريات الترجمة و اللسانيات الحديثة بترجمة نصوص التوراة و الإنجيل ، و كان قد شغل منصب مستشار للجمعية الأمريكية الإنجيلية لمدة أربعين سنة ، فتوصل إلى ما أسماه الترجمة التأثيرية المستهدفة ، الرامية إلى إيصال نصوص الأسفار بطريقة تأثيرية إلى كافة الناس على اختلاف ثقافتهم(1) .

اهتم أوجين نيدا باللغة الإغريقية و تحصل على شهادة تثبت تخصصه و إتقانه لها سنة 1943 ، ثم التحق بـAmerican Bible Society إلى غاية 1946 ، ثم عين أمينا بها إلى غاية تقاعده سنة 1980 ،ثم استقر ببروكسل ببلجيكا .

ركز أوجين نيدا جهوده حول ترجمة الأسفار إلى لغات العالم المختلفة ، مستفيدا من اتصالاته المتعدده بشعوب العالم المختلفة ، و بخاصة الشعوب البدائية ، لذا جعل من أولويات الترجمة و بخاصة ترجمة الأسفار إحداث التواصل السهل بين النص و المتلقي سواء من حيث المضمون أو اللغة و الأسلوب .(2)

تقوم عملية الترجمة عند أوجين نيدا على مبدأ التكافئ في ترجمة بين لغة الأسفار

.....

1- **Margot Jean claud :Op.cit p130**

2- **www.nida institute .org**

بعديها القديم و الحديث و بين اللغات المستقبلة ، والمكافئ المناسب عند نيدا يعني وجود علاقة بين الترجمة و الأصل سواء أكانت واضحة معلومة أو مستترة .(1)

توخى أوجين نيدا البحث عن درجة تأثير الترجمة على المتلقي فاقترح الترجمة التأثيرية ، التي تستوجب تحقيق التأثير المترادف على المتلقي أي إعادة إنتاج نفس تأثير النص المصدر أو تأثير قريب منه ، و يدعوه نيدا "بالتأثير الديناميكي " أما نيومارك فيطلق عليه" الاستجابة المترادفة " .(2)

و يؤكد نيدا على صعوبة الترجمة ، و إيجاد المكافئ المناسب تبعا لتباعد المسافات الثقافية و منها البعد الجغرافي بين شعوب العالم و لذلك يشترط مع تابر أربعة شروط ليقوم المترجم باستبدال لفظة أو تعبير بما يقابله أو يكافئه ثقافيا في اللغة المستقبلة و هي :

1 -تواتر اللفظ في الأسفار (Bible).

2 -باعتبار العلاقة الدلالية مع رموز أخرى .

3 -وجود تشابه بين الشكل و المادة .

4 - ترقب حدوث تفاعل عاطفي عند القراء المرتقبين .(3)

و بالرغم من أشتهار و انتشار نظرية أوجين نيدا في ترجمة نصوص العهدين القديم و الحديث ،إلا أنه لقي معارضة شديدة من طرف رجال الدين المسيحيين ، بحيث اعتبر

.....

1 -حسين خمري : جوهر الترجمة ،دار الغرب ، وهران ، الجزائر ،2006 ، ص 65

2 -بيتر نيومارك : المرجع السابق ص61

3- Margot Jean claude :Op.cit p130

كلود مونتاني (Claude Montagne)في مقال نشره بمجلةAposthasie بتاريخ 04 -01 -2002 أن التصرف في النص المقدس بالزيادة و النقصان يخل بقدسية الكلام الإلهي ، إذ لاحظ أن الأناجيل المتواترة إلى غاية التاريخ المذكور تختلف مع الأصول الإغريقية في عدة نقاط ، أما المترجمة عن Le Textus Receptus فيبلغ عدد الإضافات 7578 في حين تبلغ 9000 زيادة و تحوير في النصوص المترجمة عن Codex Sinaiticus ذات الأصول الإسكندرية .(1)

و يعتبر كلود مونتاني أن طريقة نيدا في الترجمة المعروفة بالتأثير الديناميكي مجدفة ، فهي تخضع النص الإنجيلي لثقافات الشعوب المختلفة ، في حين يجب إخضاع الشعوب لثقافة النص المقدس ، فاستبدال كلمة حمل الواردة في الإنجيل بفقمة حين ترجم الإنجيل إلى لغة الإسكيمو بألاسكا ابتغاء التأثير على القارئ يعد تحريفا للنص الإنجلي .(2)
و هكذا نستنتج أن أوجين نيدا اقترح ترجمة لنصوص الأسفار من التوراة و الإنجيل بغرض انتشارها بين شعوب مختلفة من العالم ، و بهذا يصبح هدفه السامي تبشيريا، اعتقادا منه أن الكلام المدون في الأسفار ليس مقدسا لذاته ، و بالتالي يجب ترجمته إلى كل لغات العالم .(3)
إن نيدا كان يدرك جيدا خطورة الترجمة و بخاصة على الكتب المقدسة ، غير أنه طرح قضية الأمانة في النقل من الأصل إلى الترجمة ، إذ تتجلى بالنسبة إليه في ترجمة النص بطريقة ليست بالصعبة و لا بالسهلة في اللغة و الثقافة المستقبلة . (4)

.....

1-Montagnier Claude :Versions De La Bible ,Faux –Docteurs Et Textes Grecs ,www.Voxdei

2- Idem

3 - Idem

4- Margot Jean claud :Op.cit, p130

هذه الأنواع من الترجمة تبين مدى اختلاف مدارس الترجمة التطبيقية ، كما تعكس اختلاف المنظرين و علماء الترجمة حول هدف الترجمة و مبتغى المترجمين من تحويل النصوص من لغة إلى أخرى ، و هل الترجمة تفقد النص الأصل أصالته ليتحول إلى إبداع جديد باللغة المستقبلة دون أي مرجعية لطبيعته الأولى ؟

كما نجد أنواعا أخرى من الترجمة تعطي حرية كبيرة للمترجم في تعامله مع النص الأصل منها الترجمة الحرة و الاقتباسية بينما تتقيد الترجمة الاصطلاحية و التخاطبية بالأصل :

1-الترجمة الحرة : هذه الترجمة تهتم بالمحتوى دون الأسلوب ، و تتغاضى عن التجاوزات التي يمكن للمترجم القيام بها مثل التضخيم و الإسهاب بإعادة الصياغة أطول من الأصل .

2 – الترجمة الاقتباسية : التي تبقى على موضوع النص مع الحرية في ترجمته إلى اللغة المستقبلة بخصائص جديدة ، و كأن الترجمة إعادة كتابة النص الأصلي .

3 –الترجمة الاصطلاحية : التي تتقيد بمضمون الأصل ، و لكنها ترهقه بالتفاصيل الزائدة غير الموجودة في النص الأصلي .

4 – الترجمة التخاطبية : التي تسعى دائما إلى نقل المعنى السياقي الدقيق للنص المصدر ، بحيث يكون المضمون و اللغة مفهومين عند المتلقي بدون صعوبة أو نفور.

إن هذا التحديد لأنواع الترجمة لا يمنع من تعدد النصوص المترجمة للنص الواحد ، إذ تغدو العملية نابعة عن فهم المترجم ، و لهذا أثره على فهم و تأويل النص و بالتالي

تأثيره على عملية النقل و الترجمة ، فالعملية التفسيرية تابعة لفهم المترجم ، و حيث إنه لا يمكن حصر المترجمين و لا منعهم من النظر في النص ، فإن الترجمات ستتعدد لا محالة . (1)

و يبدو التعدد لأول وهلة سمة لعجز الترجمة على أداء معاني النص القرآني بصورة تامة متكاملة ، مما يدفع المترجمين بصفة دائمة إلى محاولة تكرار عملية الترجمة ، بل إن كثيرا من الترجمات ظهرت في فترات متقاربة ،و بخاصة مع بداية القرن العشرين ، مثل ترجمة أكتاف بسل وأحمد تيجاني 1948 و ريجيس بلاشير 1948 و كذلك ترجمة دونيز ماسون1967 و حمزة بوبكر1972 و جاك بيركو أندري شوراكي1990 .

إن مجموع النصوص المترجمة تعد في حقيقتها نسخا للنص الأصلي ، لذلك لا تحاول إلغاءه ، و لا أن تصبح بديلا له و لا تسعى إلى استبعاده ، و في نفس الوقت لا تحاول إلغاء بعضها البعض ، بل تأخذ أهميتها و مكانتها في علاقتها مع النص الأصل ، لذا فإن مجموع النصوص المنسوخة تحاول العودة دائما إلى النص الأصلي لإثبات وجودها كنسخ شبيهة للنص . (2)

بل إن تعدد الترجمات للنص الواحد ، قد تكون في جوهرها حالة إيجابية ، قد تؤتي نتائج إيجابية لفهم النصوص القديمة عموما ، بشكل أكثر عمقا مما قد يتاح للترجمة

.....

1 – الصافي عثمان : المرجع السابق ص 117

2 – بنعبد العالي عبد السلام : المرجع السابق ، ص 58

الواحدة و الوحيدة أن تقدمه للنص الأصل ، و يرى ولهلم فون همبولت إن النقائص الكامنة في الترجمة الوحيدة يمكن تداركها في الترجمات اللاحقة ، فاختلاف الترجمة ناتج عن اختلاف فهم النص من طرف المترجم ذاته . (1)

و هذا لا يعني أن كل الترجمات صحيحة و لها ارتباط وثيق بالنص الأصل ،إذ يمكن بالمقارنة و النقد إثبات علاقة الترجمة بالنص ، و بالتالي درجتها في سلم العلاقة و الارتباط بالنص ،حيث إن الترجمات الأقل ارتباطا بالأصل ، تكون أقل مكانة و أسوأ مرتبة من تلك المنسوخة عن الأصل مباشرة .

ففي تاريخ ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية ، نجد العديد من الترجمات ليس لها وثيق صلة بالنص الأصلي العربي ، بل إن أغلبها مما ترجم قبل القرن العشرين كان ترجمة لترجمة ، و في كثير من الأحيان كان المترجمون لا يحسنون اللغة العربية الأصل ، و لعل أشهر ترجمة إلى اللغة اللاتنية ترجمة روبر دي رتين (1143) ، غير أن هذه الترجمة لم تعرف النور إلا سنة 1543 حين طبعها ثيودور بيلياندر ،مما جعلها أشهر من نار على علم ، إذ كان لها التأثير الكبير على الترجمات التي ظهرت في فترات لاحقة ، حيث وصل حد التأثير إلى الاقتباس منها و السير على نهجها في اللغة و الأسلوب ، فالمترجمون آنئذ كانوا لا يحسنون اللغة العربية و لا يرجعون مباشرة إلى النص الأصلي و إنما يترجمون نسخا مترجمة .

.....

1-Reiss Katharina –:Opcit p 152

وتتكرر الحالة هذه مع بعض الترجمات المتميزة و باللغات الأوروبية الجديدة ، و منها ترجمة كل من الفرنسي أندري ريي 1647 و الإيطالي لودوفيكو ماراكي 1698 ، و كلاهما ترجم مباشرة من النص الأصلي العربي ، فكان لهما التأثير الكبير على العديد من الترجمات الأوروبية آنذاك ، فقد تأثر بأندري ريي كل من ألكسندر روس الأنجليزي و كلاير ماخر و يوهان لانج الألمانيين و بسكنتوف و فريفكين الروسيين .

و لهذا تعد تلك المحاولات ترجمات من الدرجة الثانية أو أبعد من ذلك فقد تكون ترجمات من الدرجة الثالثة ، حيث لا يستبعد بناء بعض الترجمات على ترجمة إيطالية أو فرنسية مبنية بدورها على ترجمة لاتنية ، فتغدو بذلك هذه الترجمات نسخا غير مماثلة للأصل ، أو نسخا كاذبة تنطوي على اللاتشابه بينها وبين الأصل .

و إن الترجمات المعتمدة على النص العربي دائمة التغير و التبدل و التكرار كذلك ، و مرجع الأمر كله تغير لغة الترجمة ، أو بالأحرى تغير اللغة ذاتها ، فاللغة الفرنسية في القرن السابع عشر الميلادي تحوي بلا شك فروقا جوهرية مع لغة القرن التاسع عشر(1) أو القرن العشرين ،فقد ترجم فرنسوا غالان كتاب ألف ليلة و ليلة بلغة و أسلوب القرن السابع عشر ، و كذلك فعل سافاري مع النص القرآني ، و نجد كل من إدوار مونتي و بعده أكتاف بسل ثم دونيز ماسون و جاك بيرك كلهم ترجم القرآن الكريم في فترات متعاقبة من القرن العشرين و هي ترجمات تتباين مع ما سبقها من الترجمات . لذا تظل الترجمة في تبدل دائم .

.....

1-Elfoul Lantry : Op.cit p 164

و يؤكد العديد من الباحثين عدم إمكانية ترجمة النص المصدر ترجمة نهائية ، أو أمينة حاكية للنص ، أو ترجمة طبق الأصل ، ففي هذه الحالة يموت النص ، و يصبح غير قابل للترجمة و غير قابل للتجدد و الحياة .

و الترجمة الأمينة و الكاملة و المثالية تقتل النص الأصل لسببين هما :

1 -استعمال حالة معينة للغة :

إذا سعت الترجمة إلى أن تكون نهائية ، و تضع نسخة طبق الأصل لها ، و تجعل من اللغة المترجمة مرآة تعكس النص الأصلي ، فإنها تكون قد استعملت حالة معينة للغة ، تلك الحالة التي لا بد أن تتحول و تتبدل . (1)

بيد أن الترجمات الأقل ارتباطا بالأصل ، تكون أقل مكانة و أسوأ مرتبة من تلك المنسوخة عن الأصل ، و إنما برزت تلك الترجمات في مرحلة سابقة من تاريخ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية ، حيث كانت ترجمة روبير دو رتين – 1143 –أول ترجمة إلى اللغة اللاتنية ، و كان الهدف من تلك الترجمة مجادلة الفكر القرآني و محاولة دحض كل فكرة فيه ، و لكن سرعان ما أدرك رجال الكنيسة خطر النص القرآني على المسيحيين ذاتهم ، فحظروا تداولها و نشرها ، إلى أن تمكن من ذلك الطابع ثيودور بيلياندر و ذلك سنة 1543 ، فبقيت ترجمة دو رتين رغم تحريفها للنص القرآني عمدة كثير من الترجمات اللاتنية ، بل إن مجموعة كبيرة من الترجمات لا تأخذ صلتها بالنص العربي بل بالنص اللاتيني ، فكانت بذلك ترجمات للترجمة ، أو بتعبير آخر نسخا مشوهة للنص الأصلي .

.....

1 – بنعبد العالي عبد السلام :المرجع السابق ص 20

2- ثبات النص:

يثبت النص إذا قاوم الترجمات المختلفة له ، فيظل دائما هو المصدر ، بينما تتحول كل ترجمة مهما كانت درجتها من الدقة إلى نسخة للأصل ، و مع تبدل اللغات وتطورها و بالتالي الحاجة الدائمة للترجمة ، يصبح من الضروري على المترجم الرجوع إلىالأصل ، لئلا تفقد الترجمات محتواه ، فينتج عن ذلك حتما تحريف للنص الأصل و في حالة استبدال النص الأصل بترجمة معينة ، سواء وفية أو غير وفية ، فإنه يتحول إلى تابع للنص المترجم ، لعدم قدرة القراء و النقاد الرجوع إليه لنقده ، و هذا قضاء على النص الأصل .

" فإذا كان في الإمكان ترجمة نص ما ترجمة نهائية فإنه يموت ، يموت كنص و كتابة ...إن المحاكاة الأمينة تقضي على عمل الترجمة من حيث إنها تؤقلمها و تنزع عنها امتياز الالتباس و عدم الاستقرار " . (1)

و على هذا يمكن التمييز بين النسخ الدائمة العلاقة بالأصل و النسخ المنفصلة عن الأصل ، و في كلا الحالتين فإن مصير الترجمة الزوال ، مادام الأصل باقيا و حيا في لغته .

" ففي حين أن كلام الكاتب يظل حيا في لغته ، فإن مصير أعظم الترجمات و أكثرها إتقانا هو الزوال و ذلك بفعل نمو لغة الترجمة و تجددها ". (2)

و على هذا قد يكون اختيار الدارسين للترجمة المعنوية لنقل معاني النصوص المقدسة ، بمثابة رؤيا مستقبلية لابقاء النص دائم التجدد في لغات العالم المختلفة ، مع المحافظة على لغة النص المقدس – القرآن الكريم – على أنه ركيزة أساسية لتداول لغوي قد يحفظها من الزوال و يديم تجددها عبر العصور .

.....

1-أنظر : ترجمة بنعبد العالي عبد السلام :في الترجمة ص 19.

2-المرجع نفسه ص 19

الباب الثاني :

ترجمة جاك بيرك و التفاسير القرآنية

الفصل الأول :

قراءة نقدية للترجمة و التفسير

المبحث الأول –الترجمة بين التقييم و النقد :

يتبع عملية الترجمة عادة تقييم إجمالي لها من طرف المترجم نفسه ، أو من طرف مترجم آخر يقوم بمهمة المراجعة و النقد و التقييم .و قد كانت المراجعة عند العرب قديما شرطا أساسيا في دقة نقل العلوم و المعارف و بخاصة التراث اليوناني ، كما نبه العلامة أبو عثمان الجاحظ في نظريته حول الترجمة على أهمية المراجعة في تقويم النصوص المترجمة ، بالتدقيق في النسخ لتفادي الخطأ في النقل و الترجمة .

وكانت المراجعة في عصر الجاحظ خطوة هامة حتى تكتمل عملية الترجمة ، و كذا بلوغ صحة النقل من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية ، و كان لبيت الحكمة في عصر الخليفة العباسي المأمون الدور الفعال في نقل العلوم اليونانية و آداب الشعوب المجاورة إلى اللغة العربية ، مما أدى إلى تنظيم المترجمين و تأطيرهم للاستفادة من قدراتهم اللغوية و المعرفية ، و إنما تحقق ذلك بتشجيع من الخليفة العباسي المأمون فلم يبخل بمساعداته المالية على بيت الحكمة.

و اشهر و أقدر المترجمين في ذلك العصر حنين بن إسحاق ، الذي عرف بصرامته في المراجعة و نقد الترجمات التي تقام في بيت الحكمة ، إذ كون مدرسة من المترجمين السريان عكفوا على نقل التراث اليوناني من اللغة السريانية إلى اللغة العربية ، و ذلك بالنقل و الضبط و التنسيق في إطار جماعي (1) ، حيث يجمعون النصوص ثم يدرسون و ينقدون مصادرها بالربط بين أجزائها .

و يسند العمل إلى مترجم واحد ، مع تكليف مترجم مساعد بنسخ الترجمة ، و في الأخير يقوم المراجع بتصحيح الترجمة .(2)

و تغدو المراجعة في عصرنا الحاضر أساسية لاكتمال الترجمة ، و تتمثل في التدقيق

.....

1-الديداوي محمد :منهاج المترجم ص 42

2- المرجع نفسه ص 42

اللغوي بين النصين الأصلي و المترجم ، و لا يمكن أن تتم العملية بدون مقارنة الترجمة بالأصل .

و يقوم المراجع بتصحيح الأخطاء الواردة في النص المترجم ، و الناتجة إما عن سهو عند المترجم ، أو نقص في كفاءاته الترجمية اللغوية أو خطإ في التقدير ، و في بعض الأحيان تكون المراجعة ذاتية أي من طرف المترجم .(1)

و من شروط المراجعة الجيدة نذكر :

1 – الدقة أي التدقيق في تتبع هفوات المترجم .

2 – الاكتمال أي عدم بتر النص في عملية تصحيح الأخطاء .

3 – التسلسل المنطقي في الجمل و الأفكار أي حرص المراجع على إبقاء التسلسل .

4 – السلاسة أي السعي إلى إرشاد المترجم إلى الاهتمام باللغة السلسة الواضحة .

5 – التنظيم المطبعي أي الحرص على توافق أجزاء النص و تعديل الإشارات في الحواشي . (2)

و المراجعة مرحلة مكملة لترجمة النصوص ، لهذا تدمج بإلحاح في عملية الترجمة الكلية ، و ترمي إلى تقييم الترجمة الآنية و الجزئية بالسعي إلى تحسينها ، و قد يكون التقييم كليا بغرض تثمين الترجمة .

و في الدراسات الحديثة أخذت عملية المراجعة مكانة أساسية في عملية الترجمة ، مما دفع ببعض الباحثين إلى الدعوة ضرورة تقييم الترجمة ، و منهم أوجين نيدا الذي أوضح أن للتقييم فعالية في عملية التواصل و فهم القصد ، ثم تساوي الاستجابة تبعا لنظرته في الترجمة التأثيرية .(3)

و قد تسبق عملية المراجعة تقييم الترجمة ، و هي عملية قبلية الغرض منها إتمام

.....

1-Joelle Redouane :Op.cit p 6

2- الدياوي :المرجع نفسه ص 44

3- الديداوي : الترجمة و التواصل ص 99

الترجمة ،و مساعدة المترجم على التحكم أكثر في سيرورة الفعل الترجمي ، و تكون المراجعة عادة بالاستعانة ببعض المتخصصين في المجال اللغوي ، أو المتخصصين في العلوم المختلفة المراد نقلها من لغة إلى أخرى ، و هكذا قد يضمن المترجم تصحيحا لغويا دقيقا و توجيها معرفيا شاملا.

و يستعين المترجم في المجال اللغوي بعدة متخصصين نذكر من بينهم :

1- متخصص في علم المصطلحات ، و مهمته إيجاد كافة المصطلحات المتعلقة بمادة الترجمة التي يحتاجها المترجم .

2- متخصص في علم التراكيب ، إذ يحدد التراكيب النمطية المستعملة في النصوص بطريقة متشابهة .

3- القارئ الذي يعيد قراءة النص المترجم ، و يشير إلى النقائص الجلية فيه و الألفاظ غير المكافئة لمرادفاتها في النص الأصل .

4- المراجع الذي يجري كل التغييرات الضرورية لضمان سلامة الترجمة . (1)

و ترمي هذه الإجراءات إلى تقييم و تقويم العمل المترجم ، قبل صياغته صياغة نهائية و التقييم قد يرافق المراجعة أو ينفصل عنها ، فيرتبط حينها بنقد الترجمة ، أما التقييم المرتبط بالمراجعة ، فيسعى إلى تتبع دقائق معاني النص و نقلها نقلا صحيحا ، مع تتبع سمات الأسلوبين من حيث التشاكل و التباين ، كما يتتبع المقيم و الناقد منهج المترجم من حيث الملاءمة مع روح و ثقافة اللغة المترجم إليها .(2)

.....

1–Daniel Gouadec :Faire Traduire ,Maison Du Dictionnaire, Paris 2004 , p 85

2- الديداوي محمد : المرجع السابق ص 98

اختلف في التقييم أيكون جزئيا يهدف إلى تحسين نوعية الترجمة أم يكون كليا يثمنها؟ ممهيدا بذلك لعملية لاحقة لا يتدخل فيها المترجم و لا المراجع و لا المصحح ، عملية تقيم الترجمة خارج فضاء كتابتها و هي نقد الترجمة ، يكون فيها للقارئ المتخصص المساهمة الفعلية لتقييم النص المترجم .

وقد ميز ألبرت نيوبرت بين النقد الأدبي للترجمة و نقد الترجمة ، فالأول يسعى إلى تقييم النص المترجم بغرض تحسينه ، بحيث يلقى الإقبال المناسب عند القارئ ، و يبعد بذلك عن الدراسة الموضوعية للنصوص المترجمة ، بوصف الإجراءات الترجمية التي يتبعها المترجم للوصول إلى تكافئ بين النص الأصل و النص الهدف ، و بالتالي ينصب اهتمام ناقد الترجمة على النص المترجم و قدرات المترجم ثم علاقة النص المترجم بالنص الأصل .(1)

و من الباحثين و المترجمين من ربط بين النقد الأدبي و الترجمة أمثال هنري ميشونيك H.Meschonnic (1932)في كتابهPoétique du Traduire و جينارو طالنس Jenaro Talens في مؤلفهL'ecriture Qu'on Appelle Traduire ، فالمترجم يمارس النقد حتما قبل أي عملية للترجمة ، إذ يرتبط النقد بعملية فهم النص و تأويله مما يساعد المترجم على إعادة كتابة النص Reécriture (2) .

و باعتباره شاعرا (آخر منشوراته الشعرية Et La Terre Coule2006)فقد أعطى ميشونيك أهمية كبيرة للأدب و ترجمته ، بل سعى إلى ترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد بأسلوب شعري ، (3) كما ناقش تأثير الفكر على الإبداع الشعري من

.....

1- نيوبرت ألبرت –شريف غريغوري : المرجع السابق ، ص 22 .

2-خمري حسين : المرجع السابق ،ص 121

3- Margot Jean Claude :Op.cit p306

خلال مؤلفه " La Pensée Et Le Poéme" (2005).

و تذهب إيناس أوزيكي ديبري Ines Oseki Dépré في كتابها Théories et Pratiques de la Traduction Littéraire " أن نقد الترجمة لا يختلف عن النقد الأدبي ، بل هما جنس واحد .(1)

فنقاد الأدب يحللون و ينقدون النصوص الأدبية العالمية في لغتها الأصلية أو في اللغات المترجمة ، فالأدب الروسي تعرف عليه الأوروبيون بلغة الترجمة و ليس اللغة الروسية ، و كذلك الحال مع إرنست هيمنغواي أو جون شتنبك أو باولو كويلو أو غيرهم من الروائيين و الشعراء .

و القارئ الجزائري تعرف على هؤلاء جميعا باللغة الفرنسية ، كما عرف العرب قصص بيدبا باللغة العربية التي وظفها ابن المقفع ، و نقد النقاد خصائص القصة على لسان الحيوان من خلال عمل ابن المقفع .

و هكذا يتداخل النص الأدبي المترجم و النص الأصل ، ليفسح المجال رحبا أمام النظريات النقدية ، التي تتغاضى عن دقائق العملية الترجمية ، لأنها تعيق الناقد الأدبي في تحليله للنصوص ، فعوض أن يتتبع جماليات النص يتيه في جدلية تكافئ النصين المترجم و الأصل .

و من الذين اهتموا بنقد الترجمة الباحث الفرنسي أنتوان برمان(194 -1991) من خلال مؤلفه " من أجل نقد للترجمة –جون دون " "Pour une Critique de Traduction Jhon Donne– المنشور أربعة سنوات بعد وفاة مؤلفه بباريس (غاليمار1995) ، ينطلق أنتوان برمان من أساس عملي فالنص المترجم قابل مثل أي نص آخر ، و لا يجب تقييده بالأفكار النظرية للترجمة .(2)

.....

1- Ines Oseki Dépré:Théories et Pratiques de la Traduction Littéraire,Armand Collin Paris1999, P17.

2-www.pum.umontréal.ca.revues.surfaces .vol5.bouvet .ktml

و قد اهتم برمان بالأدب و الترجمة من خلال مؤلفاته السابقة و منها L'epreuve De L'étranger , Culture et traduction dans l'Allemagne romantique-1984 بحيث يتعرض لأعمال الأدباء الألمان في المرحلة الرومنتيكية ، كما يترجم من اللغة الألمانية إلى الفرنسية كتاب " Des Differents modes de traduire " لشلاير ماخر فريدريتش 1985 .

و في مؤلفه الأخير حول نقد الترجمة يخص برمان الشاعر الإنجليزي جون دون بنقد أدبي ترجمي ، بتتبع ترجمات مختلفة لقصيدته المشهورة " Going to bed" و منها ترجمة أوجست موريل August Morel (1924)و كذلك إيف دونيس Yves Denis و جون فوزيي Jean Fusier (1962) أو ترجمة فيليب روثشيلد Philippe Rothschild (1969) أو الترجمة الإسبانية لأوكتافيو باز Octavio Paz1971 .

ركز أنتوان برمان على نقد ترجمات النصوص الأدبية ، و خصص الجزء الأكبر من كتابه لبيان منهجية نقد النصوص الأدبية ، و لهذا يقترح على الدارسين نوعا جديدا من النقد الترجمي سماه " نقد الترجمات " . (1)

تتمثل مقترحات أنتوان برمان في نقد النصوص الأدبية في تتبع خطوات متنامية لنقد و تحليل مضامين و أشكال النصوص الأدبية المترجمة ، نوردها كالتالي :

1- قراءة النص الإبداعي : يسعى القارئ و الناقد في المرحلة الأولى إلى قراءة مستقلة للترجمة ، يتوخى فيها التنقيب عن جماليات النص على أنه إبداع ، كما يستقرأ الناقد النص باحثا عن درجات الترابط بين المضمون و اللغة أو مدى تناسق الأسلوب .....

1-Berman Antoine: Pour une Critique deTraduction Jhon Donne Gallimard, Paris,1995,p41

باللغة ، و في معظم الأحيان ينظر القارئ للنص على أنه إبداع أجنبي كتب باللغة الأم.
" القراءة الأولى تبقى دائما قراءة نص أجنبي مكتوب باللغة الفرنسية ، القراءة الثانية تتعامل مع النص على أنه مترجم " .(1)

2 -قراءة النص المترجم : في المرحلة الثانية يقرؤ النص على أنه مترجم ، مما يفسر غرابته ، و خروجه عن مألوف اللغة و المضمون ، و لهذا يربط الناقد بين النص المترجم و صاحبه ، بدراسة شخصيته و موقفه و طريقته في الترجمة أو محيطه و بيئته و الأفكار السائدة في زمنه ، باللجوء إلى كتاباته أو مؤلفاته في فترة قيامه بالترجمة أو السابقة لها ، و كل ذلك بغرض التعرف على منهجيته في التعامل من النصوص عموما أو النص المعين للدراسة و الترجمة ، فحين درس ترجمتي فوزيي و دونيس وجدهما متأثرين بالشاعر مالارمي المشهور في زمنهما مما جعلهما ينسجان على نفس منوال مالارمي في ترجمتهما لقصيدة جون دون .
3 -قراءة مقارنة بين الترجمة و الأصل : المرحلة الثانية من نقد النصوص الأدبية تفرض على القارئ و الناقد الرجوع إلى النص الأصل و القيام بمقابلته مع النص المترجم و بهذا يتمكن من إحصاء مواطن الإخفاق أو التوفيق ، أو يحدد الناقد مقاطع نصية مبهة أو صعبة شكلت عائقا أمام المترجم ، و قد يلجأ الناقد إلى القراءات المشتركة Collatérales و ذلك بالرجوع إلى الترجمات المختلفة لنفس النص حتى يتمكن من معرفة مدى توفيق المترجم في تجنب مزالق الترجمات السابقة له أو قد تكون المقارنة بين عدة ترجمات بلغات مختلفة لنفس النص الأصل .(2)

4 – التقييم و النتائج : و هي آخر مرحلة في النقد ، و فيها يطرح الناقد نقده الفعال

.....

1-Berman Antoine: Op.cit.p 65
2- Idem p257

Critique Productive حول عملية نقل النصوص من لغة إلىدلالات مختلفة ، و يبسط أفكاره عن إمكانية القيام بترجمة أحسن.(1)

و على عكس أنتوان برمان فقد لاحظ ألبرت نيوبرت أن مناهج نقد الترجمة المتبعة ترتبط بدرجة كبيرة بالمنهج العملي المتبع في معاهد الترجمة و كلياتها ، إذ يكلف الطلبة بنقد نصوص كاملة أو أجزاء منها في اللغة المستقبلة ، دون مراعاة مدى ارتباطها بالنص الأصلي ، و هناك منهج ثان يرتكز على الدراسات اللغوية ، يتتبع فيه الناقد هفوات المترجم اللغوية و الأسلوبية و يصححها ، و كلا المنهجين بعيد عن نقد الترجمة المبني على دراسة و

مقارنة الترجمة بالأصل في نظر نيوبرت .

و بهذا يكون ألبرت نيوبرت ممن سعوا إلى تحديد منهجية خالصة لنقد الترجمة ينفصل تماما عن النقد الأدبي و يرمي إلى تتبع التطبيق الترجمي و تقييمه و توجيهه (2) .

و كذلك نادت كاتارينا رايس بنقد موضوعي للترجمة ، أي نقد قابل للإستدلال ، يعرض فيه الناقد حججه و دلائله على ما يقدمه من ملاحظات على الترجمة .(3)

و لا يمكن بأي حال أن نعتبر النقد المرتكز على النص المترجم ، دون الاعتماد على النص الأصل نقدا بمعنى الكلمة ،فلا وجود لنقد لا يعتمد على دراسة النص الأصل و النص الهدف معا .

و يرتكز النقد في نظر كاتارينا رايس على تحديد أنواع النصوص و محاولة التمييز بينها حتى يتمكن الناقد من التمييز بين خصائص كل نوع ، و لهذا رأت رايس أن النصوص أنماط متعددة تحددها الوظيفة اللغوية في النص ، فالوظيفة التمثيلية أنتجت

.....

1-Berman Antoine: Op.cit. p 19

2- نيوبرت ألبرت –شريف غريغوري المرجع السابق ، ص 22

3-Katharina Reiss : Op.cit , p 16

نمطا من النصوص الإخبارية وظيفتها عرض الأخبار ، أما الوظيفة التعبيرية فينتج عنها النصوص التعبيرية ووظيفتها جمالية ، تعتمد على الشكل و المضمون ، أما الوظيفة الإستثارية فتعطينا نصوصا تحريضية و وظيفتها طلبية .(1)

و إن تحديد نمط النصوص كان و لا زال مثار جدال بين الباحثين في حقل الترجمة ، و يقسم حسب المجالات المعرفية إلى أنماط مختلفة ، إذ يقسمها جورج مونان إلى تسعة أنماط هي :

1 – النصوص الدينية . 2 – النصوص الشعرية . 3 – النصوص الأدبية .

4 – نصوص أدب الطفال . 5 – النصوص المسرحية . 6 – النصوص التقنية . (2)

في حين ارتأ بيتر نيومارك تقسيم النصوص حسب طبيعة المواضيع التي تعالجها النصوص ، و هي بذلك ثلاثة أقسام :

1 –الأدبية و تضم كل النصوص الإبداعية . 2 –المؤسسية و تضم الدراسات و الأبحاث . 3 –العلمية و تضم النصوص التقنية و المتخصصة . .(3)

إن الاختلاف في تحديد الأنماط النصية مرجعه طبيعة النصوص ذاتها ،التي تختلف تبعا لتنوع العلوم أو المواضيع أو الطرح الذي يتبعه صاحب النص ، مما يدفع الباحث في مجال الترجمة و علم النص و لسانيات النص إلى محاولة تحديد الأنماط بهدف دراستها و تحليلها .

و بالرغم من أهمية تحديد تلك الأنماط النصية بالنسبة للباحث المقبل على نقد الترجمة، إلا أن تداخل النصوص في كثير من الأحيان يجعل تصنيفها صعبا (4)، والنص القرآني يجمع بين أنماط متعددة من النصوص و منها التعبيرية و الإخبارية و الندائية ،

.....

1- Katharina Reiss : Op.cit p42
2 - Idem .p 39

3–نيو مارك بيتر : المرجع السابق ص 56
4–الديداوي محمد : الترجمة و التواصل ص 23

مع توحده في نص متكامل لا يمكن فصل أجزائه ، و هذه السمة لفتت انتباه كل من أبي سليمان الخطابي(388) في مؤلفه" بيان إعجاز القرآن " .و أبي بكر الباقلاني(403) في كتابه "إعجاز القرآن ".

أما الخطابي فيقسم الكلام إلى طبقتين عليا و منها الفصيح و العذب ثم الدنيا و منها الكلام المرسل ، و النص القرآني اشتمل على عدة طبقات مجتمعة في وحدة و تناسق (1)، في حين يرى الباقلاني أن القرآن يخالف كلام البشر في صفاته و جوهره مما يجعله منظما على نمط واحد ، و بالرغم من اختلاف موضوعاته من موقع لآخر إلا أنه يسير على سنن و نمط متجانس دونما إخلال و اضطراب أو تفاوت بين سورة و سورة أو آية و آية أو موضوع و موضوع (2) .

و يرى الأسلوبيون المحدثون إن النص القرآني يقوم على التناسب و الترابط ، فالانتقال من موضوع لآخر و محتوى و آخر يتم بطريقة منظمة متناسقة مع القوالب و الأسلوب.(3) و هذا ما يزيد من صعوبة ترجمة النص القرآني ، فكيف يمكن لمترجم أن ينقل نفس الخصائص الأسلوبية الموحدة مع تنوع واختلاف في المواضيع القرآنية ؟

إن التمييز بين النصوص الإخبارية و التعبيرية على أساس شكلي لا ينفي ورود نصوص إخبارية تتضمن في ثناياها طابعا تعبيريا ، مؤسسا على المضمون و الشكل معا ، بيد أن الميزة الغالبة هي انفراد النصوص الإخبارية بالمضمون ، وتفرد النصوص التعبيرية شكلا و مضمونا ، و قد تكون الغلبة أحيانا للشكل دون المضمون ، أي أن تكون لغة النص جمالية و فنية إبداعية ، و لكن لا يجب أن نتناسى أن وظيفة الشكل الأساسية هي خدمة المضمون ، و لهذا تصعب مهمة المترجم عادة عند ترجمة

.....

1 –الخطابي أبو سليمان :بيان إعجاز القرآن ،دار المعارف ، مصر ، ب.ت ص 24

2 –الباقلاني أبو بكر :إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1971 ،ص 280

3 –خليل إبراهيم :الأسلوبية و نظرية النص ، ط 1 ، دار الفارس للنشر ، عمان ، الأردن ، ص 28

النصوص التعبيرية ، إذ لا يجدي نفعا تقليد المترجم للأشكال اللغوية المستعملة في النص الأصل ، بل يجب أن يستوحي منها الشكل الذي يؤثر على قارئ النص المترجم مثلما يؤثر عليه النص الأصل .(1)

وإذا كان أساس نقد الترجمة في نظر كاثارينا رايس هو تحديد الأنماط النصية للتمكن من الإدلاء بالآراء الموضوعية حول كل نص مترجم ، فإن البروفيسور بيتر نيومارك يرى ضرورة تحديد خطوات دقيقة يتبعها كل ناقد في تقييمه للترجمة ، باعتباره رابطا أساسيا بين نظرية الترجمة و تطبيقها ، و يحددها كالآتي :

1 – تحليل قصير لنص اللغة المصدر و طريقة ترجمته و جمهور قرائه المحتمل .

2 – تفسير المترجم لغرض نص اللغة المصدر .

3 – فهم انتقائي و لكنه تمثيلي و مفصل للترجمة و الأصل معا .

4 – تقييم الترجمة من وجهة نظر المترجم و الناقد .

5 – تثمين عمل الترجمة في ثقافة اللغة الهدف و نظامها .

إن اتباع هذه الخطوات أو بعضها يصبح مؤكدا لدى الناقد، حتى يتمكن من الاحاطة بجميع جوانب النص المترجم .(2)

ويكون بذلك النقد إجراء عمليا الغاية منه الإجابة على التساؤلات التي تسعى الترجمة ذاتها للإجابة عنها، هل الترجمة فاشلة أم ناجحة ؟؟

أو يكون السؤال التقييمي في الأخير : هل الترجمة متميزة و جيدة أم رديئة ؟

وهو سؤال جوهري يسعى كل مترجم وناقد للإجابة عليه، ولن يتمكن كل منهما من تحديده ، إذ تتحول عملية النقد إلى قراءة و تأويل النص المترجم ، و بالتالي إلى عملية لفهم النص المترجم قبل كل شيئ .

.....

1-Katharina Reiss : Op.cit p46

2-نيو مارك بيتر : المرجع السابق ص 258

إن نقد الترجمة الذي يحاول الإجابة على الأسئلة السالفة، يعد عملا إجرائيا فعالا ، ورابطا أساسيا بين نظرية الترجمة وتطبيقها، (1) لذلك سعى كبار الباحثين في مجال الترجميات إلى وضع أسس له ، قد تساعد المترجم والناقد في نقد وتقييم الترجمات المختلفة، و قد حدد بيتر نيومارك خمس خطوات لكي تتم عملية النقد وهي:

1 -تحليل النص المصدر:

وفيه يسعى الناقد إلى الكشف عن غرض النص ، بالإشارة إلى صنفه ونموذجه مع تحليل لموضوع النص المصدر، ويكون التثمين فيما بعد ، في المجال اللغوي بمعرفة أين أخفق المترجم وأين أصاب لغويا ، وإن كان التركيز ينصب دائما على الخطأ أكثر من الصواب.

2 -كيفية تفسير المترجم لغرض النص المصدر وطريقة ترجمته:

وذلك بتحديد مواطن عجز الترجمة في فهم موضوع اللغة المصدر ، بالإضافة والإسهاب الموجود فيها مقابل الاختصار ، أو تبيان الأخطاء الحقيقية مثل الخطأ في المعلومات و كذا الأخطاء اللغوية في ثنايا النص المترجم.

3 -فهم انتقائي ولكنه تمثيلي ومفصل للترجمة والأصل معا :

ويكون بتحليل النص ودراسة أجزاءه ، منها العنوان – البنية – اللغة – الموضوع ، مع البحث عن كيفية حل مشاكل الترجمة الخاصة بالنص المصدر.

4 -تقييم الترجمة من وجهة نظر المترجم والناقد:

ويكون ذلك بطريقتين وظيفية وتحليلية ، فالوظيفية تسعى إلى تقييم النص المترجم في من حيث التوفيق في الترجمة أو الفشل فيها، أما التحليلية فتتبع هفوات المترجم ببيان أخطائه اللغوية والعلمية الحقيقية، وفيما يرجع خطؤه أإلى عجز المترجم أم عجز

.....

1- نيومارك بيتر :المرجع السابق ص 255

اللغة على استيعاب أفكار ولغة النص المصدر ؟. (1).

5 – تثمين المكانة المحتملة للترجمة في ثقافة اللغة الهدف أو نظامها حيث أمكن ذلك : وذلك ببيان أهمية النص المترجم وهل كان حقا أهلا للترجمة، أم هو نص عادي ليست له أهمية في ثقافة اللغة المصدر وكذا اللغة الهدف.

و إذا كان نيومارك قد حدد خطة لنقد النصوص المترجمة ، فإن كاثارينا رايس تثمن العملية النقدية ، و تضع لها الشروط الموضوعية لإنجاحها ، فبالرغم من شيوع المقالات النقدية في الصحافة و بروز مؤلفات خاصة في نقد الترجمة ، إلا أن هذا لا يدل قطعا على تأسيس فعلي لنقد الترجمة ، و إنما تظل اهتمامات النقاد و آراءهم غير مؤسسة في معظم الأحيان منهجيا .

"يكتفي الناقد المحلل بتقديم انطباعات ذاتية دون تقديم أي تبريرأو حجة ، و غالبا ما تكون في شكل أحكام متواترة مكتفيا بجملةأو جملتين أو صيغ جوفاء مثل "ترجمة شفافة "أو "ترجمة ممتازة " أو " ترجمة في مستوى الأصل " ".(2)

و أهم مبدأ تنادي به رايس هو أن كل نقد لا يبنى على مقارنة النص الأصل بالنص الهدف هو نقد باطل ، و يكون أقرب منه إلى الانطباعات النقدية الأدبية التي تقيم و تنقد النص المترجم منفصلا عن الأصل ، بإظهار محاسنه و إجلاء سقطاته .

و يبنى نقد الترجمة عند رايس على ثلاثة أسس هي :

أولا : دراسة تحليلية لشخصية المترجم : (3)

من النادر أن يفرض النص على المترجم ، و إنما تقوده قدراته الفكرية و ميولاته النفسية إلى اختيار نصوص بعينها دون غيرها من النصوص ، و بالتالي تكون لشخصية المترجم الأهمية البالغة في تحديد النص المراد ترجمته ، بالميل إلى النص

.....

1-نيومارك :المرجع السابق ص260

2--Katharina Reiss : : Op.cit p 145

3-Idem p116

التعبيري دون الإخباري أو العكس .

ثانيا : – تحديد الأنماط النصية :

يرتكز النص المترجم على تحديد نمط النص الأصل ، مما يساعد كذلك الناقد في كيفية تقييم النصين ، بتتبع مدى توفيق المترجم أو إخفاقه في نقل المضمون أو الشكل أو كلاهما معا .

ثالثا : –تحديد وظيفة النص الأصل و هدف الترجمة :

إذا كانت وظيفة النص إعلامية فيكون النص إخباريا ، و إذا كانت إبداعية يكون تعبيريا ، أما إذا كانت خطابية فالنص تحريضي .

و قد تحيد الترجمة عن الوظيفة الأساسية للنص الأصل إذا اتخذت لنفسها هدفا يخالف طبيعة النص ، مثل ما يحدث مع ترجمة الكتب المقدسة كالأسفار و القرآن ، فقد ترجم كتاب العهد الجديد و معه في أحيان كثيرة العهد القديم لأغراض تبشيرية مما بدل طبيعة النص التعبيري و حوله إلى نص تحريضي ، الغرض منه التأثير على الشعوب البدائية لاعتناق المسيحية ، كما ترجم النص القرآني بطريقة تفسيرية فتحول من نص تعبيري إلى نص إخباري .

رابعا : – النظر في كيفية تفسير و تأويل المترجم للنص :إذا كانت شخصية المترجم تأثر لا محالة في تحديد نمط النص المترجم ، فإنها تؤثر كذلك في كيفية الولوج إلى دلالاته ، و تفرض تأويلا و تفسيرا معينا للنص ، و هذا ما يعلل تعدد الترجمات للنص الواحد .

تعد هذه الخطوات ضرورية في نظر الباحثة كاثارينا رايس لبلوغ نقد موضوعي للترجمة ، يرتكز على البحث العميق و الدراسة الجادة ، فالناقد لا يكتفي بذكر الانطباع الذي تركه فيه العمل المترجم ، بل يحلل و يبين دقائق ما وجده في العمل من إيجابيات و سلبيات ، و بهذا يمكن أن نتفادى النقد الذاتي .

1- قراءة النص الأجنبي :

يسعى المترجم دائما إلى النقد و التقييم باذلا جهده للتنقيح و الإثراء ، بيد أنه يظل دائما غير راض عن عمله الترجمي .و قد تكون النصوص المقدسة أكثر عرضة للنقد و الانتقاد من طرف المترجمين أنفسهم ، لذلك تكثر محاولات ترجمة تلك النصوص(1).

و إن كثرة الترجمات للنص الواحد دفعت الكثير من الباحثين في حقل الترجمة إلى البحث عن مناهج جديدة تمكن من الحفاظ على النصوص المترجمة ، و بهذا تكون كل من اقتراحات بيتر نيومارك و كاثارينا ايس و أنتوان برمان مجدية في مجال نقد النصوص المترجمة ، و ستكون الأساس المعتمد في هذه الدراسة لنقد ترجمة المفكر المترجم الفرنسي جاك بيرك ، ببيان مدى توفيق المترجم في تفسير النص القرآني و تأثير التفاسير القرآنية المختلفة في عملية التفسير التي تسبق العمل الترجمي .

إذا رجعنا إلى خطة انتوان برمان لنقد النصوص ، فسنجده يعطي أهمية كبيرة للنص المترجم ، على أساس أنه إبداع يستقل في كثير من الأحيان عن النص الأصل ، و هذا يخص النصوص الأدبية دون غيرها من الأنماط النصية الأخرى ، و بما أن النص القرآني لا يمكن تصنيفه ضمن النصوص الأدبية ، ، مما يفرض ربط أراء بيتر .نيومارك و كاثارينا رايس و اقتراحات برمان حتى تكتمل العملية النقدية.

و لعل الترجمات العديدة للقرآن الكريم تظهر بصفة جلية قلق المترجمين في تحويل و نقل النص القرآني إلى اللغات المختلفة ، و تجلي حيرتهم في فهم دلالاته و معانيه ، فتغدو إعادة ترجمته وسيلة للغوص أكثر في أعماقه ، و محاولة منهم لفهم حقائقه.

إن الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم تتابعت بصفة متلاحقة منذ ترجمة أندري ري (1647) مرورا بسافاري(1783) ثم كازمرسكي (1840) و إدوارا مونتي(1925) و ريجيس بلاشير(1946) و دونيز ماسون (1967) و أخيرا جاك بيرك(1990) و أندري .....

1 –شيخ الشباب عمر :المرجع السابق ص 9

شوراكي(1990)، كدليل على قوة النص المقدس و قبوله للترجمات المختلفة على أساس من قبس التشابه ، و عجزها في نفس الوقت أن تكون نسخة أصلية للنص المترجم .
إن تاريخ ترجمات النص القرآني باللغة الفرنسية تكشف لنا بجلاء جدل النص المترجم مع النص الأصل ، و محاولة محاكاته و نقله بصفة أمينة ، و لكن تغدو كل محاولة للترجمة بداية و حافزا لترجمة جديدة تطمح إلى نفس الغاية .
و إذا كان المترجم يضع نصب عينيه منذ اللحظات الأولى من خوضه غمار ترجمة النص المقدس أن ينتج نصا جديدا يقول الشيئ نفسه الذي يقوله النص الأصلي ، و يرمي إلى الغاية ذاتها التي يرمي إليها نفس النص من خلال مقاصده و دلالاته (1) ، فإن بلوغ الغاية هذه ليس بالأمر الهين ، نظرا لطبيعة هذا النص ذو الخصوصية اللغوية و الفكرية التي بلغت درجة من الكمال بحيث أدهشت حكماء و بلغاء شعوب اللغة التي نزل بها ، فما وجدوا سبيلا لإدراك حقيقته ،إلا باكتشاف حقيقة إعجازه ، و لعل هذا الإعجاز هو الذي جعل النص واحدا لا يتبدل و لا يتغير ، و كلما بادر مبادر إلى تفسيره أو ترجمته ، اصطدم مجهوده بحالة الثبات اللغوي و الدلالة المقدسة .
و هذا لا يعني أن النص القرآني جامد ثابت في الزمان و المكان ، و إنما يراد بالثبات صلابة و قوة النص في تجاوز التغيرات التي تطرأ على اللغة و التبدلات الحاصلة في الدلالة ، مما يفترض إضعاف شأن النص و اختلال قيمته ، فيقل الاهتمام به ، ويبقى أثرا باليا لا تطؤه إلا فئات خاصة من العلماء مثلما هو حال الكتب المقدسة الأخرى ، التي لم ينقذها من حالها إلا الترجمات المختلفة للغات العالم المتباينة ، مما ساعد على إبقاء تلك النصوص و شيوعها ، بينما ظل القرآن الكريم متداولا في لغته الأصلية رغم الضعف الذي انتاب اللغة العربية الفصحى و الأمية التي دبت في أوساط الشعوب العربية منذ ما يفوق القرن من الزمن .

.....

1 –بنعبد العالي عبد السلام : المرجع السابق ص 13

و بالرغم من ضعف تلك الشعوب و تشتت قواها و رجوع أمرها إلى غيرها ، فقد ظل النص القرآني طوال فترات زمنية مديدة يحمي نفسه بنفسه(1). هذا على الرغم من إقدام كثير من المترجمين على ترجمة هذا النص دون قيود أو قواعد مضبوطة تحكمهم ، مع أنها من أصعب أنواع الترجمة على الإطلاق ، فالخطأ فيها غير مقبول و لا مستساغ لإمكانية تحريف الكلام المقدس ، أو على الأقل الخطأ في تأويل دلالاته و تفسيرها ، كما نبه إلى ذلك الجاحظ ، حين رأى بأن ترجمة الكتب الدينية عويصة .(2)

و خاض المترجمون في مجال ترجمة النص الموحى في أزمنة لم يكن للعلماءالمسلمين فيها رأي, وإن كان فلا يعتد بآرائهم ، نظرا للظروف السياسية التي مرت بها الأمة الإسلامية، ورغم محاولات الكثير من المترجمين الغربيين القصدية و غير القصدية تحريف النص وتشويه دلالاته، فقد ظل أصلا ترتد إليه كل النسخ المترجمة، لتتحول بعد ذلك إلى نسخ ليست لها أي علاقة بالنص الأصلي ، وغير قابلة للتداول لاختلاف العصور وتبدل أحوال المترجم إليهم .

" فالتمييز يتم بين نوعين من النسخ, هناك النسخ التي تجيء مباشرة بعد الأصول والنماذج والتي تقوم عليها ، ضامنها في ذلك الشبه الموجود بينها وبين الأصول, ثم هناك "السيمولاكر" الذي يفترض اللاتشابه والخلل . و ينطوي في ذاته على نوع من التنكر والخداع. هناك النسخ التي تقوم على أساس وتلك التي تسقط في هاوية الاختلاف. "(3)

كما تسقط تلك النسخ السيمولاكر في غيابات النسيان، نظرا لتباعدها عن النص الأصل،

.....

1-ابن نبي مالك : الظاهرة القرآنية ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1986 ص 1

2-الجاحظ : الحيوان ج 1 ص 78

3-بنعبدالعالي عبد السلام : المرجع السابق ص 14

بل إن مصير كل النسخ المترجمة مهما كانت درجتها من الوفاء الزوال أو الاحتجاب وراء الأصل ، نظرا لتطور اللغة الهدف ذاتها وتحولها سنكرونيا من حالة إلى حالة مخالفة لها نوعا ما ، فاللغة التي كتب بها أندري ريي ليست نفس لغة أنتوان غالان ولاسافاري و كازمريكي (ما قبل القرن العشرين) ولغة إدوار مونتي تختلف أسلوبيا عن اللغة دونيز ماسون أو جاك بيرك. ، فغاية الأسلوب في الترجمة التعبير عن روح النص ،(1)و هذا محور التنافس بين المترجمين ، مما يفسر وجود العديد من الترجمات للنص الواحد ، و على العموم يظل النص الأصل هو الحامل الحقيقي للدلالات الأصلية ، و بالتالي لا توجد ترجمة حقيقية كالأصل .(2)

وإن تبدل اللغات وتطورها يؤثر لامحالة في أساليب الكتاب, مما دفع بالمترجمين إلى الإدلاء بمساهماتهم في تحويل النص القرآني إلى لغاتهم, وقد تكون أول إشارة إلى نية المترجم في الخوض في غمار الترجمة الاهتمام الشديد بالترجمات السابقة له، فإذا صادف أن عثر المترجم على ترجمة وفية ، فقد يثنيه ذلك على الإقدام على الترجمة ، ولكن إذا أحس أن كل النسخ المترجمة للنص ليست إلا نسخا مخالفة للأصل, أو ترجمات غير وفية له، فإنه يقبل على الترجمة إسهاما في تدارك النقائص .

إن أي ترجمة قرآنية لا بد أن تقيم في إطارها الزماني، حتى نتمكن من الإحاطة بالظروف التي تمت فيها عملية الترجمة ، فإذا أخدنا ترجمة روبير دى رتين وهرمان نجدها تحوي كثيرا من النقائص ،وقد تنبه المترجم الإنجليزي جورج سيل إلى النقائص الواردة في تلك الترجمة (رودير دي رتين) ، فمع ريادتها في ترجمة النص القرآني، إلا أنها تحتوي على أخطاء في كل صفحة ، فضلا عن إسقاطات و إضافات،

.....

1-زيتوني لطيف : المسائل النظرية في الترجمة ص 23

2-Katharina Reiss : Op.cit p115

أفقدت النص المترجم قيمته العلمية ، و أضعفت منهجية الترجمة .(1)

كما أثرت هذه الترجمة الرائدة باللغة اللاتنية في العديد من الترجمات الأوروبية إلى الدرجة النسج على منوالها ، مع أن الهدف من الترجمة نفسه كان محاولة، دحض الأفكار الواردة في القرآن الكريم . (2).

كما يلاحظ ريجيس بلاشير نفس الملاحظة على الترجمة الرتينية ، بأنها ليست أمينة وبالتالي تحتوي على أخطاء كثيرة .

"لا تبدو الترجمة الطليطلية بوجه من الوجوه ترجمة أمينة وكاملة للنص " .(3)

مما يوحي بأن نظرة الغرب إلى النص القرآني تطورت ، وبخاصة مع ظهور حركة الاستشراق التي درست تراث المشرق العربي الإسلامي ولغته، بما في ذالك النص العربي المقدس المهيمن عليه، فكان لزاما على المترجمين أن يغيروا أساليبهم في التعامل مع هذا النص المقدس.

و قد ازدادت معرفة العالم الغربي بالاسلام في القرن التاسع عشر ، مما أدى إلى قيام مراكز متخصصة لدراسة حضارة الشرق و علومه ، فتغيرت النظرة الغربية للإسلام .

و مع حلول القرن العشرين ازدادت حركة الترجمة نشاطا ، و تم نقل العديد من المؤلفات العربية إلى اللغات الأوروبية .(4)

و لهذا ثمن بعض المستشرقين مبادرات المترجمين المعتمدين على الأصول العربية في ترجماتهم ،و منهم هنري لامنس الذي أثنى على نسخة لودوفيكو مراكي المعتمدة

.....

1- خليفة محمد :الإستشراق و القرآن العظيم ، دار الاعتصام ،القاهرة ط1 ، 1994 ، ص120

2-Blachére Régis : Le Coran ,Presses Universitaires de France,5 Edition 1966 , p 11

3-الصغير محمد حسين علي : المستشرقون و الدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشرو التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1986ص 48

4- عفاف شكري علي : حول ترجمة معاني القرآن ، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ، العدد 42 سبتمبر 2000-ص 22 .

مباشرة على النص الأصلي العربي ، عكس الذين سبقوه حيث كانوا يرتكزون على الترجمات المشهورة في زمنهم ، لجهلهم الفظيع باللغة القرآنية.

"هي (ترجمة مراكي) أكثر الترجمات إنصافا للقرآن الكريم ... إننا لا نملك ترجمة وحيدة للقرآن لاعيب فيها ، وأكثرها إنصافا هي الترجمة اللاتينية القديمة مراكي (1691–1698) التي تستند عليها جميع الترجمات اللاحقة ، من غير اعتراف في أكثر الأحيان " (1)..

و رغم ريادتها في الاعتماد على الأصل العربي في الترجمة ، إلا أن أهداف المترجم لم تكن موضوعية و علمية ، بل ذاتية و عدائية للإسلام و المسلمين ، و كتابهم المقدس فقد كان هدف ترجمة مراكي الحقيقي محاولة دحض الفكر الإسلامي وتفنيد ما جاء به القرآن الكريم .(2)

كما كان إدوار مونتي صاحب ترجمة القرآن (1925) من أكثر المترجمين تتبعا للترجمات القرآنية، و استوقفته ترجمتان اشتهرتا قبله ، و هما ترجمة سافاري (1751) و كازمرسكي (1840) ، و هما أكثر الترجمات الفرنسية انتشارا نظرا لكثرة الطبعات التي صدرت لهما ، ويرى إدوارد مونتي إن ترجمة سافاري نسبية من حيث الدقة في أداء المعاني القرآنية.

"" إنه رغم أن ترجمة سافاري طبعت عدة مرات ، و أنيقة جدا لكن دقتها نسبية ".(3)

أما ترجمة كازمرسكي فهي من أحسن الترجمات في نظر إدوار مونتي إلى غاية زمنه, و هو بداية القرن العشرين.

"و لا يسعنا إلا الثناء عليها فهي منتشرة كثيرا في الدول الناطقة بالفرنسية "(4)

و كانت مساهمة إدوار مونتي بترجمة النص القرآني لتدارك النقائص التي أحس

.....

1– مكاوي : الوعي الإسلامي www.mekkaoui.net-ص2

2- Blachère Régis :Op.cit p 11

3–مكاوي : نفسه ص 4

4–نفسه ص 5

بوجودها في الترجمات السابقة، كما أن الترجمة تتطور و تتضح معالمها كلما تطورت العلوم المساعدة على فهم النص، ففي بداية القرن العشرين كان المستشرقون قد بلغوا درجة عالية من فهم علوم القرآن، وكانت أعمالهم بارزة من خلال ترجمة كتب التراث وتحقيقها ، و طبعها في أحيان كثيرة ، ففي القرن التاسع عشر وبعد ازدياد معرفة العالم الغربي بالإسلام و بحقيقته ، و قيام مراكز متخصصة لدراسة العلوم الإسلامية و اللغة العربية تغيرت نظرة الغرب إلى الإسلام .

و بدت ترجمة إدوار مونتي على أنها ترجمة دقيقة ، في الفترة التي ظهرت فيها ، بالمقارنة مع الترجمات السابقة لها، مما دفع ببعض المفكرين العرب آنذاك إلى الثناء عليها وعلى الجهد الذي قام به المترجم من العناية بشرح الألفاظ القرآنية والبحث الدقيق في المواضيع التي احتواها القرآن الكريم ، فهذا الكاتب محمد فؤاد عبد الباقي يكشف لنا عن تفاصيل إطلاعه على النسخة المترجمة للنص القرآني من طرف المفكر إدوار مونتي .

" كنت طالعت في مجلة المنار مقالا للأمير شكيب أرسلان عن ترجمة فرنسوية حديثة للقرآن الكريم وضعها الأستاذ إدوار مونتي وقد قال عنها : "إنها أدق الترجمات التي ظهرت حتى الآن ", وقد نقل إلى العربية مقدمة هذه الترجمة وهي في تاريخ القرآن وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونشرت في المنار ، فاقتنيت هذه الترجمة فوجدتها قد أوفت على الغاية في الدقة والعناية ، وقد ذيلها المترجم بفهرس بمواد القرآن المفصل أتم التفصيل "(1).

وتتتابع الترجمات في الظهور مع بداية القرن العشرين بمجهود فردي في معظم الأحيان ، وكذلك بمجهودات ثنائية مثلما نجد مع أحمد لعميش وبن داود (1931) ثم أكتاف بسل وأحمد تيجاني (1947) ، بيد أن أهم ترجمة صدرت في الأربعينيات كانت للمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير حيث تميزت أول ترجمة له بإعادة ترتيب النص

.....

1- الصغير محمد علي الحسين : المرجع السابق ص50

القرآني حسب نزول الآيات كرونولوجيا، ثم أعاد الترجمة بالترتيب الحالي حسب المصحف العثماني (1953) .

ويرى الدكتور صبحي الصالح بأن ترجمة بلاشير قيمة من حيث المجهود المبذل لترجمة النص القرآني، غير أن إعادة ترتيب النص القرآني حسب النزول، تجعل منه نصا تاريخيا مقيدا بالفترة التي نزل بها و خاصا بالأحداث التي مرت برسول الله صلى الله عليه و سلم في زمنه.

" تظل ترجمة بلاشير في نظرنا أدق الترجمات للروح العلمية التي تسودها، لا يغض من قيمتها إلا الترتيب الزمني للسور القرآنية "(1).

في حين نجد المستشرق و المفكر جاك بيرك وهو صاحب ترجمة للقرآن الكريم أيضا (1990) ، قد تتبع عملية الترجمة عند بلاشير بعين غير راضية عنها تمام الرضا، لنقص في أداء المعاني المترجمة، و مع ذلك فهي مجهود ضخم قام به المترجم .

"إن ترجمته(بلاشير) للقرآن على الرغم من مزاياها فإن لها نواقصها، و لكنها تبقى من أفضل الترجمات الفرنسية للقرآن".(2)

لم يكن صدور آراء بعض المفكرين و المترجمين حول الترجمات القرآنية ، عن وعي كامل لعملية النقد التي يجب أن تتعرض لها كل ترجمة تصدر للقرآن الكريم، وإنما هي أراء وملاحظات قد تتفاوت في الدقة و الموضوعية، بالإضافة إلى أنها متأخرة زمنيا عن تاريخ صدور كل ترجمة، مما يجعل تلك الآراء تفقد قيمتها النقدية والتقييمية،ولكن ثمة ترجمتان كان لها الأثر الكبير عند النقاد والدراسيين و كثر حولهما النقاش و الجدل وهما ترجمة أندري شورا كي (1990) و ترجمة جاك بيرك (1990) .

أما أندري شورا كي المترجم و عالم اللاهوت فقد كانت منهجيته في الترجمة هي بؤرة

.....

1 –النعيمي صادق محمد : ملاحظات نقدية على ترجمة شوراكي للقرآن الكريم ، مجلةالشريعة والدراسات الإسلامية العدد 34 ، أبريل 1998 ،ص 173

2 –مكاوي : نفس الموقع ص 6

الخلاف بين علماء اللاهوت في الغرب، حيث أثارت ترجمته لكل من التوراة و الإنجيل جدلا كبيرا بين العلماء و في الأوساط الثقافية أيضا.(1)

أباح شوراكي لنفسه أن يطبق في ترجمة النص القرآني نفس منهج ترجمة التوراة و الإنجيل، بتتبعه أصل مادة الكلمة في اللغة اليونانية القديمة ثم الانتقال بعد ذلك إلى المدلول الاشتقاقي اللغوي في اللغة الفرنسية.

أما في النص القرآني فقد اهتم بأصل الكلمة اللغوي في اللغة العربية ، متناسيا بذلك معناها السياقي و الشرعي، وفي بعض الأحيان يربط أصول بعض الكلمات باللغات المختلفة مثل العبرية ليصل إلى معناها الذي يتوهمه .

و قد أكد جان كلود مارغو في خضم حديثه عن الحقول الدلالية أن دلالة الكلمات تختلف من لغة إلى أخرى، و بالتالي فنسبة التكافؤ الدلالي بينهما يكون ضعيفا، و الخطر في نظر مارغو يكمن في تحديد دلالة الكلمة غير المعروفة عن طريق جذر كلمة مماثلة في اللغة الأخرى .(2)

إن هذه العملية لها أثارها السلبية على النص المترجم ، حيث لا يجب أن ننسى أن الكلمات ذات القرابة اللغوية تعرف تطورات دلالية مختلفة حسب توظيفها ، و إذا أرجعنا الكلمات إلى جذورها المشتركة، فإننا لا نأمن من الوقوع في خطأ التأويل.(3)

ويرى الدكتور صادق محمد النعيمي إن منهج شورا كي في ترجمة النص القرآني هو سبب فشلها ،حيث أثر على النص المترجم ، فأصبح ركيك الأسلوب، ضحل العبارة و مفكك الأركان ، كما أن الترجمة بكاملها خروج عن مجال الترجمة و تحريف للنص القرآني .

.....

1-النعيمي محمد الصادق : المرجع السابق ص 173

2- Margot Jean Claude : Op.cit p 65

3-Idem p 66.

"و إذا حللنا هذه الترجمة نجد أنها تمثل ردة حضارية في مجال الأفكار"(1)

أما ترجمة جاك بيرك العالم بالإسلاميات و المترجم و عالم الاجتماع الفرنسي المعروف، فقد أثارت اهتمام العلماء و الباحثين ، بيد أن المترجم لا ينظر بعين الرضا إلى ترجمته، بل يحس بالنقص، و هو نقد ذاتي يقوم به المترجم، إذ يؤكد على أن عمله الترجمي لن يصل إلى مرحلة الكمال، و إنما هو موجه إلى المسلمين الذين لا يحسنون اللغة العربية و يحسنون اللغة الفرنسية فقط .

و بهذا فالمترجم يؤكد على أن النص القرآني لا يمكن ترجمته ترجمة دقيقة، وكل ما يقوم به المترجمون نقل معانيه إلى متلق لا يحسن اللغة العربية، ولكنه في نفس الوقت متلق على علم تام أو جزئي بمفاهيم الدين الإسلامي ، وإلا ستعكس النتائج ويفهم القرآن فهما خاطئا محرفا ، فلن يتمكن حينئذ غير المسلم من فهم المعاني والدلالات القرآنية ، و ترجمة نص مقدس إلى غير لغته الأصلية ، أو اللغة التي نزل بها لن يكون في نظر المترجم إلا عملا تقريبيا أو محاولة فقط لترجمته .(2)

وهناك متلق آخر ممن يحسن اللغتين الأصل والهدف أي اللغة العربية والفرنسية ،فهذا الصنف من القراء تكون لهم القدرة والكفاءة للولوج إلى دلالات النص المترجم، عن طريق المقارنة بينه وبين النص الأصل، إلا أن جاك بيرك يؤكد أن ترجمته موجهة إلى الذين لا يحسنون اللغة العربية من المسلمين أنفسهم.

فلا عجب أن يطري القاريء والمتلقي الفرنسي غير المسلم على ترجمة جاك بيرك ويثني عليها الثناء الحسن ، ويعلي من شأنها ، على أساس نقد أدبي مثلما وجدنا عند دانيال برموند.

" ترجمة متألقة وناجحة جدا, فيها قوة الابتكار، بل أبعد من ذلك هناك تغنج في ثناياها، وربما يكون

.....

1-النعيمي محمد الصادق : المرجع السابق ص 173

2- العريس ابراهيم : حوار مع جاك بيرك ، مجلة الحدث ، ع 11 ،مارس 2001 ص 54

السبب محاولة تخطي صعوبات النص "(1).

ويدرك دانيال بريموند تميز الترجمة بقوة المعاني الشاعرية إلا أنها تفرض ثقلها على القاريء (2) ، أماماللك شبال عالم الاجتماع والمفكر الجزائري، الذي نصنفه ضمن القارئ المسلم والمتقن للغتين، فيتعمق في التحليل ودراسة هذه الترجمة مركزا اهتمامه على الكيفية التي تمكن فيها المترجم من تخطي مشاكل دلالة النص القرآني، وإلى أي درجة وفق في ذلك .

" جاك بيرك قد اختار منحى شعرية لغة الترجمة، وكانت اللغة الفرنسية هي الأنسب ليتمكن من ترجمة كلمات مثل المنافقين ترجمة جذابة، في حين اختار كثير من المترجمين كلمة مرائين التي لا تؤدي المعنى الحقيقي للكلمة، وقد كان جل اهتمام جاك برك منصبا حول محاكاة جمال التراكيب العربية وأسلوبها النثري الساحر وذلك باستبدالها بجمل موقعة وأنيقة ."

وكانت نتيجة الترجمة في نظر مالك شبال: "ترجمة موفقة ".(3)

إن مالك شبال في هذه الحالة توصل إلى نتيجة إيجابية وهي أن ترجمة جاك برك للقرآن الكريم ترجمة موفقة إلى درجة كبيرة، مثله في ذلك مثل برنار برموند ،.غير أن الحكم في هذه الحالة ناتج عن تقييم النص المترجم لذاته ، و هذا دأب الكثير ممن يحاولون نقد الترجمات المختلفة ، حيث يقيمون النص المترجم على أساس محتواه أو أسلوبه أو الجوانب الجمالية الفنية فيه ، فيكون التقييم هنا ليس للترجمة و إنما للنص الهدف ، و هو أقرب إلى النقد الأدبي منه إلى نقد الترجمة .فتكون الأحكام تعسفية مجحفة بالنص الأصل .

و هذا ما دفع بالباحثة كاتارينا رايس إلى التأكيد على ضرورة الرجوع إلى الأصل في عملية نقد الترجمات المختلفة .

.....

1-, Quel Islam ,Biblio monde .com. p1

2- Idem, p2

3- Idem, p 2

" لا نقد للترجمة بدون مقارنة بين النص الأصل و النص المترجم ". (1)
و قد تكون الملاحظات النقدية التي قدمت حول ترجمة المستشرق و المترجم جاك بيرك مبنية على مقارنة الترجمة مع الترجمات السابقة لها ، و لكن رغم ذلك يبقى نقدها ذاتيا ناقصا لعدم اعتماده على النص المصدر ، فإذا كان الناقد جاهلا باللغة العربية انعدم فهمه للنص القرآني ، و بالتالي لن يتمكن من نقد الترجمة نقدا صحيحا .
إن عملية نقد الترجمة سواء من المترجم ذاته أو غيره من المترجمين و النقاد ، لها أهمية كبيرة في تقييم عملية الترجمة ، و بالتالي السعي إلى توجيه الترجمات لبلوغ ترجمة دقيقة .

و كلما كان الاعتماد على الأصل في نقد الترجمات واردا ، تكون النتيجة الحصول على نقد موضوعي ، و يراد بالموضوعية هنا ، أن يكون النقد قابلا للإستدلال ، بتقديم الملاحظات المعضدة بالدليل العقلي سواء من الجانب اللغوي أو الأسلوبي أو الدلالي .
و قد يلجأ الناقد في كثير من الأحيان إلى اقتراح الحلول التي يراها مناسبة عوض جرد الملاحظات النقدية المبينة لسلبيات الترجمة .(2)

.....

1-Katharina Reiss : Opcit p 15
2-Idem p 17.

2-أهداف المترجم و شخصيته :

تعد تجربة المترجم الفرنسي جاك بيرك لنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية محاولة منه لتقريب بعض المفاهيم القرآنية إلى ذهن القارىء غير العربي و غير المسلم ، أو كل قارئ فرنسي يجهل الخطاب القرآني ، عن طريق المتن أولا ثم بشرح بعض الألفاظ الصعبة النقل من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية ،و في بعض الأحيان بإيراد مجموعة خيارات دلالية ، مع تبيين سبب اختيار مكافئ لفظي دلالي دون غيره.مع الإشارة في كثير من الأحيان إلى المصادر المساعدة على فهم دلالات النص القرآني و منها التفاسير القرآنية أو المعاجم العربية مثل لسان العرب لابن منظور .

و للتمكن من الإحاطة بدراسة ترجمة للقرآن الكريم مثل ترجمة جاك بيرك الذائعة الصيت ، يتوجب على الباحث الاستعانة بأسس النقد الترجمي، و لذلك تغدو دراسة شخصية المترجم خطوة هامة تحدد نظرته لطبيعة النص و تصنيفه له ، مما يساعد على تحديد نوع الترجمة و كذا هدفها ، أما في المجال التطبيقي ، فإن العناصر السابقة توضح لنا الكيفية المنتهجة لتفسير و تأويل دلالات النص المقدس .

إذا كان نمط النص المصدر يؤثر في تحديد نوع الترجمة ، فإن شخصية المترجم لها الدور الفعال في الفعل الترجمي ،(1) و تحديد علاقة المترجم بالنص و هدف الترجمة فالترجمات الأولى للنص القرآني من طرف الأوروبيين تأثرت بشخصية المترجمين إذ كانوا لا يرمون إلى هدف فكري او علمي ، و إنما كانت غايتهم تفنيد ما ورد في النص القرآني من أفكار تمس جوهر العقيدة المسيحية و حقائق تاريخ بني إسرائيل ، و ظل هذا هدف المترجمين منذ القرن الثاني عشر الميلادي إلى غاية القرن العشرين منه ،و لعل من أشهر الترجمات التي أظهر أصحابها عدائية صريحة للنص المقدس ،

.....

1 -نيومارك بيتر : المرجع السابق ص 260

نجد مترجمي نسخة بيار المجل (1143) و ماراكي الإيطالي و جورج سيل الأنجليزي. و لم يكد يطل القرن العشرون حتى بدت ملامح تطور الفكر الاستشراقي في أوروبا، إذ بدأ المترجمون يهتمون بالنص القرآني و بعلومه ، و تحول التصريح المباشر إلى تلميح ، و توالت الترجمات مؤكدة على عجز الترجمة عن أداء المعاني القرآنية المعجزة .

و هكذا كانت الأفكار المسبقة و النيات المبيتة هي الدافع الحقيقي في أغلب الأحيان إلى ترجمة النص القرآني إلى اللغة الفرنسية و غيرها من اللغات الأوروبية ، و كان على المترجم مقاومة الأفكار السلبية للوصول إلى ترجمة صحيحة للقرآن الكريم ،أما الذين لم يتجاوزوا هواجسهم فقد بقيت ترجماتهم ركيكة غير متداولة و لا مقبولة ،و بهذا نؤكد على أن شخصية المترجم لها وثيق صلة بنجاح أو إخفاق الترجمة .

من بين مترجمي النص القرآني المعروفين في نهاية القرن العشرين، نجد جاك بيرك المفكر وعالم الاجتماع و اللسانيات و التاريخ ، و هو كذلك من أشهر علماءالإسلاميات الفرنسيين الذين درسوا بعمق الحضارة الإسلامية من منظور غربي ، حيث جمع بين الحياد و الموضوعية أحيانا ، لذا كانت جل دراساته ميدانية ، تحاول فهم واقع المسلمين في المشرق العربي و مغربه.

إن اختيار جاك بيرك و ترجمته هو تأكيد على مدى تأثير الشخصية في مسار ترجمة النص المقدس من جهة ، و بيان أن نوايا المترجم لا يمكن بأي حال أن تنتج ترجمة متكاملة ، إذا لم يكن نوع الترجمة يستوعب بعمق أهداف النص المترجم .

لقد ولد جال بيرك سنة 1910 بفرندة (الجزائر), حيث تلقى بها بعض المفاهيم عن الدين الإسلامي و اللغة العربية, وكان تأثير والده أوجيستان بيرك قويا على مسار حياته العلمية و الدراسية, و كذلك انتقاله إلى المغرب الأقصى ما بين 1934 إلى 1953 ،حيث تمكن من تعميق معارفه حول الإسلام و المسلمين بعد التحاقه بجامعة

القرويين بفاس ، كما كانت زياراته المتكررة لمصر ذات فائدة له في مجال دراسة الإسلام وواقع المسلمين في العصر الحديث, فأخذت أبحاثه تجلي ميدانا خصبا من علوم الإنسان وهو التاريخ الاجتماعي للإسلام ، إلى درجة أنه كلف بتدريس مادة علم الاجتماع التاريخي للإسلام المعاصر في كوليج دو فرنس . (1956-1981)
و عين عضوا ببعض المجامع اللغوية العربية كمجمع القاهرة و دمشق و الرباط ، و في أخر حياته انعزل في قريته سان جوليان أن بورن, و لكنه أثرى المكتبة الفرنسية بترجمة جديدة للقرآن الكريم 1991 و مجموعة دراسات و بحوث ،و بقي بقريته حتى وافته المنية سنة 1995 .
كانت جل مؤلفاته دراسات حول الإسلام وتاريخه وواقع المسلمين في القديم و الحديث, وقد قارب عددها الثلاثين مؤلفا نذكر منها :

1)-البنى الاجتماعية في الأطلس الأعلى (أطروحة دكتوراه بباريس -- Structures sociales du Haut-atlas (1955PUF

2)-المغرب بين الحربين (1962)Maghreb entre deux guerres

3)- عدم حيازة العالم (LeSeuil 1964)Dépossession du monde

4)- مصر: الإمبريالية و الثورة (1967) .L'Egypte :impérialisme et révolution Gallimard

5)- الشرق الجديد (Gallimard 1970) Orient second

6)-اللغات العربية حاضرا (1974 Gallimard) Langages arabes du présent

7)-العرب -أندلسيات - (1980—1973) ,Les arabes (Stock ,1973-1981 Actes du sud ,suivi de Andalousies .

8)-المغرب من الداخل ق10-ق 19 -(1978)L'intérieur du maghrebX-XIX

9)-الإسلام في زمن العالم - (1975-1982)((Sindbad) L'islam au temps du monde

10)-الإسلام و التحديات (Gallimard1980)L'islam au dèfi

11)-علماء مؤسسون و متمردون في المغرب (1982) Ulemas Fondateurs ,Insurgés du XVII

12)- ذكريات من الضفتين – 1989 Mémoires des deux rives

13)- قراءة في القرآن – Relire le Coran(Sindbad1993

14)- أي إسلام ؟- Quel Islam2003

و من مساهماته الترجمية نذكر :

1)- ترجمة القرآن الكريم – Le Coran-1990 (Sindbad

2) -أدونيس 1996 – Adonis , Traduction , Actes Sud

3)-موسيقى في النهر Musiques sur le fleuve,Albin Michel– 1996

و هوترجمة لبعض نصوص كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

)-أدونيس شموس ثانية – Soleils second-Adonis 2003 Mercure de France ,Paris .

و بهذا يعد جاك بيرك من أهم المستشرقين أوبالأحرى علماء الإسلاميات Islamologue الفرنسيين في النصف الثاني من القرن العشرين ، و قد برز عطاؤه بمؤلفاته المتعددة التي خصصها للإسلام و تاريخه و ظواهره الاجتماعية المعاصرة و القديمة ، و من أهمها ترجمته لنص القرآن الكريم ، التي استغرقت أكثر من ستة عشر سنة من التحليل و البحث ، و ثماني سنوات من العمل الترجمي المتواصل ، و هذا شيء طبيعي نظرا لأهمية النص المترجم .

3 -مقارنة النص المترجم بالأصل :

يكاد الباحثون في مجال الترجمة يتفقون على أنه لا نقد بدون مقابلة النص المترجم بالنص الأصل ، إذ الاكتفاء بالنص المترجم لتقديم ملاحظات نقدية لا يمكن أن يكون موضوعيا و لا علميا ، بل يكون أقرب إلى النقد الأدبي منه إلى النقد الترجمي ، و مع أن أنتوان برمان كان رائدا في الدعوة إلى نقد الترجمة يرتبط أكثر بالأدب و نقده ، إلا أنه لم يهمل النصوص الأصلية ، و دعا إلى مقابلة النص المترجم بالأصل ، حتى يتمكن الناقد من إثبات وجود بعض الخصائص الفنية الموجودة في الترجمة هي نفسها الموجودة في الأصل أو العكس .

وإن ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم اعتمدت على منهجية خاصة تعتبر النص القرآني إخباريا ، و لهذا نتجت الترجمة التفسيرية السائدة في ترجمات النص القرآني و المسموح بها من طرف الهيئات الإسلامية العالمية ، و لكن هل يمكن اعتبار النص القرآني نصا خبريا فقط أم يمكن تصنيفه تصنيفا جديدا ؟

لتوضيح هذه المسألة نستعين برأي بيتر نيومارك حين يدعو الناقد إلى تحديد وظيفة النص و هدف الترجمة .

4-وظيفة النص و هدف الترجمة :

يمكن تصنيف النصوص المقدسة الثلاثة ضمن النصوص التعبيرية(1) ، و لعل النص القرآني أكثرها ارتباطا بهذا النمط من النصوص ، و بخاصة أنه وصف بالمعجز ، فقد عده علماء البلاغة و البيان و اللغة عموما ، نصا يبلغ أعلى درجات البيان من حيث الشكل (2)، و بلغ مداه أيضا من حيث التميز بالمضامين ، مما يجعله ينفرد بجمعه بين .....

1 -نيومارك بيتر : المرجع السابق ص 60

2-أبو زهرة محمد : المرجع السابق ص 64

سحر الألفاظ و بلاغة المعاني .

و إن تصنيف النص المصدر على أساس تعبيري ، يفرض على المترجم التعامل معه بالجمع بين ترجمة المعاني و محاكاة الأسلوب ، و هذا ما لم نتبينه في الترجمات الفرنسية للنص القرآني ، و إنما كان التركيز على نوع خاص من الترجمة المجازة و هي الترجمة التفسيرية ، المرتبطة أساسا بالنصوص الإخبارية أكثر من النصوص التعبيرية ، و إن كان النص القرآني لا يخلو في بعض أجزائه النصية (سور قرآنية) بالطابع الإخباري ، و هي تحديدا السور المدنية المتعلقة بالتشريع ، إلا أن أجزاء النص القرآني ترتبط في تناسق تام ، مشكلة بنية نصية كبرى تجمع بين الإخباري و التعبيري .

و من هنا يتضح أن تقييم و نقد الترجمات الفرنسية المختلفة ، منفصل عن النص الأصلي ووظيفته الأصلية ، و إنما يتعلق بغاية واحدة من غايات النص و هي الإخبار، و هذا ما غير من مسار الترجمة الجوهري .

و كانت الترجمة التفسيرية التي تبناها مترجمو النص القرآني ، على أنها أحسن أنواع الترجمة ، و أكثرها ارتباطا بالكتب المقدسة ، تتماشى و آراء علماء الإسلام مع بداية القرن العشرين ، و ذلك تفاديا لتحريف محتمل للنص القرآني المقدس ، و ابتعادا عن ترجمة دقيقة قد تؤدي إلى انصراف المسلمين من غير العرب عن النص ، و استبداله بالترجمة مثلما حدث للنصين التوراتي و الإنجيلي ،بيد أن اقتراح الترجمة التفسيرية ، و إن طبق على الترجمة فعليا ، لم يلق إجماعا من طرف جميع الفقهاء و العلماء في العالم الإسلامي ، لكنها تبقى الإطار الوحيد الذي أجازه بعض العلماء للخوض في مجال ترجمة النص القرآني ، في مقابل ترجمة حرفية يجمع كل العلماء على أنها مستحيلة التحقيق و غير ممكنة التطبيق ، استنادا إلى رأي القدامى ، إذ أن كل كلام بليغ لايمكن ترجمته ببلاغته من لغة إلى أخرى ، فلا يمكن إذن ترجمة المعاني

الأصلية ولا البيانية للنص القرآني (1) ، و يذهب الشيخ عثمان عبد القادر الصافي باستحالة الترجمة الحرفية فهي ضرب من المحال (2) .

وقد عد العلماء الترجمة التفسيرية أو المعنوية أفضل طريقة لنقل المعاني السامية للنص القرآني إلى لغات العالم المختلفة, وذلك حفاظا عليه من التزوير و التحريف .

غير أنها تتعامل مع النص بنوع من المرونة ، بحيث تمنح حرية كبيرة للمترجم في نقل دلالات النص إلى اللغة المترجمة ، يفقد الترجمة دقتها ووفائها للنص المصدر .

"أمـــا المترجم ترجمة تفسيرية فإنه يعمد إلى المعنى الذي يدل عليه تركيب الأصل فيفهمه, ثم يصبه في قالب يؤديه من اللغة الأخرى موافقا لمراد صاحب الأصل, من غير أن يكلف نفسه عناء الوقوف عند كل مفرد ولا استبدال غيره به في موضعه" (3)

و لا يشترط الحفاظ على النظم القرآني في الترجمة التفسيرية حسب محمد حسين الذهبي, فهي عبارة عن شرح الكلام و بيان معناه بلغة أخرى بدون المحافظة على نظم الأصل و ترتيبه, و بدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه, وذلك بأن نفهم المعنى الذي يراد من الأصل ثم تأتي له بتراكيب من اللغة المترجم إليها تؤديه وفق الغرض الذي سيق له .(4)

و يؤكد الدكتور عبد الله عباس الندوي على حرية المترجم في الترجمة التفسيرية ،إذ المحافظة على جميع معاني النص القرآني غير مشترطة فيها.

"هي شرح الكلام و بيان معناه بلغه أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل و ترتيبه و بدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه ". (5)

.....

1 – أبوزهرة محمد : المرجع السابق ص 587

2 – الصافي عثمان عبد القادر : المرجع السابق ص 33

3– الزرقاني محمد عبد العظيم : المرجع السابق ص 112

4 –الذهبي محمد حسين : المرجع السابق ج 1 ص 27

5 – الندوي عبد الله عباس :ترجمة معاني القرآنو تقييم الترجمات –كتاب الأصالة ، ملتقى القرآن الكريم ،دار البعث للطباعة و النشر ، الجزء الثاني ص 161

يتجلى لنا من خلال هذه الآراء المحددة لماهية الترجمة التفسيرية ، بأن العلماء المعاصرين يفضلون الترجمة التفسيرية على الحرفية أو أي نوع آخر من ترجمات النص القرآني المقدس ، مما يجعل المترجم يتعامل بحرية مع النص ، لتحديد دلالاته حسب ما يدركه من قرائن لغوية أو عقلية ،و قد يعتمد على تفاسير مختلفة تساعد على ضبط المعاني القرآنية ، و لكن لا يمكن أن ننسب الترجمة التفسيرية إلى مفسر النص القرآني المستند عليه من طرف المترجم و إنما إلى صاحب الترجمة ، الذي يفهم النص ثم يفسره و يؤوله ، و في المرحلة الأخيرة يضع صورة نهائية لبناء النص المترجم .

و فهم النص المصدر و تفسيره مرحلة أساسية في الترجمة ،يمر بها المترجم قبل عملية بناء الترجمة ، و في الأخير يراجع و يراقب مجموع العمل بالمقارنة بين الأصل و الترجمة ، و مدى توفيق الترجمة في نقل معاني الأصل .

و يمكن تحديد أربع مراحل كي تستقيم عملية الترجمة ، نجملها كالآتي :

أ-مرحلة استخراج المعلومات من النص المصدر أي الفهم .

ب- مرحلة تحليل المعلومات و بناء المعنى أي التفسير و التأويل .

ج- مرحلة بناء الترجمة ووضع صورة نهائية للنص .

د – مرحلة مراقبة مجموع العمل بالمقارنة بين الأصل و الترجمة أي المراجعة و التقييم . (1)

و لا شك أن مترجمي النص القرآني يمرون بنفس المراحل المذكورة ، و لكن المرحلة الأخيرة من الترجمة لا يمكن أن تعطي نفس النتائج الإيجابية التي نجدها في أنواع أخرى من الترجمة ، إذ مقارنة الترجمة بالأصل في الترجمة التفسيرية ليس لها أسس

.....

1-المودن حسن :المرجع السابق ص 55

مضبوطة إلا الحفاظ على المعنى ، بل إن المعنى قد يختلف بين مفسر و آخر و بالتالي بين مترجم و آخر .

و يعود الخلل في الترجمة التفسيرية كونها تعتمد على أسس فجة غير محددة بقيود متينة ، بحيث تعطي الحرية للمترجم في التعامل مع النص المقدس ، و إن كان تطبيقها في أنواع أخرى غير النص القرآني إيجابي أو أقل ضررا .

و إذا عرضنا مجموع الأسس التي تبنى عليها الترجمة التفسيرية في نظر العلماء المسلمين ، سنجدها تؤكد على عنصر الحرية في نقل معاني النص القرآني ، مما يحيل الترجمة إلى مجرد نص تابع للنص القرآني لا يماثله و لا يعادله ، فالقرآن مقدس يتعبد بتلاوته أما الترجمة فلا .

كما يمكن استنباط الأسس التي اشترطها علماء الأصول لاستقامة ترجمة النص القرآني المقدس بطريقة تفسيرية ، و هي أربعة نوردها كالآتي :

1)-فهم المترجم غرض النص ثم نقله إلى لغة مخالفة له .

2)-شرح النص القرآني بلغة مخالفة له .

3)-عدم مراعاة الأصل و ترتيبه .

4)-لا يشترط المحافظة على جميع معاني النص القرآني في الترجمة . (1)

فالمترجم يفهم النص ثم يشرحه بلغة مخالفة للغة الأصل ، و في نقله للغة المستقبلة لا يراعي ترتيب الأصل و تنظيمه و لا يحافظ على جميع معانيه ، و في هذا فسحة للمترجم للتعامل مع النص القرآني بذاتية تنأى به عن الموضوعية ، وتبعده عن الدقة في نقل الدلالات ، من خلال التضخيم و الإسهاب ،أو مظاهر الأسلوب الشخصي .

و هذا ما حذر منه الكثير من المترجمين و الباحثين في مجال الترجمة ، و منهم فريتز غوتنغر Fritz Guttinger في كتابه نظرية و تقنية الترجمة (Zielsprach) إذ يحذر

.....

1 -الذهبي محمد حسين : المرجع السابق ج 1 ص 27

المترجم من الرغبة في إيضاح و إصلاح لغة النص المترجم .(1)
و كثيرا ما يكون النص الأصل يميل إلى الإجمال دون التفصيل ، و الإيحاء مبتعدا عن التصريح ، مرتكزا على المجاز دون الحقيقة ، فلا يحق حينئذ للمترجم التغاضي عن هذه الصفات ، و استبدالها بما يخالفها مراعاة لإفهام القارئ ، فكل ما يماثل هذه الإضافات يكون سببا في تغيير طبيعة النص و نمطه مما يؤثر على نوع الترجمة .(2)
من هذا المنطلق كانت الأسس المقترحة للقيام بالترجمة التفسيرية للنص القرآني غير موضوعية ، و ظلت ترجمة النص القرآني مثار جدل بين الباحثين ، مما أدى إلى مناقشة القضية في العديد من الملتقيات من بينها ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم المنعقدة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (23 إلى 25 أبريل 2002) حيث نوقش فيها أنسب طريقة لترجمة النص القرآني المقدس ، فكان الاتفاق على أن الترجمة التفسيرية هي الأنسب لترجمته .
كما توصل المشاركون في الندوة إلى تبني أسس خاصة بترجمة القرآن الكريم نذكر منها : أ- الالتزام بترجمة معاني القرآن الكريم و تجنب الترجمة الحرفية.
ب-الالتزام بوحدة الألفاظ القرآنية المتكررة ما لم تختلف معانيها وفقا للسياق .
ج- الإبقاء على المصطلحات الإسلامية التي يتعذر ترجمتها إلى اللغات الأخرى بلفظها العربي مع شرحها في قائمة تلحق بالترجمة كالصلاة و الزكاة و الحج و العمرة.
د-كتابة الأعلام عند الترجمة إلى اللغات الأخرى بلفظها العربي مع الإشارة إلى لفظها بتلك اللغات إن وجد في الحاشية أو بين قوسين . (3)

.....

1-Katharina Reiss :Opcit p- 87
2- Idem p87

3 -بيان ختامي لندوة ترجمة القرآن الكريم .al watan .com.s.a-

5- -نمط النص :

يمكن تصنيف النص القرآني ، ضمن النصوص التعبيرية ، و لكن هذا لا يعني أنه يمكن تصنيفه ضمن النصوص الأدبية ، التي يتداخل الشكل و المضمون في فضاء اهتمام الباحث المحلل لها ،بيد أن ذلك التداخل يشكل نظما أساسيا في النص القرآني، و هو ما تعارف عليه بالإعجاز عند العلماء المسلمين ،بهذا يحصل تميز القرآن عن بقية النصوص ، بل يتميز أيضا عن باقي النصوص المقدسة .(1)

و لعل هذا ما دفع علماء البلاغة و البيان قديما و حديثا إلى نعت النص بالمعجز ، من حيث أسلوبه و مضامينه ، مما يجرنا إلى اعتبار ترجمة النص القرآني ترجمة تعبيرية، بيد أنه من العسير ربط هذا النوع من الترجمة بترجمة النصوص المقدسة الأخرى و بخاصة التوراة و الإنجيل ، رغم أن ترجمة هذين النصين عرفت تطورا كبيرا سواء من الجانب التطبيقي أو النظري .

فقد كتبت نصوص العهد القديم بالعبرية و الآرامية ، أما الإنجيل فكتب باللغة الإغريقية(2) ، و من تجليات الترجمة تلك النصوص المقدسة إقدام مجموعة من العلماء اليهود بالإسكندرية على ترجمة العهد القديم إلى اللغة الإغريقية ، و عرفت تلك الترجمة بنسخة السبعين .

و في القرن الثالث الميلادي قام سان جيروم بترجمة نصوص العهدين القديم و الجديد إلى اللغة اللاتنية ، و ذلك سنة 384 م ، ثم كانت ترجمة مارتن لوثر إلى اللغة الألمانية حدثا عظيما في أوروبا المسيحية ، حيث ساعدت تلك الترجمة على توسع ترجمة نصوص العهد القديم و الجديد إلى كافة اللغات المحلية آنذاك ، و لم يكد ينتصف القرن

.....

1 -Elfoul Lantry : Op.cit .p 181

2 – Redouane Joélle : :Op.cit p 17

العشرين حتى بلغت الترجمات ألفا و مائة و ثماني لغات (1108) .(1)

و في نفس المرحلة نشطت الدراسات حول ترجمة الكتاب المقدس من طرف اللغوي الأمريكي أوجين نيدا ، حيث تمكن من ربط نظريات الترجمة و اللسانيات الحديثة بترجمة نصوص التوراة و الإنجيل ، كما شغل منصب مستشار للجمعية الأمريكية الإنجيلية لمدة أربعين سنة ، فتوصل إلى ما أسماه الترجمة التأثيرية المستهدفة ، الرامية إلى إيصال نصوص الأسفار بطريقة تأثيرية إلى كافة الناس على اختلاف ثقافتهم(2) .

إن طبيعة النص التوراتي التاريخية ،كانت سببا في سهولة ترجمته إلى لغات العالم المختلفة و المتباينة ، فالمصادر التوراتية أولت الجانب التاريخي أهمية قصوى في بناء النص الديني ، حتى غدا كأنه نص بشري يحفل بذكر أدق التفاصيل و الجزئيات التاريخية، بداية من مرحلة التكوين إلى حياة آخر الأنبياء من بني إسرائيل ، و لم يكن النص الإنجيلي إلا إظهارا لأحداث مرحلة متأخرة من تاريخ بني إسرائيل ، متمثلا في حياة و تعاليم النبي عيسى عليه السلام ، لذا كانت الحاجة ملحة عند علماء الكنيسة لربط التاريخ الإنجيلي بما قبله من تاريخ الرسل ، و هذا ما قام به أوريجينOrigéne في القرن الثالث الميلادي . (3)

و يرتبط النص القرآني من حيث روافده التاريخية و العقائدية بالنص التوراتي بداية من خلق آدم و مرورا بتاريخ النبي إبراهيم عليه السلام إلى آخر الأنبياء و المرسلين ، من بني إسرائيل .

" من بين الديانات التوحيدية الثلاث التي أنشأها الساميون ، يعتبر الإسلام أقرب إلى دين إبراهيم " (4)

.....

1- Redouane Joélle : Op.cit p 16

2 – الديداوي محمد : الترجمة و التواصل ص 5

3-Quid . Dominique et Michéle Frémy , Robert Laffont , Paris 1999 p 470

4–سيديو :تاريخ العرب العام ، ترجمةعبد الله علي الشيخ ، دار الأهلية عمان ، الأردن ، ص 176

و يبدو جليا التشابه في مواضع كثيرة بين القرآن الكريم و التوراة ، و هذا دليل على أنهما ينهلان من مصدر واحد ، بينما يتدخل الفكر و المنطق البشري في الكثير من الصياغات التوراتية و الإنجيلية بعد ذلك ، و هذا ما عبر عنه النص القرآني بالتحريف. يقول سبحانه تعالى :

" **يُحَرِفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** "(1)

و كذلك قوله تعالى :

" **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ** ". (2)

إن التحريف هنا يحول المصدر الإلهي إلى مصدر بشري ، أو قد يتمازجا معا ، لهذا يختلف النص التوراتي مع النص القرآني ، فنظرية النقد العالي لجراف و ولهاوزن (1880) تنفي كتابة النبي موسى عليه السلام للأسفار الخمسة من التوراة ما بين القرنين الرابع عشر و الثالث عشر قبل الميلاد ، و إنما كتبها أو جمعها كتاب مجهولون بعد ذلك بمئات السنين .(3)

في حين أجمع العلماء المسلمون بناء على النص القرآني على أن التوراة الحالية محرفة مما دفعهم إلى محاولة إثبات المصدر الإنساني في كتابة النص التوراتي .(4)

و إذا أمعنا النظر في النصين التوراتي و القرآني ، نجد الأول كتاب تاريخ ، يسعى إلى إبراز الأحداث التاريخية بأدق تفاصيلها إلى درجة جعل الجزئيات الإنسانيةالمادية أبعد ما يكون عن الجانب الروحي الواجب التركيز عليه في كل كتاب مقدس .

.....

1- المائدة الآية 12

2-البقرة الآية 75

3- كامبل وليم : القرآن و الكتاب المقدس في نور التاريخ و العلم ط 1 Austra light of life، 1996 ص 72

4-شادية توفيق حافظ : دراسات سريانية ، نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ص 195

و على النقيض من ذلك نجد النص القرآني يلج الأحداث التاريخية من منظار روحي عقائدي ،فيبتغي العبرة و الدروس ، و القيم و المبادئ بذكر تاريخ الأمم و الشعوب الإنسانية ، وربطها بالدين و العقيدة الصحيحة.(1) و انطلاقا من النص القرآني يجمع العلماء على قدسية المصدر و ألوهيته .

يقول تعالى :

" **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**" (2)

و قوله عز و جل :

" **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** "(3)

و هذا ما يجلي الفرق بين الإلهام الذي اعتمد عليه كثير من رجال الدين اليهود و النصارى لكتابة النصوص المقدسة ،و بين الوحي الذي يؤكده النص القرآني ، و يراد به إعلام الله أنبياءه بما يريد تبليغه من شرع أو كتاب سماوي بواسطة أو بدون واسطة ، (4) أي قد يكون الوحي مباشرا مثل ما أوحي إلى إبراهيم و موسى عليهما السلام ، أو غير مباشر مثل الوحي إلى عيسى بن مريم أو محمد بن عبد الله عليهما السلام .(5)

و نجد تداخلا في دراسات الكثير من المستشرقين للنص القرآني ،حول مفهومي الإلهام Inspirationو الوحيRevélation ، فالوحي بالمنظور الغربي هو فكرة أو رؤية أصلية كليا ترد في أذهان أشخاص غير عاديين ،(6) و انطلاقا من ذلك التداخل الدلالي

.....

1- شادية توفيق حافظ :المرجع السابق ص 197

2 – الأنعام الآية10

3-الكهف 110

4 -أبو شهبة محمد بن محمد : المدخل لدراسة القرآن ، دار الجيل ، بيروت ، 1992 ،ص 79 .

5 -بوكاي موريس : القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل و العلم ، دار رشا بيروت لبنان ، ص 5 .

6 -أرمسترونغ كارين : الإسلام في مرآة الغرب ، دار الحصاد للنشر ، دمشق ، ط 2 ، 2002 ، ص 100

يسعون دائما لنفي صفة الوحي الإلهي عن النص القرآني ، بل إن الباحثين في الدراسات القرآنية و المستشرقين الغربيين عموما ، يرفضون إعطاء القرآن صفة الكتاب المنزل ،(1) و يحاولون إثبات تأثر النص القرآني بالمصادر اليهودية و المسيحية كأساس تاريخي و عقائدي لنص القرآن الكريم . (2)

" و هو – محمد –إذ كان على علم بتعاليم دين اليهود و النصارى ، و كان يرى ذينك الدينين لا يحقق خط الإصلاح السياسي الذي يفكر فيه ، فقد عزم على إقامة دين جديد ".(3)

و في المقابل نجد بعض المستشرقين يحاولون دراسة الظاهرة القرآنية بدون مقارنتها مع الديانات السابقة لها ، و منهم أندري ميكال الذي يصف الدين الإسلامي في خصوصياته بأنه متميز في علاقته بالوحي الإلهي .

" الإسلام في حقيقته هو قصة وحي " .(4)

و كذلك يرى الكثير من الباحثين المسلمين .

" لا مناص لنا أن نعتبر النص القرآني كيانا متفردا و هو وحي سماوي خارج عن التحيز البشري .. المصدرية المحال عليها في النص القرآني هو الله سبحانه و تعالى " (5)

و من هذا المنطلق يتم التركيز على المصدرية الإلهية للنص القرآني في دراسة و نقد الترجمات الفرنسية ، تفاديا للخطأ في فهم و تفسير النص ، لما فيه من أثار سلبية على عملية الترجمة.

و يجب التذكير أن الاختلاف في الطرح و في النظرة إلى طبيعة النصوص المقدسة ،

.....

1 – أنظر : بوكاي موريس : المرجع السابق ، ص 10 .– أركون محمد : أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ص 99 –العاني عبد القادر داوود عبد الله : الاستشراق و الدراسات الإسلامية ، دار العرفان ، عمان ن ط 1 ،2001 ص 58 .

2-« L'inspiration de mahomet etait-elle authentique ? »
-André Tor : Mahomet Et Sa Doctrine , Librairie D'amerique Et D'orient p 45

3 –سيديو .ل .أ : المرجع السابق ، ص 52.

4- Miquel André : L'islam et sa Civilisation , Armand Collin , Paris , 2 Edition 1979 p 47

5 – عشراتي سليمان : الخطاب القرآني ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1998 ص 3

لا ينفي التشابه في المنبع الإلهي و الأصول الدينية ، بداية من سفر التكوين وخلق آدم عليه السلام إلى غاية محمد آخر الأنبياء و المرسلين ، مما يجعل الفكر متكاملا و إن اختلفت الشرائع و نسخت من زمن لأخر .

" و كان من مقاصد محمد أن يقيم دينا لا يشمئز منه قومه ، و قد وفق لذلك ، حيث أخذ من الأديان الأخرى ما يلائمهم ، و لم يفكر في إبداع دين جديد قط ، و هو الذي أعلن أنه يسير على غرار من تقدمه من أنبياء بني إسرائيل من إبراهيم إلى عيسى قائلا أن ما أوحي إليهم صحيح ، و الحق أن اليهودية و النصرانية و الإسلام فروع ثلاثة لأصل واحد و أنها ذات قربى وشيجة ".(1)

و إن التباين بين الشرائع السماوية فرضته الظروف المتصلة بحياة البشر ، فكانت بذلك شريعة موسى و بعدها عيسى ، ثم كانت في الأخير شريعة محمد صلى الله عليه و سلم ، غير أن العقيدة ظلت متماثلة بين الديانات الثلاث .

و من جهة أخرى نجد التواصل التاريخي واضحا بين القرآن و النصوص المقدسة الأخرى ، من خلال عرض سير الأنبياء السابقين لعهد محمد صلى الله عليه و سلم سواء بالتفصيل أم بالإيجاز .

إن بسط تاريخ الرسل و الأمم السابقة للإسلام في النص القرآني لا يدل على أن القرآن نسخة من الكتب الدينية السابقة له ، و إنما الغرض من التركيز عليها إعادة طرح التاريخ الإنساني بنظرة حقيقية ، فالله سبحانه عالم بحقائق تاريخ البشر ، و ما تداولته الكتب السماوية أقرب إلى شهادة البشر من كلام الله سبحانه ، فتكون شهادة الله تعالى في القرآن فاصلة بين الخبر التاريخي المحرف و الحقيقي .

كما أن أسباب نزول الآيات القرآنية ، تبين أن الوحي الإلهي كان دائم الحوار و الجدل مع أهل الكتاب من اليهود و النصارى المقيمين في شبه جزيرة العرب ، إذ تكررت محاولتهم لتفنيد مايرد في النص القرآني ، و محاولة إثبات عدم نسبته

.....

1 – جوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ، ب .ت . ص 18

للوحي الإلهي ، فكانت النصوص القرآنية تنزل على رسول الله إجابة على سؤال أوتصويبا لفكرة زائفة أو محرفة ، و تكررت هذه المواقف سواء في مكة قبل الهجرة أم بعدها ،و كان سبب نزول سورة الكهف المكية أن قريشا بعثت النضر بن الحارث و عقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بمكة ليسألوهم عن صدق الرسول صلى الله عليه و سلم ، فطلب منهما الأحبار أن يسألوا النبي عليه الصلاة و السلام عن قصة فتية ذهبوا في الدهر الأول و ما كان أمرهم ؟ و قصة رجل طاف مشارق الأرض و مغاربها .فإن أجاب محمد عن الأسئلة فهو نبي و إلا فهو متقول غير صادق . (1)

و لما طرحت الأسئلة على الرسول صلى الله عليه و سلم لم يجد جوابا ، و طلب من قريش إمهاله إلى الغد ، غير أن الوحي أبطأ عنه قرابة الخمس عشرة ليلة(2) ، ثم نزل قوله تعالى :

" **وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُوحِ قُلْ الرُوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** "(3)

ثم نزلت بقية الآيات بعدها ، و بهذا كانت السورة إجابة على سؤال أهل الكتاب و ليس صورة منسوخة للنص التوراتي ، كما نجد سورة آل عمران المدنية تنزل ردا على جدال نصارى اليمن ، إذ قدم وفد من نصارى نجران في ستين رجلا ، إلى المدينة ، و دخلوا المسجد بعد صلاة العصر ، و قد حانت صلاتهم ، فأمر النبي بتركهم حتى أنهوها ، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم لأمير القوم و سيدهم : أسلما .

فقالا : قد أسلمنا قبلك .فقال الرسول : كذبتما ، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا ، و عبادتكما الصليب و أكلكما الخنزير .قالا : إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟

فرد عليهما النبي عليه الصلاة و السلام : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه ، قالوا :

.....

1 –السيوطي أبوبكر : لباب النقول في أسباب النزول ، دار الكتاب العربي بيروت 2005 ،ص154

2 – المصدر نفسه ،ص154

3 –الإسراء 85

بلى .قال : ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت و أن عيسى أتى عليه الفناء ، قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه و يرزقه ، قالوا : بلى . قال : فهل يملك عيسى من شيء من ذلك شيئا ؟ قالوا : لا .

قال : فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء و ربنا لا يأكل و لا يشرب و لا يحدث ، قالوا : بلى .قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المراة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم و يشرب و يحدث ، قالوا : بلى . قال : فكيف يكون كما زعمتم ؟

فلم يجب الرجلان .فأنزل فيهم صدر آل عمران إلى غاية الثمانين آية . (1)

و إن جهل عرب الجاهلية بتاريخ الأمم السابقة و غريب الأخبار ، دفع بقريش إلى سؤال يهود المدينة و هم من أهل الكتاب ، عن خبايا التاريخ لعلهم بذلك يثبتون زيف القرآن الكريم ، و ادعاء محمد بالنبوة ، فكانت سورة يوسف ردا على تساؤلات اليهود ، و تصحيحا لما ورد في كتابهم من أخبار النبي يوسف عليه السلام فقد روي أن علماء اليهود بيثرب طلبوا من كبراء قريش أن يسألوا محمدا سبب انتقال آل يعقوب من الشام إلى مصر ، و ما جرى ليوسف عليه السلام (2).

و بهذا كان النص القرآني دائم التحاور مع النصوص السابقة له ، و ليس تكرارا لها .

6 –عملية تفسير المترجم النص القرآني :

لا شك في أن جل المترجمين اعتمدوا على تفاسير قرآنية معينة ، مكنتهم من الولوج إلى المعاني القرآنية ، و لعل المترجم الفرنسي جاك بيرك حرص على تأكيد اعتماده على مجموعة تفاسير ، كانت سنده في البحث عن دلالات النص ، كما أن التصريح بالمصادر المساعدة في عملية الترجمة في مقدمة الترجمة أو على هوامش النص

.....

1 – أخرج الحديث الطبري من طريق ابن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس .أنظر : النيسابوري الواحدي : أسباب النزول ،دار الفجر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 10 ، 2002 ص65.

2 –النيسابوري أبوالحسن الواحدي : أسباب النزول ، دار الفجر الإسلامي ، دمشق ،ط10 2002، ص 66

المترجم ترمي في حقيقتها إلى تبرئة المترجم من مسؤولية التحريف و الخطأ ، غير أن عملية الترجمة تشرك المترجم في مسؤولية تحديد دلالات النص المترجم ، ثم إن اختيار تفاسير معينة في الكم الهائل من التفاسير يعود للمترجم .

لقد قسم جاك بيرك مصادره التفسيرية إلى ثلاثة أصناف منها ما يشكل مصدرا أساسيا ، و منه المصدر الثانوي ثم المصدر الظرفي .

و كانت مجموعة المصادر المعتمدة ذات مشارب متعددة منها التفسير بالمأثور المتمثل في تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري و كذا الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي ، و كما نجد التفسير بالرأي و منه الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود جار الله الزمخشري و كذلك التفسير الكبير للفخر الرازي .و بهذا نلاحظ أن المترجم استفاد من التفاسير القرآنية على اختلافها ، و هي خطوة ضرورية للمترجم تساعده على بناء فهمه الذاتي للنص .

بيد أننا نلاحظ من جهة أخرى أن ميل جاك بيرك كان مصوبا نحو التفاسير المعاصرة و الحديثة ، و منها محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي و كذا روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي محمود ، و كذلك التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور و معه التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة و بعده ظلال القرآن لسيد قطب و أيضا صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني و المختار من تفسير القرآن الكريم و أخيرا أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي .(1)

أورد جاك بيرك قائمة مصادر التفسير كاملة في مقدمة ترجمته ،و عرضها حسب أهميتها ، فمنها الأساسية التي يرجع إليها في كل حين بحيث تغنيه عن باقي التفاسير و منها المصادر الثانوية التي يرجع إليها المؤلف في فترات متعاقبة ثم المصادر

.....

1-Berque Jacques :Le Coran ,Sindbad ,Paris ,1990 , p797

الظرفية التي يرجع إليها المترجم بصفة منتظمة .

أولا :-المصادر الأساسية :

1)-التحرير و التنوير لمحمد طاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ،الطبعة الثانية 1984 ، 30 جزءا .

2) -محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة بدون تاريخ ، 17 جزءا .

3)- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبعة بولاق بلبنان ، الطبعة الثانية ، 30 جزءا .

4)-الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، طبعة بدون تاريخ ، القاهرة ، 4 مجلدات .

ثانيا- المصادر الظرفية :

و هي تفاسير يرجع إليها المترجم في فترات متعاقبة(1) ، و منها :

5)-روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي محمود ، القاهرة 1301 -1310 هجرية ، طبعة بولاق ، 9 مجلدات .

6)- التفسير الكبير لمحمد فخرالدين الرازي ،المطبعة الأميرية الشرقية ، القاهرة 1324 ، 9 أجزاء .

ثالثا-مصادر ثانوية :

7)- التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1962 -1964 ، 15 جزءا .

.....

1-Berque Jacques : :Op.cit , p797

8)- في ظلال القرآن لسيد قطب ، بيروت 1967 ، دار إحياء التراث ، الطبعة الخامسة ، 30 جزءا .

9)- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ، بيروت 1981 ، دار القرآن الكريم ، ثلاثة أجزاء .

10) -المختار من تفسير القرآن العظيم لمحمد متولي الشعراوي ، القاهرة 1988 ، جزء واحد .

11)-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ، المملكة العربية السعودية 1983 ، 10 أجزاء .

12)- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي ، الجزائر 1986 ، أربعة أجزاء .

إن اختيار تفاسير ذات اتجاهات وعصور مختلفة أغنى المترجم عن اللجوء إلى التراث الضخم من التفاسير القرآنية ، بحيث لا يمكن للمترجم الإحاطة بكل مظان التفسير قديمها و حديثها ، غير أن التركيز على تفاسير محددة ، اختيار المترجم ذاته.

6-1 : التحرير و التنوير للطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور :

و هو من التفاسير الحديثة التي اعتمد عليها المترجم جاك برك بصفة دائمة ،و يصنف ضمن التفسير بالرأي (و بخاصة الممدوح الجائز منه) ، اهتم فيه صاحبه بوجوه القراءات القرآنية المعتمدة ، و بخاصة قراءة نافع المشهورة بتونس ، و يشير في تفسير السورة إلى وحدتها و تناسبها مع باقي السور ، يستنبط أولا المعنى اللغوي و المعنى العام للسورة ثم يستنبط الأحكام الفقهية ، مركزا على النكت و اللطائف القرآنية .

بالإضافة إلى تتبع المعاني اللغوية يرصد الظواهر البلاغية و يناقشها ، و في بعض الأحيان يفند ماورد عند بعض المفسرين قبله أمثال الزمخشري ، و في بعض الأحيان ينقد و يصحح ما ورد في التفاسير السابقة من الجانب الدلالي أو اللغوي أو التاريخي .

" و لم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفردات و معاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن رومة انسجامه و يحجب عنه روائع جماله " (1)

إن اعتماد جاك بيرك على تفسير التحرير و التنوير لمعرفة دلالات النص القرآني يتجلى في صورتين ، الأولى خفية يجليها تحليل وحدات الترجمة أو الجمل المترجمة ، و الثانية ظاهرة بحيث يشير المترجم على هوامش الترجمة إلى التفاسير التي ارتكز عليها لتحديد معنى محدد أو فصل بين معان مختلفة .

في الآية الثامنة و العشرين من سورة التوبة يحيل المترجم إلى تفسير التحرير و التنوير ، حول معنى لفظ نجس الوارد في الآية .

" يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا " (2)

O vous qui croyez , les associants :ce n'est qu'être impur. qu'ils n'approchent pas du Sanctuaire consacré après cette année –ci (3)

يشير جاك بيرك أن كلمة نجس يحتمل أن تكون إسم فعل أي نجس بالتنوين ، أو قد تدل على الصفة أي نجسين أما في نظر طاهر بن عاشور فإن النجاسة في الآية معنوية و ليست محسوسة .(4)

"يمكن القول إن نجس صفة مشبهة ، و هي بذلك إسم للشيء الذي النجاسة صفة ملازمة له ، و قد أنيط وصف النجاسة بهم بصفة الاشراك ، فعلمنا أنها نجاسة معنوية و ليست مادية ." (5)

.....

1 –بن عاشور طاهر : التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1984 ،ج 1 ص 13 .

2 –التوبة الآية 27

3-Berque Jacques :Op.cit. p 201

4-Idem p 202

5 – بن عاشور طاهر : المصدر السابق ج 10 ص 160

و سواء أكانت النجاسة مادية أو معنوية ، فإن impur مكافئ للفظ نجس .

بينما نجد جاك بيرك يترجم المسجد الحرام بـl'oratoire consacré

و ذلك في نفس الآية لقوله تعالى :

"سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى "(1)

O transcendence de celui qui fit aller de nuit en un instant de nuit, son adorateur de l'Oratoire consacré à l'Oratoire ultime (2)

فدلالة المسجد الحرام واضحة في الآية فهو مسجد مكة(3)، و قال بعض المفسرين إن المراد به مناسك الحج فتكون الحرمة من الاقتراب من مناسك الحج التي تتقدمها زيارة المسجد الحرام ، و ذلك على سبيل تسمية الجزء على الكل . ، أما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس بإيلياء بفلسطين .و كلاهما مسجدان يذكر فيهما الله ، غيرأن المسجد اسم خص به المسلمون فهو Une mosquée مثلما أشارت إليه دونيز ماسون

Celui qui a fait voyager de nuit son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée très eloignée .**(4)**

و لكن جاك بيرك يقتبس من المسميات السابقة للعصر الإسلامي فيرى المسجد الحرام هو هو معبد أو كنيسة (5) لذلك يقول : المعبد المنذور لله ، في حين يصبح المسجد الأقصى هو المعبد الأخير . أما في قوله تعالى :

"بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيْعًا .أَفَلَمْ يَيْأَسِ الذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَاسَ جَمِيْعًا " (6)

ييأس بمعنى يوقن و يعلم لغة هوازن و بني وهبيل (فخ ذمن النخع) (7)

.....

1 -الإسراء 1

2-Berque Jacques : -Idem p 292

3 – ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 238

4-Masson Denise :Essai d'Interprétation du Coran Intraduisible , Dar el kittab allubnani , liban 1980 ,p365

5 – إدريس سهيل – جبور عبد النور : المنهل ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990 ،ص 549

6 -الرعد 31

7 --إبن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 13 ص 145

لله الأمر جميعا "أي ليس ذلك من شأن الكتب بل بل لله أمر كل محدث فهو الذي أنزل الكتاب و هو الذي يخلق العجائب إن شاء ".(1)

A Dieu seul revient le décret , en totalité .les croyants ne prennent –ils pas leurs parti de ce que Dieu s'Il le voulait aurait guidé les hommes en totalité ?.(2)

ييأس هي ne prennent –ils pas أي (3) aquerir une certitude decevante

و هو يقين مخيب أو يأس و خيبة رأي أي Desespérant (4)

بينما يكون عكس اليقين في الآية هو الجهل و عدم اليقينignorent-ils مثلما رآه كازمرسكي :

Les Croyants ignorent-ils que Dieu pourrait diriger dans la droite voie tous les hommes .(5)

وهذا المعنى أقرب إلى ما رآه المفسرون أنسب إلى معنى الآية .

أما قوله تعالى : " **الر . تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِيْنٌ** " (6)

تلك : إشارة إلى ما هو معروف قبل هذه السورة من مقدار ما نزل من القرآن ، أما الكتاب فهو القرآن ، سمي كتابا لان الله أمر المسلمين بكتابة ما ينزل منه لحفظه و مراجعته . (7)و عطف قرآن على الكتاب لأن اسم القرآن جعل علما على ما أنزل على محمد للإعجاز و التشريع .(8)

Ce sont là des signes du livre , aussi bien que du Coran explicite (9)

.....

1 – إبن عاشور الطاهر :المصدر السابق ج 13 ص 144

2-Berque Jacques :Op.cit . p262

3 - Idem.p262-

4 – إدريس سهيل – جبور عبد النور : المرجع السابق ص 268

5-Kazimirski : Le Coran, p 200

6-الحجر 1

7-إبن عاشور طاهر : المصدر نفسه ج 14 ص 8

8-نفسه ص 9

9-Berque Jacques: Idem p271

يفضل جاك بيرك أن التمييز بين الكتاب و القرآن الكريم ، و الآية في نظره لا تصف نفس الكتاب مما يدفعه إلى الأستفهام التهكمي :

quel livre ? tabari evoque un collectif , l'ensemble des ecritures antérieurs que le coran vient confirmer , nous pensons plutot a l'archétype eternel dont le Coran constitue la descente partielle et specifique .(1)

و إذا رجعنا إلى تفسير الطبري الذي أشار إليه المترجم نجده يرى أن الكتاب هو ما كتب وحيا قبل القرآن الكريم مثل التوراة و الإنجيل (2)، غير أن المترجم هداه تفكيره إلى أن الكتاب هو اللوح المحفوظ و القرآن الكريم جزء منه ، و هذه الفكرة نجدها عند ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز إذ يقول :

" و قوله في كتاب الله معناه القرآن ..و قيل في كتاب الله السابق في اللوح المحفوظ ".(3) و كذلك ورد نفس التفسير عند القاسمي لقوله :" في كتاب الله أي في اللوح أو في القرآن لأن كتاب الله يطلق على كل منهما " .(4)

2-6 : تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي :

لا تخلو صفحة من صفحات ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم من إحالة إلى تفسير محاسن الـــتأويل للقاسمي ، و هو من التفاسير المعاصرة السائرة على نهج التفسير بالرأي ، و لكن بتوجه سلفي إذ يدعو في مصنفاته جميعها إلى العمل بالكتاب و السنة دون نقصان فيهما و لا زيادة ، كما يعتمد على التفاسير القديمة مع محاولة فهم العصر الذي عاش فيه المفسر (ولد القاسمي 1866 –ت 1914) .(5)

اعتمد جمال الدين القاسمي على أهم التفاسير السابقة لعصره ، و منها تفسير ابن جرير الطبري و الكشاف للزمخشري و تفسير الفخر الرازي و ابن كثير الدمشقي الذي كان

.....

1-Berque Jacques :Op.cit . p271

2 –الطبري : المصدر السابق ج 14 ص 2

3 –ابن عطية الأندلسي : المصدر السابق ، مجلد 3 ص 557

4 – القاسمي جمال الدين : محاسن التأويل، دار الفكر ،بيروت ، لبنان 1978 ،ج 8 ص 111

5–المحتسب عبد المجيد السلام : المرجع السابق ص 41 .

ينقل عنه حرفيا و ابن عطية الأندلسي و القرطبي ، و كذلك رجع إلى تفسير الراغب الأصفهاني و ابن القيم و البيضاوي و أبي السعود و محمد عبده .

كما يستشهد كثيرا بالأحايث النبوية الشريفة و يعود إلى القراءات القرآنية للفصل في دلالات الألفاظ ، كما يرتكز على الصحاح للجوهري و القاموس المحيط دون غيرهما من المعاجم .

" و استخرت الله تعالى في تقرير قواعده و تفسير مقاصده ، في كتاب اسمه بعون الله الجليل " محاسن التأويل " أودعه ما صفا من تحقيقات و أوشحه بمباحث هي المهمات ، و أوضح فيه خزائن الأسرار ، و أنقد فيه نتائج الأفكار ، و اسوق إليه فوائد التقطتها من تفاسير السلف الغابر و فرائد عثرت عليها في غضون الدفاتر ، و زوائد استنبطتها بفكري القاصر مما قادني الدليل إليه و قوي اعتمادي عليه ..و أوردت الأحاديث الصحاح و لم أطل ذيول الأبحاث بغرائب التدقيقات بل اخترت حسن الإيجاز في حل المشكلات " (1)

يرجع المترجم جاك بيرك إلى تفسير القاسمي في قوله تعالى :

" **مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ، وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا** " (2)

من يشفع شفاعة حسنة : يتوسط في امر فيترتب عليه خير من دفع ضر ، أو جلب نفعا ابتغاء لوجه الله ، و عكسها الشفاعة السيئة .

يكن له كفل منها : أي نصيب من وزرها الذي ترتب عليه سعيه ، مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيئ .(3)

Qui intercède de mauvaise intercession , en subira une parcelle .(4)

و هذا ما اشار إليه المترجم بنصيب une parcelle. .

.....

1 -القاسمي محمد جمال الدين : المصدر السابق ج 1 ص 5 .

2-النساء 85

3 -القاسمي جمال الدين : المصدر نفسه ج 5 ص 331

-4-Berque Jacques :Op.cit p107

و في قوله تعالى :

" لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ " (1)

له معقبات أي ملائكة يتعاقبون عليه ، من بين يديه و من خلفه أي من جوانبه كلها أو من أعماله ما قدم و أخر. (2)

puisque l'homme a des accompagnateurs qui le précèdent et le suivent .(3)

و التعاقب ليس المرافقة المستمرة des accompagnateurs و هو ما تشير إليه الآية من بين يديه و من خلفه و ما لا تشير إليه الترجمة qui le précèdent أي يسبقونه أو يتبعونه le suivent .

أما قوله تعالى :

" وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ " (4)

و استفتحوا أي سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم و بين أعدائهم ،(5) و هي من الفتاحة أي الحكومة لقوله تعالى :

" رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ " .(6)

(7)Ils espéraient dominer , alors qu' est déçu tout rebelle forcené.

إن الدعاء في الآية الكريمة يتحول إلى أمنية و رجاء ،و يفقد بذلك الداعي علاقته بربه ، إذ يقول المترجم :

.....

1 –الرعد 11

2 –القاسمي : المصدر السابق ج 9 ص 337

-3-Berque Jacques : Op.cit p259

4 –إبراهيم الآية 15

5– القاسمي : المصدر السابق ج 10 ص 18

6 – الأعراف 89

-7-Berque Jacques : Idem, p266

كانوا يرجون السيطرة غير أن الخيبة أصابت كل كل متمرد منذهل .(1) مما يفقد النص المترجم معناه الأصلي بالرغم من الإستعانة بالتفاسير القرآنية ، بيد أن المترجم مع اعتماده على المصادر المساعدة له إلا أنه يحاول دائما بناء تفسير خاص به و بفهمه للآيات القرآنية .

أما قوله تعالى :

" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ " (2)

يقسم الله تعالى في هذه الآية بحياة النبي صلى الله عليه و سلم ، مؤكدا أن القوم لا زالوا في سكرتهم أي غفلتهم التي ذهبت معها أحلامهم و عقولهم ، و هم يعمهون أي يترددون فلا يفهمون ما يقال لهم .(3)

يقول المترجم :

Par Ta vie , l'égarement les rendaient frénétiques .(4)

انطلاقا من التفسير يحاول جاك بيرك ترجمة غفلتهم عوض سكرتهم ، و بالتالي يفضل لفظ l'égarement أو الضلال و ضلالتهم ، كما يرى أن حالتهم من التردد و عدم الفهم هي حالة جنون لذلك يقول frénétiques .و هنا يفضل المترجم ترجمته التفسيرية دون البحث عما يقابل ألفاظ النص الأصل .

3-6 : جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري :

يعد هذا المصنف أهم مرجع في التفسير بالمأثور ، بل إنه أقدم كتاب كامل و مستوف في علم التفسير ، إذ يعرض فيه المفسر كل ما يروى عن الصحابة و التابعين في تفسير آيات الله الحكيم ، كما يذكر القراءات المختلفة للقرآن ، و يستشهد بأشعار العرب

.....

1 – إدريس سهيل – جبور عبد النور: المرجع السابق ص 380

2 –الحجر 72

3 – القاسمي : المصدر السابق ج 10 ص 62

4-Berque Jacques :Op.cit p276

و لغاتهم لتوضيح دلالات الألفاظ ، و هو في كل هذا فقيه مجتهد يعالج آيات الأحكام بذكاء فيذكر آراء العلماء ثم يرجح بينها أو يذكر رأيه .(1)

يرجع جاك بيرك في تفسيره كثيرا إلى أراء الطبري التفسيرية و منها قوله تعالى :

" **وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِسَاءِ** " (2)

يرى الطبري أن المفسرين اختلفوا في المحصنات التي عناهن الله تعالى فقال بعضهم هن ذوات الزواج غير المسبيات منهن . و قيل العفائف منهن ، فإذا حفظت المرأة فرجها فهي من المحصنات .(3)

و يقول جاك بيرك :

Et encore les préservées d'entre les femmes .(4)

و كذلك المصونات من النساء .

و لعل المترجم ركز على أن المحصنات هن الحافظات فروجهن ، فجعلهن بذلك les préservés أي حافظات و محفوظات ، و بهذا يمكن القول إن المترجم يقوم بعملية تصنيف المعاني و بعدها يختار ما يجده أنسب لشرح مضمون الآية .و يضيف المترجم في الهامش أنه غير راض عن الترجمة ، و أن ثمة كلمةأخرى تؤدي معنى المحصنات و هي Fortifiées و هي أبلغ و لكن المترجم لم يوظفها (5).

أما قوله عز و جل :

" **فَالصَالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ** " (6)

الصالحات هن المستقيمات الدين و العاملات بالخير ، و المطيعات لله و لأزواجهن .

.....

1 –القطان مناع : المرجع السابق ص 254

2 –النساء 24

3 –الطبري : المصدر السابق ج 5 ص 5

4-Berque Jacques : Op.cit p99

5-Idem p99

6 –النساء 34

و حافظات للغيب أي حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن في فروجهن و أموالهن و للواجب عليهن من حق الله في ذلك و غيره .

حافظات لما استودعهن الله من حقه و حافظات لغيب أزواجهن و حافظات للزوج .

بما حفظ الله أي بحفظ الله إياهن ، أو بحفظ الله في طاعته . (1)

و المعنى الأول هو الذي اختاره المترجم ، باعتبار حفظ الغيب هو حفظ في الغياب .

Les bonnes epouses sont devotieuses et gardent dans l'absence ce que Dieu sauvegarde (2).

و يميل جاك بيرك إلى التضخيم إذ يبين أن الصالحات هن من الزوجات (و هذا غير مصرح به في الآية) القانتات و الحافظات في الغياب ما يحفظ الله .

و في قوله تعالى :

" إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ " (3)

أي إنا تبنا إليك .(4.) كما يقال هاد إليه يهود بمعنى رجع و تاب فهو هائد .(5) و المترجم حين أحال إلى تفسير الطبري أخذ منه معنىالتوبة (تائبين)repentants

أما المعنى الثاني الوارد في بعض التفاسير و هو العودة revenons لم يشر إلى مصدره .

Oui nous revenons a toi repentants (6)

أما قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُوهُمْ الأَدْبَارَ " (الأنفال15)

.....

1 - الطبري : المصدر السابق ج 5 ص 39

2-Berque Jacques : Op.cit p266

3 -الأعراف 156

4 -الطبري : نفسه ج 9 ص 53

5 - القاسمي : المصدر السابق ج 7 ص 263

6-Berque Jacques : Idem p180

و المراد بالزحف عند الطبري لقاء الكفار في القتال زحفا أو متزاحفا بعضكم إلى بعض ، و التزاحف التداني و التقارب ، فلا تولوهم الأدبار أي فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا .(1) و نفس المعنى أخذه المترجم ، فالتزاحف أقتراب الفريقين أو الجيشين من بعضهما إذا كانا في حالة استعداد للهجوم صفوفا صفوفا ، و هذا ما أشار إليه المترجم en ordre de bataille ، أما معنى تولوهم الأدبار بأنه تولوهم ظهوركم فقد عبر عنه المترجم بأنه تديرون لهم ظهوركم – ne leurs tournez pas le dos .

Vous qui croyez si vous rencontrez en ordre de bataille les denegateurs ne leurs tournez pas le dos .(2)

بينما يرى المترجم أن Denegateurs أي المنكرون و الجاحدون (3) أنسب للتعبير عن صفة الكافرين ، و ينحرف هنا عن المعنى التفسيري آخذا بالمعنى اللغوي الذي يبين أن الكافر هو المغطي و المخبئ ، كما يتداول اللفظ منذ الآيات الأولى للنص القرآني و يسمي به سورة الكافرون مع أنه يستعمل كلمة Associants الأدل على المعنى الحقيقي في ترجمة الكافريين في سورة الأنعام ،كما أن المترجمين يتفقون على توظيف Infidèles أو Mecréants.(4)

و يشير جاك بيرك إلى تفسير الطبري في معرض ترجمته لسورة يوسف في قوله تعالى :

" **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ** " (5)

يعلق جاك بيرك على تفسير أكبرنه بأنه ورد عند الطبري معنى عجيب أن النسوة حضن حين أبصرن يوسف ؟؟

بيد أن المترجم يتعامل مع التفاسير بنوع من التجزيئ ، إذ يورد الأراء ناقصة بدون

.....

1 – الطبري : المصدر السابق ج 9 ص 53

2-Berque Jacques : Op.cit p190

3- Idem p190

4 –زينب عبد العزيز : ترجمات القرآن إلى أين ؟ دار الصابوني ط 1 –1994 ، القاهرة ، ص 32

5 – –يوسف 31

توضيح ، بل إن الترجمة ليست مجالا للإستطراد في توضيح مثل هذه الأراء ، و إذا رجعنا إلى تفسير الطبري في تفسير الآية السابقة نجده يرفض التفسير المأثور القائل بأن معنى أكبرنه هو حضن .

و هذا القول و أعني الذي روي عن عبد الصمد عن أبيه عن يوسف في معنى أكبرنه أنه حضن إن لم يكن عنى به أنهن حضن من إجلالهن يوسف و إعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء و الجمال و لما يجد من مثل ذلك النساء عند معاينتهن إياه فقول لا معنى له ، لأن تأويل ذلك فلما رأين يوسف أكبرنه فالهاء في أكبرنه من ذكر يوسف و لا شك أن من المحال أن يحضن يوسف (1) ."

و في مجال نقل المعنى إلى اللغة الهدف يورد جاك بيرك المعنى الشائع عند الكثير من المفسرين و من بينهم القاسمي و الطاهر بن عاشور اللذين يعتمد عليهما و لا يحيل إليهما في هذه الحالة ، إذ يقولان أن أكبرنه بمعنى أعظمنه أو أعظمن جماله .(2)

Quand elles le virent elles le magnifièrent au point de se couper les doigts .p 248 (3)

le magnifièrent أي أعظمنه (4).

4-6 : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود جارالله الزمخشري :

يصنف تفسير الزمخشري ضمن التفسير بالرأي ، و قد طعن كثير من العلماء في هذا التفسير لاعتزالية صاحبه ، إلا أن الإجماع قائم على أن الزمخشري أحسن من كشف عن جمالية الأسلوب القرآني ، حيث ضمن تفسيره تحليلا لغويا شاملا للآيات القرآنية

.....

1 - الطبري : المصدر السابق ج 12 ص 121

2 -أنظر : إبن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 12 ص 262 -و القاسمي جمال الدين : المصدر السابق ج 9 ص 219

3-Berque Jacques : Op.cit p248

4 - إدريس سهيل – جبور عبد النور:المرجع السابق ص 494

إذ ربط بينها و بين البلاغة و البيان و النحو و التصريف .(1)

يشير جاك بيرك في ترجمته إلى اعتماده على تفسير الزمخشري في قوله تعالى :

" وَ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيهِمْ دِينَهُمْ " (2)

كذلك مرتبطة بما قبلها أي مثل ذلك التزيين ، و هو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى و الآلهة .و المعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة ليردوهم أي ليهلكوهم ، ليلبسوا عليهم دينهم أي يخلطوه عليهم بحيث يشبهونه بدين إسماعيل عليه السلام(3) .

و يبدو أن المترجم اعتمد على تفسير الزمخشري في جميع ما يقول .

De même, aux yeux de beaucoup d'associants sépare , du fait de leurs associés , le meurtre de leurs enfants :cela pour les extérminer ; et adultérer leur religion .(4)

أما فيما يخص قوله تعالى :" ليلبسوا عليهم دينهم " فيرى المترجم أن معناها ليحرفوا دينهم .(5)

أما قوله تعالى :

" وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ " (6)

و قضينا بمعنى أوحينا كأنه قيل و أوحينا إليه أمرا مقضيا .(7) و هذا المعنى يركز

.....

1 -القطان مناع : المرجع السابق ص 359

2 -الأنعام 137

3- الزمخشري أبو القاسم : الكشاف عن حقائق التنزيل ، دار المعرفة ، بيروت ط3 ، ج 2 ص 41

4-Berque Jacques : Op.cit p157

5 – إدريس سهيل – جبور عبد النور :المرجع السابق ص 11

6 -الحجر 66

7 -الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 317.

عليه المترجم فيورد الفعل transmimes و لكن معناه هو الفعل بلغنا .

Ainsi Nous lui transmimes le décret pris :le dernier de cette (troupe) en serait retranché au petit matin (1)

و قوله تعالى :

"أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكَ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ " (2)

على تخوف أي متخوفين و هو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب ، و هم متخوفون متوقعون.(3) و في الترجمة نجد :

Pour les saisir après un long dèclin , car votre Seigneur est Tendre et Miséricordieux.(4)

ليأخذهم بعد أمد طويل آلوا فيه إلى الزوال (5) .

و في قوله تعالى :

"قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا " (6)

إذا رجعنا إلى التفسير نجد معنى سريا هو الجدول و قيل السرو و المراد عيسى كان ولدا عبدا سريا (7) و في النص المترجم نجده يقول جعل تحتك مجدا و هالة une gloire و هذا المعنى غير متوافق مع ما أورده الزمخشري في تفسيره .

Il l'appela de sous elle n'aie chagrin .le Seigneur a mis sous toi une gloire .(8)

.....

1-Berque Jacques : Op.cit p275

2-النحل 47

3-الزمخشري :المصدر السابق ج 2 ص 409

4-Berque Jacques : Idem p283

5 - إدريس سهيل – جبور عبد النور: المرجع السابق ص 244

6 -مريم 24

7-الزمخشري : المصدر نفسه ج 2 ص 409

8-Berque Jacques : Idem p322

5-6 : روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي :

يعد روح المعاني للألوسي من التفاسير المعاصرة ، السائرة على نهج التفسير بالرأي ، و لكن صاحبه جمع فيه أراء السلف رواية و علما ، فقد اعتمد على بعض المفسرين قبله أمثال أبي السعود و يكنيه بشيخ الإسلام ، و كذلك البيضاوي و ينعته بالقاضي ، أما الفخر الرازي فيسميه الإمام .و ينقل كذلك عن ابن عطية و أبي حيان و الزمخشري .

يجمع الألوسي في تفسيره بين المسائل اللغوية و الفقهية و الكونية إذ يستطرد في الحديث عن أهل الهيئة و أهل الحكمة ، و لكنه في كل هذا يقر ما يرتضيه و يرفض ماعداه .(1)

أول إشارة من جاك بيرك إلى تفسير الألوسي نجدها في قوله تعالى :

" **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى** " (2)

نجد القاسمي يتعرض إلى تفسير الآية بتجزيئها إلى مجموعة ألفاظ و منها :

رب : كلمة استعطاف ذكرها قبل الذي ، مبالغة في استعداد الإجابة .

أرني : الرؤيا البصرية .أي بصرني كيف إحياؤك للموتى .

يطرح المترجم على هامش الترجمة ما وقع من نقاش بين العلماء حول شك إبراهيم عليه السلام مما دفعه إلى طلب الدليل من ربه ، إلا أن الألوسي يرفض الفكرة و يفندها.

" يعجبني ما حرره بعض المحققين في هذا المقام و بسطه الرب عن الخليل عليه السلام من الكلام ، و هو أن السؤال لم يكن عن شك في امر ديني و العياذ بالله ، و لكنه سؤال

.....

1 –المحتسب عبد المجيد عبد السلام : المرجع السابق ص 269

2–البقرة 260

عن كيفية الإحياء ليحيط بها علما ، و كيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها ..و لما كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فتنسب إلى إبراهيم و حاشاه شكا من هذه الآية .(1)

و لكن المترجم يستفيد من التفسير و يتبعه في نقله لمعاني الآية .

Lors abraham dit :Mon Seigneur , fais –moi voir comme tu ressuscites les morts (2)

أما قوله تعالى :

" **إِبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** " (3)

يوضح الألوسي تفسير الإبتغاء أنه طلب لفتنة المؤمنين و المؤمنات عن دينهم بالتشكيك و التلبيس و مناقضة المحكم بالمتشابه ، و طلب أن يؤولوه حسب ما يشتهون. تأويله أي بتأويل مخصوص و هو ما لم يوافق المحكم بل كان موافقا للتشهي .(4)

و بالرغم من التفسيرات المختلفة عند المفسرين ، إلا أن المترجم يرتضي رأي الزمخشري في ربطه بين الإبتغاء و التشهي أي الـتأويل بما يشتهون لذلك يقول :

Par passion du trouble , passion de déchiffrer l'ambigu (5)

اشتهاء للفتنة و اشتهاء لتفسير الغامض منه ، و هو موافق للتفسير .

أما قوله تعالى :

" **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَ الإِنْجِيلَ**" **(6)**

يركز الألوسي على أن تفسير أهل الكتاب أنهم اليهود و النصارى و قيل اليهود ، و

.....

1- الألوسي محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، دار الفكر ، بيروت لبنان ،1994 ج 3 ص 42-43

2-Berque Jacques : Op.cit p64

3 -آل عمران 7

4 -الألوسي محمود : المصدرنفسه ج 3 ص 134

5-Berque Jacques : Idem p70

6 - -المائدة 68

يبين أن الله سبحانه حين خاطبهم بلسان رسوله الكريم بين لهم أنهم ليسوا على شيء أي على دين يعتد به و يليق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده (1) .

و من الغريب أن المترجم لا يلتفت إلى أراء المفسرين , و كذا رأي الألوسي الذي يشير أنه اعتمد عليه ليقول :

Dis : « gens du livre , vous êtes complètement en l'air , tant que vous n'appliquez pas la torah et l'évangile .(2)

قل يا أهل الكتاب انتم على الهواء كلية(ترجمة حرفية) و هي عبارة تستعمل في اللغة الفرنسية للدلالة على التفكير الخطأ . Parler en l'air . de façon peu fondée (3)

و إذا رجعنا إلى ترجمة آية متشابهة لهذه الآية في سورة البقرة في قوله تعالى :

" **وَ قَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ** " **(4)**

ففي هذه الآية يفسر قوله تعالى على شيء بمعنى أمر يعتد به من الدين .(5) كما نجد جاك بيرك يبين في نقله معنى التفسير أن النصارى أو اليهود لا يستندون إلى شيء إذ يقول :

Les juifs disent « Les Chrétiens ne se fondent sur rien » Les Chrétiens disent : Les Juifs ne se fondent sur rien .(6)

و هذا أقرب من قوله vous êtes complètement en l'air .

6-6 : مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي :

يعد تفسير مفاتيح الغيب من التفسير بالرأي ، و هو من أشهر التفاسير لاهتمام صاحبه بالعلوم الرياضية و الفلكية و الفلسفة ، و مباحث استدلالية عقلية ، و كذا المباحث

.....

1 -الألوسي : المصدر السابق ج 4 ص 292

2-Berque Jacques : Op.cit p132

3-Le Robert,Dictionnaires Le Robert , Paris 1994 , p 31

4 -البقرة 113

5 -القاسمي : المصدر السابق ج 2 ص 225

6-Berque Jacques : Idem p40

الفقهية ، حتى عد موسوعة في علم الكلام و ليس تفسيرا للقرآن فقط .

يشير جاك بيرك إلى تفسير الرازي في معرض ترجمته لسورة يوسف في قوله تعالى :

" **ولا تيأسوا من روح الله** " (1)

و يؤكد جاك بيرك أن الأمر يتعلق بروح (بالفتح)و ليس روح بالضم .

الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه ، أو هو كل ما يهتز إليه الإنسان و يلتذ به ، و قال ابن عباس روح الله رحمته ، أما ابن زيد فقال فرج الله و قال قتادة فضل الله .(2) و يختار جاك بيرك من بين التفسيرات المختلفة أن الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه لذا يقول أنه نفس مهدؤ من الإله .

Ne désespérez pas du souffle apaisant de Dieu (3)

و هذه الترجمة قد تتوافق مع التفسير و ليس مع النص .

أما قوله تعالى :

"**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا**(4)

اختلفوا في الروح في هذه الآية فهو ملك أعظم من السموات و الجبال عند ابن مسعود و هو ملك من أعظم الملائكة خلقا عند ابن عباس ، و يعني جبريل عند الشعبي و الضحاك ، , عن ابن عباس أيضا أنه أرواح الناس .(5) و هذا الرأي الأخير هو الذي أخذه جاك بيرك إذ يورد l'esprit أي الروح .

Car en ce jour l'esprit et les anges debout en ligne ne parleront que sur l'autorisation du Tout Misèricorde .(6)

.....

1-يوسف 87

2 -الرازي الفخر : المصدر السابق ج 18 ص 199

3-Berque Jacques : Op.cit p254

4 -النبأ 38

5 -الرازي الفخر : نفسه ج 31 ص 33

6-Berque Jacques :Idem p658

6-7:أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (1325- 1393) .

من أجل التفاسير الحديثة السائرة على نهج السلف والتفسير بالمأثور تفسير أضواء البيان ، فقد فسر القرآن بالقرآن ، ثم بعد ذلك يفسره بما روي من صحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و مركزا في ذلك على الشروح اللغوية مراعيا في ذلك التناسب بين الآيات و السور ، و لم يهمل صاحب التفسير القضايا الأصولية بحيث كان يستنتج الأحكام الواردة في الآيات ، متبعا سبيل السلف من المفسرين و بخاصة ابن كثير الدمشقي منهم .

لم يصرح جاك بيرك أخذه بأراء الشنقيطي إلا في سورة الفرقان في قوله تعالى :

" **قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا** " (1)

Dis Mon Seigneur ne se met pas en peine de vous ,sinon quand vous appelez Or vous avez démenti (son message).A votre crime collera le châtiment.(2)

ما يلفت انتباه المترجم في تفسير الشنقيطي هو رأيه حول معنى الدعاء و تقديراته الإعرابية في الآية ، إذ يحتمل أربعة تقديرات و معان منها :

1 –ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم و الخطاب عام للمؤمنين و المشركين .

2 –ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم أيها المشركون .

3 –ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة أخرى .

1 –ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم على ألسنة رسله .(3)

و بالتالي تحتمل كلمة دعاء معنى التقرب إلى الله سبحانه بالسؤال أو عبادته (4)، كما

.....

1- الفرقان 77

2-Berque Jacques : Op.cit p388

3 –الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، ج 6 ص 360

4 – المصدرنفسه ص 360

يشير جاك بيرك إلى ما ورد في التفسير حول معنى ما و هل هي استفهامية أو نافية ، و يذكر الشنقيطي أنها تحتمل المعنيين .(1) و لهذا جعل المترجم الدعاء نداءا ، و ما نافية موافقا بذلك أحد الأراء الواردة في تفسير الشنقيطي .

6-8 :في ظلال القرآن لسيد قطب :

و هو تفسير للقرآن و للحياة ، عاش مؤلفه في ظلال آياته محاولا فهم الوجود و الواقع لذا سماه" في ظلال القرآن " فهو يأتي بظلالة في بداية السورة يوضح من خلالها ترابط اجزاء السورة و أهدافها و مقاصدها ، ثم يشرع في تفسيرها بما ورد من مأثور صحيح مستعينا بالجانب اللغوي بدون إطالة فيه ، ثم يربط مضمون الآية بالحياة مصححا المفاهيم و ساعيا إلى إيقاظ الهمم .و هو بهذا أهم تفسير جمع بين الواقع المعاصر و المفاهيم القرآنية المقدسة .(2)

حين ترجم جاك بيرك أول آية من سورة الإسراء أي قوله تعالى :

"سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَمِيْعُ العَلِيمَ " (3)

O transcendence de Celui qui fit aller de nuit , en un instant de nuit , son adorateur de l'Oratoire consacré à l'Oratoire ultime dont Nous avons béni le pourtour ; afin de lui découvrir de nos signes .
-Il est L'entendant ; le Clairvoyant .(4)

ينبري جاك بيرك في الهامش لشرح دوافع اختيارهultime l'oratoire دون غيرها ، فبالنسبة إليه يعتبر المسجد الأقصى هيكل سليمان الذي يقدسه اليهود ، أما المسجد الأقصى فقد بناه عبد الملك بن مروان فيما بعد ، أي ما بين 66 –73 للهجرة .

.....

1 – نفسه 362

2 –القطان مناع : المرجع السابق ص 363

3 –الإسراء 1

4-Berque Jacques : Op.cit p292

و حين يعرض لحادثة المعراج يذكر أن تفسيرات أسطورية متناقضة عرضها المفسرون ، و أن سيد قطب في معرض تفسيره للسورة أشار أن الرسول صلى الله عليه و سلم ذاته لم يعتبر حادثة الإسراء و المعراج معجزة تثبت صدق نبوته .(1)

"و كذلك يلاحظ أن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يتخذ من الواقعة معجزة لتصديق رسالته ، مع إلحاح القوم في طلب الخوارق ..ذلك أن هذه الدعوة لا تعتمد على الخوارق ،إنما تعتمد على طبيعة الدعوة و منهاجها المستمد من الفطرة القويمة "(2)

و ثاني إشارة إلى تفسير سيد قطب نجده في هامش آخر آية من سورة الكهف ، لقوله تعالى :

"قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ". (3)

Dis : «Je ne suis qu'un humain comme vous , mais à qui la révelation vient que votre Dieu est Dieu l'unique .Qui espère rencontrer son Seigneur , qu'il effectue l'œuvre salutaire , et n'associe personne à son Seigneur dans l'adoration . »(4)

يرى المترجم في الآية إيقاعين على غرار ما ذكره سيد قطب ، الأول إيقاع بشري يظهر محدودية الرؤيا البشرية .و الثاني روحي إلهي يعتمد تحديد القيم .

" الإيقاع الأول هو الإيقاع حول القيم و الموازين كما هي في عرف الضالين و كما هي على وجه اليقين قيم الأعمال و قيم الأشخاص ..أما الإيقاع الثاني يصور العلم البشري المحدود بالقياس إلى العلم الإلهي الذي ليست له حدود ، و يقربه إلى تصور البشر القاصر بمثال محسوس على طريقة القرآن " (5)

.....

1-Berque Jacques : Op.cit p292

2-قطب سيد : المرجع السابق ج 15 ص 2211

3 -الكهف 110

4-Berque Jacques : Idem p319

5 -قطب سيد : المرجع نفسه ج 15 ص 22296 -2297 .

أما بقية التفاسير التي كان يلجأ إليها جاك بيرك في فترات متباعدة ، لم يشر إليها في هوامش ترجمته ، و هذا لا ينفي دورها الكبير في مساعدة المترجم في تحديد معاني النص القرآني .

من بين تلك التفاسير نجد التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة ، و من سماته أنه مرتب حسب نزول الآيات و السور ، إذ كانت أول سورة هي " العلق " و بعدها " القلم " ثم " المزمل " ، أما السور المدنية فتبدأ بالبقرة و بعدها " الأنفال " إلى أن ينتهي المفسر بأخر سورة من المرحلة المدنية .

و يلي هذا التفسير في الأهمية عند جاك بيرك " صفوة التفاسير " لمحمد علي الصابوني نظرا لشموله على مجموعة تفاسير اختصرها المفسر ، بحيث جمع بين المأثور و المنقول ، أخذا عن أكبر التفاسير و منها جامع البيان للطبري والكشاف الزمخشري و تفسير القرآن العظيم لابن كثير وروح المعاني للألوسي و البحر المحيط لابن حيان ، و يظهر جهد المفسر في تبسيط المادة و العناية بالوجوه البيانية و سلاسة أسلوبه .

ومن التفاسير الأخرى المعتمدة من طرف جاك بيرك نجد المختار من تفسير القرآن العظيم لمحمد متولي الشعراوي ، المتميز بأسلوبه العذب البسيط ، و نظراته الثاقبة التي يربط بها تفسير الآيات بالجانب الإيماني .

و آخر تفسير معتمد عند جاك بيرك هو الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي الجزائري ، الذي يتميز بالإقتصاد في الشرح سواء الجانب الإعرابي أو العقائدي أو أسباب النزول أو التصوف أو الأحكام ، مع انتصاره للمذهب المالكي و كثرة أخذه عن ابن العربي المالكي في أحكام القرآن ، و اعتمد على النووي و حليته في نقل الأحاديث و شرحها ، و أهم ميزة لهذا التفسير ابتعاد صاحبه عن وجوه الخلافات و اعتماده الواضح المأثور و المنقول .

6-9 :تفسير القرآن العظيم لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي :

لم يشر المترجم جاك بيرك إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير في قائمة التفاسير المعتمدة لديه في الصفحة 797 ، غير أنه رجع إليه في حالات متعددة ، و ذكره في عدة مواضع من ترجمته .

و يعتبر تفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور بعد تفسير الطبري ، فقد اعتمد على الأثار الصحيحة الإسناد ، مع ترجيح بعضها على بعض ، كما يرجع إلى أقوال العلماء من عصره و قبله يناقشها و يستنبط الأحكام الشرعية ، كما تفطن إلى الإسرائيليات من المأثور و نقدها و فندها .

يستند جاك بيرك في كثير من الآيات إلى تفسير ابن كثير ، و من ذلك قوله تعالى " **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** " (1)

و مع أن جاك يصرح بأنه أخذ بتفسير ابن كثير لكلمة إمامهم التي تعني من بين المعاني الواردة في التفسير إما نبيهم أو كتابهم أو كتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع .(2)

On adopte ici l'interprétation d'Ibn kathir ; qui voit dans imam l'écrit .(3)

و مع ذلك يترجم جاك بيرك إمام على أنه الموجه القائد ، عكس ما ورد في التفسير .

Au Jour ou Nous appellerons par le nom de leurs conducteurs toutes les séries d'humains .(4)

أما قوله تعالى :

.....

1-الإسراء 71

2 -إبن كثير : المصدر السابق ج 3 ص 48

3-Berque Jacques : Op.cit p302

4- Idem p302

"يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ " (1)

في تفسير ابن كثير الذي يرجع إليه المترجم نجده يقول : أي يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابقة ، و ترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ، و مسافة ما بينهما و بين الأرض مسافة خمسمائة سنة .(2)

و ما دام التصريح قد ورد عند ابن كثير أن معنى عرج إليه هي ارتفع إليه ، فإن المترجم ينحو نفس المنحى قائلا :

« Il agence du ciel vers la terre le décret , qui remonte a lui tout cela en un jour , valant mille ans de votre compte » .(3)

و في قوله تعالى :

"فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ، وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْتُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيْرًا ".(4)

إذا رجعنا إلى تفسير ابن كثير المعتمد من طرف المترجم نجده يؤكد أن الله سبحانه يأمر الحاكم بإقامة العدل و بخاصة إذا كان البغض و الهوى و العصبية تتحكم في الشخص ، لذا تحذر الآية من اللي و الإعراض .

أما اللي فهو التحريف و تعمد الكذب ، و بالتالي التحذير يكون تحريف الشهادة و تغييرها .(5)

.....

1 –السجدة 5

2 –ابن كثير : المصدر السابق ج 5 ص 406

3-Berque Jacques : Op.cit p440

4– النساء 135

5 –ابن كثير ا: المصدر نفسه ج 2 ص 413

و مع أن المترجم يتبع رأي ابن كثير إلا أنه يختار الفعل eludez أي تجنبتم(1) مقابل تلووا و تحرفوا الشهادة و الفعل derobez أي خبأتم (2) يقابل تعرضوا عن ذكر الشهادة ، و لا يخفى أن دلالات الألفاظ المترجمة لا تفي بمعاني الآية القرآنية. .

Ne suivez pas la passion plutôt que la justice , Si vous eludez ou vous derobez Dieu est informé de vos agissements .(3)

6-10 : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن عطية الأندلسي :

إن تفسير ابن عطية هو احد التفسيرات التي اعتمد عليها المترجم جاك بيرك ، و لكن لم يصنفه ضمن قائمة التفاسير المعتمدة ، غير أنه أشار إليه في هامش آخر آية من سورة الأنفال .(4)

و ابن عطية (481 –546) من علماء الأندلس المشهورين في عصره و بعده ، و مما زاد في شهرته تفسيره المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، بحيث يسير فيه على نهج التفسير بالمأثور ،و يورد أراء المفسرين قبله أمثال الطبري و يناقش أراءهم أحيانا يرد عليهم ، كما يهتم بالشواهد الشعرية و المسائل النحوية و القراءات القرآنية .(5)

يلجأ المترجم جاك بيرك إلى تفسير ابن عطية لتوضيح معنى الأرحام الواردة في قوله تعالى :

" **وَ أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اَللهِ** " .(6)

إن ابن عطية الوارد ذكره في الترجمة لا يفسر كلمة الأرحام ، و إنما يركز على أن

.....

1- إدريس سهيل –جبور عبد النور : المرجع السابق ص 312

2 –نفسه 265

3- Berque Jacques : Op.cit p440

4- Berque Jacques :Idem p197

5 –الأنفال 75

6 –إبن عطية الأندلسي : المصدر السابق ج 3 ص 557

مضمون الآية الكريمة هو المواريث و هي ناسخة للحكم القائل بأن يرث المهاجري الأنصاري ، ووجب حسب الآية أن يرث الرجل قريبه و إن لم يكن مهاجرا معه ، و يعرض ابن عطية رايا آخر في تفسير الآية و هو أنها ليست من آيات المواريث و إنما هي قرار من الله تعالى بتوريث الخال و العمة .(1)

و لا يشير التفسير إطلاقا إلى تخصيص الأرحام بالنساء دون الرجال ، و هذا ما ذكره المترجم بقوله :

Quant aux parents par les femmes ; ils ont priorité les uns sur les autres .(2)

و يميل المترجم إلى أن الأرحام هم ذوي صلة الرحم parents par les femmes و هذا ما لا يتوافق مع النص القرآني و لا تفسير ابن عطية .

6-11 -تفسيرات المترجم :

يلجأ جاك بيرك في كثير من الحالات إلى تفسيره الخاص متجاوزا بذلك أراء المفسرين و في بعض الأحيان يكون رأيه و فهمه منقولا عن تفسير معين و لكن لا يشير إليه ، و هذه العملية ضرورية للمترجم حين يكون اللبس قائما حول شرح لفظة معينة أو مفهوم محدد ، فيلجأ المترجم إلى تحديد معنى ثابت و بالتالي توظيف مصطلح أو لفظة معينة دون غيرها من المعاني المترادفة التي تؤدي نفس الوظيفة الدلالية .

من بين الحالات التي يذكر فيها المترجم أنه وظف مدلولا معينا دون غيره ، نجد ذلك في قوله تعالى :

" **نَحْنُ نُسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِسُ لَكْ** " .(3)

.....

1 -الذهبي محمد حسين : المرجع السابق ج 3 ص 233

2-Berque Jacques : Op.cit p197

3 -البقرة 30

فالملائكة يذكرون أنهم يسبحون أي يعظمون الله و ذلك بحمده و شكره ، و كذلك يقدسونه أي يعظمونه و يجلونه .و هذا التفسير متفق عليه في التفاسير .(1)

بينما نجد المترجم يقول :

Alors que nous autres célébrons par la louange ta Transcendence et ta Saintetè .(2)

فالفعل célébrons يعني حمد الله أو إقامة القداس له في الديانة المسيحية ، أما louange فهو الثناء على الله .(3)فيكون المعنى على هذا الأساس :

بينما نحن الأخرين نحمد بالثناء سموك .(ta Transcendence)و قداستك (ta Saintetè)

و هذا التحويل ناتج عن فهم المترجم بل تفسيره للآية ، مادام أنه لم يثبت ما قدمه المفسرون .

أما في قوله تعالى :

" **وَ أَقِيمُوا الصَلاةَ وَ آتُوا الزَكَاةَ** ". (4)

و لا خلاف عند المفسرين أن لفظ الزكاة المستحدث في النص القرآني إنما هو مال يخرج من مال الفرد المسلم المؤمن ، فيكون الغرض منه التقرب إلى الله فيثمر الله ما عند الفرد من مال ، و يحتمل كما يقول الطبري في تفسيره أن تكون سميت زكاة لأنها تطهير لما بقي من مال الرجل لأن المال يزكو أي يتطهر و يزيد .(5)

و لا يختار جاك بيرك المعنى الشائع و إنما يميل بحسه و فهمه إلى ما أشار إليه المفسرون بأن الزكاة تطهير للمال و النفس و يوظفه في ترجمة الآية :

Accomplissez la priére acquittez la purification .(6)

.....

1 –الطبري : المصدر السابق ج 1 ص 167

2-Berque Jacques : Op.cit p440

3- إدريس سهيل –جبور عبد النور : المرجع السابق ص 149

4 –البقرة 43

5 –الطبري: المصدر نفسه ج 1 ص 203

6-Berque Jacques : Idem p440

أما الفعل acquittez يراد به se liberer d'une obligation أي يتخلص من فرض وواجب .(1) و هكذا فإن المترجم يقول :

تخلصوا من فرض التطهير أو إذا أردنا تقريب المعنى أدوا التطهير .

و هذا المعنى يخالف ما ورد في الآية الكريمة .

و في قوله تعالى :

" **فَذَبَحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** " .(2)

و ما كادوا يفعلون أي قاربوا أن يدعوا ذبحها ، حسب ما ورد في التفاسير المختلفة ، و بخاصة التي أدام جاك بيرك الاطلاع عليها .(3)

و لكنه حين يترجم الآية يقول :

Ils sacrifièrent la bête en rechignant (4)

فحالتهم حين أرادوا ذبحها كانت عابسة نافرة من التضحية .

en rechignant : أي بنفور – عبوس .(5)

إن الترجمة في كثير من الأحوال تحوم حول المعنى الأصلي للنص القرآني ، و لا تؤديه بدقة متناهية ، فحالتهم من النفور من الذبح وصف مباشر لهم ، في حين نجد في الآية ما كادوا تبين أن الرفض و النفور كان خفيا ، و هذا ما يجعل المترجم حين يختار معنى معين يجانب الصواب .

أما في قوله تعالى :

" **اَللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُومْ** " .(6)

.....

1- Le Robert p 11

2 –البقرة 71

3 –الطبري : المصدر السابق ج 1 ص 281

4-Berque Jacques : Op.cit p35

5 – إدريس سهيل –جبور عبد النور : المرجع السابق ص 644

6 –البقرة 255

يثبت الله سبحانه و تعالى الألوهية لذاته و ينفيها عن أي معبود غيره ، و ذلك لكونه حي لا يموت و لا يفنى و لكونه قائم على ما في السموات و الأرض .

و مع أن الكثير من المترجمين قبل جاك بيرك أحسوا بخصوصية الله نفسه بتسمية الله تمييزا له عن الآلهة المعبودة في الأرض و منهم إدوار مونتي و بلاشير ، إلا أنه يثبت كلمة إله في كامل ترجمته .و كأنه يقول :

الإله لا إله إلا هو .

كما أن المترجم في هذه الآية يورد لنا مصطلحا جديدا من ابتكاره ، أو على الأقل اقتبسه من العالم هيدغر و هو " القائم الأسمى "(1) ، مقابلا للفظ القيوم الوارد في الآية الكريمة .

Dieu , il n'est de Dieu que lui , le Vivant , L'agent suprême **.(2)**

و من الآيات المختلفة التي خصها جاك بيرك بتفسيره الخاص نجد قوله تعالى :

" **وَ مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَ سَعَةً** " .(3)

و المراغم هو طريق يراغم فيه أنوف أعدائه ، و لم يفت المترجم أن يشير على هامش الترجمة حيرة المفسرين حول كلمة مراغما ، فمنهم من يشير أنها الرغم أي الأرض و منهم من يشير أنها الإرغام أي كل ما يفرض على الرجل .(4)

و يستقر جاك بيرك على معنى يراه مناسبا لتفسير الآية إذ يقول :

Qui fait exode sur le chemin de Dieu trouvera vaste et ample engagement .(5)

و من يهاجر في سبيل الله يجد شساعةvaste و سعة ample في الإلتزامات

.....

1 — إدريس سهيل –جبور عبد النور : المرجع السابق ص 719

2-Berque Jacques : Op.cit p 62

3 –البقرة 100

4-Berque Jacques :Idem p110

5- Idem p110

engagement (1).

و الراجح أنه استعار المعنى من تفسير ابن كثير الذي يرى أن المراغم الكثير هو المضطرب في البلاد ، غير أن جاك بيرك لا يشير إلى أصل الدلالة ، و ينسبها إلى نفسه ، مما يجعل الترجمة خاطئة بالمقارنة مع الأصل .

أما قوله تعالى :

" وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً " .(2)

نجد المترجم جاك بيرك يتعامل مع لفظ إماما حسب الاستعمالات المختلفة لها في النص القرآني ، و هو يدرك جيدا التوظيف السياقي للفظة في القرآن .(3)

يقول المترجم :

S'entendre énoncer l'écrit sur un témoin de par lui , outre qu'il ya en avant(ce témoin) l'écriture de moîse en tant que preambule et que miséricorde .(4)

و يكون معنى الترجمة :

إضافة إلى أنه يوجد قبل (هذا الشاهد) كتاب موسى تمهيدا preambule(5)

و رحمة .

و مادام لم يشر المترجم إلى التفسير الذي استقى منه المعنى ، فيعتبر بذلك أختيارا ذاتيا لتحديد معنى كلمة إمام في الآية الكريمة .

و إذا رجعنا إلى التفاسير المختلفة نجد معنى الإمام يتأرجح بين الشخص القدوة للعالمين عند الرازي و الكتاب الذي يؤتم به الدين و يكون قدوة فيه عند الزمخشري و بين الإمام الكتاب الذي يسجل فيه عمل الإنسان عند محمد علي الصابوني، الذي يورد خبرا

.....

1-إدريس سهيل –جبور عبد النور :المرجع السابق 324

2 –البقرة 17

3-Berque Jacques : Op.cit p-232

4–idem p-232

6-إدريس سهيل –جبور عبد النور : نفسه 607

عن ابن عباس يقول فيه : " الإمام ما عمل و أملي فكتب عليه " . (1)

و يشير جاك بيرك أن كلمة إماما ترد في النص القرآني على عدة وجوه ، فحين تشير إلى القرآن تكون archetype و في وصف إبراهيم تكون modèle ، و في هذه الآية تدل على preambule .(2)

و حين نعود إلى المتماثل من الآيات نجد جاك بيرك يصف إبراهيم بarchétype و ذلك في قوله تعالى :

" **إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** " .(3)

إذ يقول المترجم :

Abraham fut un archétype , un dévot .(4)

و يظهر المترجم حيرته و يتساءل كيف يكون إبراهيم أمةcommunauté لوحده ؟(5)

لذلك يرى من الأنسب ترجمة أمة بنموذج مثالي و مع ذلك ففي الترجمة مخاطرة بالمعنى (6)

إن توافق المفسرين على أن معنى الإمام هي الكتاب ، كان استنادا إلى قوله تعالى :

" **وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** " .(7)

فقد رجح ابن كثير أنه كتاب الأعمال ، و هو كتاب مضبوط مسطور (8)،

.....

1 – محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط 2 ، 1986ج 2 ص 170

2-Berque Jacques :Op.cit p 232

3 –النحل 120

4 - Berque Jacques: idem1p291

5- Idem p232

6– إدريس سهيل –جبور عبد النور : المرجع السابق ص 61

7–يس الآية 12

8 – ابن كثير : المصدر السابق ج 3 ص 483

و كذلك قال الطاهر بن عاشور إن الإمام هو الكتاب(1) .في حين نجد جاك بيرك يترجم الآية بقوله :

Et toute chose dénombrons sur un originale explicite .(2)

و يوضح المترجم أن معنى الكتاب يحتمل أصالته ، فيكون بذلك قد استعمل الحذف في الترجمة .و كأنه يقول :

و في كل شيء نحصي أصيلا مبينا أي نحصي كتابا أصيلا مبينا .

و من جهة أخرى نجد جاك بيرك يترجم كلمة إمام ب conducteurs و ذلك في قوله تعالى : "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ".(3)

و الراجح أن المترجم لجأ إلى تفسير القاسمي الذي يقول إن معنى الإمام في الآية الكريمة هو من ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين (4) .غير أن القاسمي يرجح رأي ابن كثير الذي يرى أن المراد بالإمام في الآية كتاب الأعمال(5) بناء على سياق الآية ذاتها لقوله تعالى :

" فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ أُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَ لاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلًا " (6).

و بالرغم من تأكيد القاسمي على رأي ابن كثير : " و ما رجحه رحمه الله هو الصواب" و يعني به ابن كثير .إلا أن المترجم أخذ بالرأي الأول دون الثاني حين ترجم الآية :

Au jour ou nous appellerons par le nom de leurs conducteurs toutes les series d'humains .(7)

.....

1-إبن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 15 ص 168

2-Berque Jacques :Op.cit p 471

3- الإسراء 71

4-القاسمي : المرجع السابق ج 17 ص 256

5 -ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 330

6-يس الآية12

7-Berque Jacques :Idem p471

أي يوم ننادي بإسم من يهتدون بهم(1)leurs conducteurs كل أصناف البشر .

و يكثر المترجم في سورة يوسف في هوامش الترجمة ، من ملاحظاته حول اضطراره إلى توظيف بعض المعاني و بالتالي بعض الألفاظ دون غيرها ، و يأبى الإشارة إلى التفاسير المختلفة التي يرجع إليها عادة لمساعدته لفهم النص القرآني .و من تاويلاته و تفسيراته المختلفة نجد قوله تعالى :

" **يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيْثِ** " . (2)

و الاجتباء الاصطفاء ، و هو ما أشار إليه المترجم بقوله :

En tous cas ton seigneur t'élit de la sorte en vue de t'enseigner l'intérprétation des occurrences .(3)

و يشير المترجم في هامش الصفحة أن الأحاديث هي Langages أي كلام و لغة (4)

و مع ذلك يرى أن لفظ occurrences أي تواترات لفظية و هي وحدة لسانية في الخطاب (5) أدل على المعنى الصحيح في الآية .

أما المفسرون فيرون أن الأحاديث إما أن تكون لغوية أو نفسية أو إشارية .(6)

و كذلك نجد نفس الحالة في قوله تعالى :

" **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِدِّيقُ** " (7)

و الصديق في الآية الكريمة تعني البالغ في الصدق (8) و هي صفة مبالغة من

.....

1 - إدريس سهيل –جبور عبد النور : المرجع السابق ص195

2 –يوسف 7

3-Berque Jacques :Op.cit p244
4-Idem p440
5-Le Robert: Op.cit p 783

6 –القاسمي : المصدر السابق ج 9 ص 190

7 –يوسف 46

8–الرازي : المصدر السابق ج 18 ص 149

Joseph , être de verité .(1)

و verité هي Sincerité أي الصدق (2)، و لكن هل يؤدي هذا المصطلح الجديد نفس دلالة الصفة المشبهة لصديق ؟

أما قوله تعالى :

" **لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ** " **(3)**

و الغيابات هي ما غاب عن البصر من الشيء ، و في الآية غيابات الجب تعني قعر الجب .(4)

أما المترجم فيحتار في معنى الآية ، ما بين دلالة الغيب Mystère الواردة في العديد من الآيات قبل سورة يوسف و بين الغيابة أي عمق الشيء و لجته gouffre –abime- abysses ، و هذا بالرغم من مداومته الرجوع إلى التفاسير القرآنية التي تفصل في معنى الآية ، لكي يصل في الأخير أن اختياره كان ذاتيا .

Ne tuons pas Joseph , jetons –le dans les abysses du puits .(5)

و في قوله تعالى :

" **وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** " (6)

J'ai peur que le loup ne le mange en profitant de votre négligence .(7)

أي أخاف أن يأكله الذئب مستغلا إهمالكم أو تهاونكم .و بعض المفسرين يقولون بأن إهمالهم هو قلة الإهتمام به(8) .و الملفت للانتباه أن الآية الثالثة من سورة يوسف

.....

1-Berque Jacques :Op.cit p440
2-Le Robert: Op.cit p 167

3 –يوسف 10

4 –القاسمي : المصدر السابق ج 12 ص 225

5-Berque Jacques :Idem p440

6 –يوسف 72

7-Berque Jacques : Idem p245

8–الطبري: المصدر السابق ج 12ص95

اشتملت على نفس الصفة في قوله تعالى :

" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ ، وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِيْنَ " (1)

و قد اختار المترجم لفظ Indifférents أي لامبالي و خالي البال (2)، و هذا يدل أن المترجم يتعامل مع النص المترجم بنوع من حرية الفهم التي تسمح له في التصرف في استعمال الألفاظ التي يراها مناسبة لنقل المعاني .

و في نفس السورة نجد المترجم ينتقي من التفاسير ما يناسب فهمه الخاص للنص القرآني ، ففي قوله تعالى :

" وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ " .(3)

يرى المترجم أنه حمل حمار ، حسبما يشير إليه صاحب لسان العرب فالعير هي الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا(4) ، بيد أن الإختيار كان متطابقا أيضا مع ما ورد في أسفار الكتاب المقدس .

" فلما أضاء الصبح انصرف الرجال (إخوة يوسف)هم و حميرهم " (5)

و هذا ما أشار إليه كذلك الطبري " حمل حمار "(6)بينما نجد القاسمي الذي اعتمد عليه جاك بيرك كثيرا يقول إنها الإبل .(7)

.....

1 -يوسف 3

2-Berque Jacques : Op.cit p244

3-يوسف 72

4-ابن منظور : المصدر السابق ج 4ص620

5 -الكتاب المقدس1993 Arabic Bible ص 75

6 -الطبري : المصدر السابق ج 13 ص 14

7 -القاسمي : المصدر السابق ج 13 ص 14

أما في قوله تعالى :

" وَ اعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً " (1)

يتضح لنا فصل المترجم بين التفاسير المختلفة بدون الإشارة إليها ، و استقراره على رأي خاص أن المتكأ هو شراب يقدم للضيوف في حالة اتكاء .

Leur prépara une collation à prendre accoudèes .(2)

و هذا ما أشار إليه الطبري حين أورد خبرا يبين فيه أن المتكا هو الأترج ، إذ الآية توضح أنهن كن يأكلن بالسكاكين ، فالأكل يحتاج إلى القطع .(3) بينما نجد في التفاسير أن المتكأ يقصد به ما يتكأن عليه من الوسائد.(4)

و في آخر السورة نجد المترجم يعقب على بعض الترجمات قبله التي أخطأت شرح معنى الروح (بالفتح) ، في قوله تعالى :

" وَ لاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ " .(5)

فالإلتباس وقع عند المترجمين بين الروح بالضم و الروح بالفتح ، التي تعني النفس المهدئ .

و لعل جاك بيرك استقى معنى الآية من تفسير الطاهر بن عاشور في تحريره ، إذ يقول إن الروح هو النفس الذي يكشف الهم و الضيق(6) ، و نفس المعنى تقريبا نجده في تفسير الرازي الذي يقول إن الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه ، أو هو عموما كل ما يهتز إليه الإنسان و يتلذذ بوجوده .

.....

1 -يوسف 31

2-Berque Jacques : Op.cit p244

3 -الطبري : المصدر السابق ج 12 ص 119

4 -القاسمي : المصدر السابق ج 12 ص 219

5 -يوسف 87

6 -الطاهر بن عاشور : المصدر السابق ج ص 45

و لكنه في نفس الوقت يشير إلى أن روح الله هو رحمته حسب ما ورد عن ابن عباس، و هو كذلك فرج الله و فضله . (1)

في حين نجد الطبري يقول أن روح الله تعني أن يروح عنا ما نحن فيه من الحزن(2) و كل هذه التفاسير يرجع إليها جاك بيرك باستمرار ، بيد أن النص الأصل يورد كلمة روح فهل يوفق المترجم حين يحدد معنى واحد ، مادامت الكلمة تستوعب جميع المعاني التي ذكرها المفسرون ؟

6-12-أسماء السور :

لا يشير جاك بيرك إلى الأسباب التي تجعله يفصل بين المعاني المختلفة لأسماء السور، سوى أنه يفضل هذه اللفظة على غيرها مثلما نجد في سورة الروم التي ترجمها بروما Rome (3) مع إدراكه أن تسمية البيزنطيين المستعملة في كثير من الترجمات قبله جائزة ، و كذلك الحال مع سورة الأحزاب التي سماها Les Coalisés ، ففي نظره لفظة Les Factions لا تؤدي المعنى الصحيح(4) .

مع العلم أن Les Coalisés تعني المتحالفين ، بينما Les Factions هي العصب المجتمعة ، و هو مايشير إليه المفسرون ، من اتفاق المشركين من مكة مع غطفان و بني قريظة على محاربة المسلمين (5).و كلاهما صحيح لترجمة الأحزاب فالعصب العدوة للمسلمين اجتمعت و تحالفت لمحاربة الإسلام .

و يبقي المترجم على أصل أسماء الكثير من السور و منها هود و طه و لقمان و ص و يس و الحجر و ق ، وفي كثير من الحالات يبدل و يغير دون أن يكلف نفسه عناء

.....

1 – الرازي : المصدر السابق ج 18 ص 199

2 – الطبري : المصدر السابق ج 13 ص32

3-Berque Jacques : Op.cit p431

4-Idem p 446

5-محمد علي الصابوني : المصدر السابق ج 3 ص 510

تبيين السبب و بخاصة لمن لا يحسن اللغة العربية ، فلعل القارئ يظن أن الأسماء الواردة أصلية في النص القرآني و منها نذكر :

1 – النازعات و سماها Tirer (سحب) (1)، سميت أيضا الساهرة ، أما النازعات فلأن الكلمة واردة في نص السورة القرآنية ، و النزع لغة هو الإخراج و الجذب ، و هذا هو المعنى الذي أخذه المترجم ، غير أن معنى النازعات في السورة هو إخراج الروح من الجسد و جذبها و نزعها .

2– العاديات : و هو جمع مؤنث للعادية أي التي تسير بسرعة أو تعدو ، و نفس الصفة تطلق على الخيل و الإبل لأنها عاديات . كما يشبه الإنسان بالخيل و الإبل إذا أسرع في العدو ، أما جاك بيرك فيورد الفعل عدا و ركض إسما للسورة إذ يقول : Galoper(2) و هذا لا يكافئ معنى العاديات .

3 –البروج و أطلق عليها المترجم Chateaux (3) أي القصور ، مما يجعل مضمون الآية ينأى عن الإسم الذي أطلق عليها ، أما البروج أو الحصون و القصور التي تقصدها السورة إنما هي بروج سماوية لقوله تعالى :

" **و السَمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ** " (4)

تتألف من مجموعة نجوم متقاربة في الموقع ، فيتراءى للناظر أن الشمس تقيم بينها مدة من الزمن ، فقال الناس أن الشمس تحل فيها مدة فهي كالبرج (5).و هذا ما لا يمكن القارئ فهمه بمجرد ترجمة البروج إلى قصور .

3 –الإخلاص و قال المترجم La Religion Fonciere أي الديانة الخالصة (6) ، و سميت

.....

1-Berque Jacques : Op.cit p658

2- Berque Jacques :Idem p –693

3-Idem p671

4–البروج 1

5 –إبن عاشور طاهر : المصدر السابق ج 30 ص 237

6-Berque Jacques : -Idem p705

كذلك سورة التوحيد لذلك قال كازمرسكي Unité de Dieu (1) و سميت أيضا سورة الأساس ، أما الإخلاص فلأنها تعلم الناس إخلاص العبادة لله وحده (2) .

4 – الفلق : Le Point du jour (مطلع الفجر) (3) ، والفلق الانشقاق عن باطن الشيء، والمراد به في الآية تشبيه الليل بشي مغلق ينفلق عن الصبح (4) بالتالي يكون مطلع الفجر نتيجة للفلق .

أما بقية الأسماء التي ترجمها جاك بيرك فيمكننا بالرجوع إلى التفاسير المختلفة للنص القرآني لفهمها أو على الأقل الربط بين معناها و دلالة الإسم و مضمون السورة و منها:

- أولا : الطارق و هو النازل بالديار ليلا فيطرق بحجر أو وتد ليشعر أهل البيت بوجوده ، لذلك قال جاك بيرك : l'arrivant du soir .(5)

بينما نجد الطارق في السورة هو النجم الثاقب و ليس الزائر و الضيف من البشر لقوله تعالى :

" **وَ السَمَاءُ وَ الطَارِقِ وَالنَجمِ الثَاقِبُ** " .(6).

و إنما حدث الترابط بين المعنيين على سبيل التشابه ، فالنجم يطلع ليلا كأنه طارق .

ثانيا : الغاشية – Occultante (الحاجبة) (7)، و هي مشتقة من الغشيان و هو التغطية.

ثالثا : الشرح أو الإنشراح و هو انفعال النفس بالرضى بحال تلتبس بها ، أما أصلها

.....

1-Kazimirski : Op.cit p 506

2 –بن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 30 ص 9

3-berque Jacques :Idem p—706

4 – بن عاشور الطاهر : المصدر نفسه ج 30 ص 626

5-berque Jacques : Idem p673

6 –الطارق 1

7–Berque Jacques : Idem p676

اللغوي فهو الشرح أي فصل أجزاء اللحم بعضها عن بعض .(1)
و اختار جاك بيرك المعنى الأول بقوله : Epanouissement أي انشراح .
رابعا : القدر و يعني الشرف و الفضل (2) لذا يقول المترجم Grandeur أي عظمة و سمو .(3)
خامسا :القارعة و تعني عند المفسرين ضرب جسم بآخر بشدة لها صوت مفزع ، و هذا ما عبر عنه بيرك حين أورد كلمة Fracassanteأي الصاخبة .(4)
سادسا : التكاثر : و سميت كذلك المقبرة و ألهاكم ، أما التكاثر المراد به في السورة فهو التباري في الإكثار من شيء ترغب فيه النفس و تحبه كالأولاد و المال ..(5).و لذلك قال المترجم : Rivaliser par le nombre .(6)
سابعا :الكوثر : Affluence (7) و هي الكثرة (8) أما المراد بها في الآية الكريمة حسب التفاسير القرآنية المفرط في الكثرة ، و هي إسم صيغ على وزن فعيل بمعنى الخير الكثير .(9)
ثامنا :المسد ، و سميت كذلك لأن اللفظ ورد في السورة ، و سميت سورة تبت أيضا ، أما المسد فهو ليف يؤتى به من اليمن لخصوصيته بالشدة ، فتكون بذلك الحبال المفتولة منه شديدة قوية (10).لهذا قال جاك بيرك La Fibre الليف .

.....

1 –إبن عاشور الطاهر :المصدر السابق ج 30 ص 408
2–إبن عاشور الطاهر : المصدر نفسه ج 30 ص 457
3 –سهيل إدريس : المرجع السابق ص 689
4 – نفسه ص 385
5 –إبن عاشور الطاهر : نفسه ج 30 ص 519
-6- Berque Jacques : Op.cit –p695
7-Idem p701
8 – سهيل إدريس : المرجع نفسه ص 21
9 –بن عاشور الطاهر : نفسه ج 30 ص 573 – 10 –نفسه ج30 ص 607

الفصل الثاني :

ترجمة جاك بيرك لسورة يوسف
قراءة في الأصل و الترجمة

المبحث الأول –مقارنة النص الأصل بترجمة جاك بيرك و ترجمات أخرى :

تعد ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم إحدى الترجمات الحديثة، حيث صدرت عن دار السندباد بباريس سنة 1990، و هكذا فإن أهميتهاعند القارئ تكمن في حداثتها ، سواء في ذلك عند القارئ الفرنسي أو غيره ممن يحسن اللغة الفرنسية ، و كونها حديثة يفرض أنها تقدم البدائل الترجمية التي أخفق فيها بعض المترجمين الفرنسيين السابقين، و إذا كان تاريخ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية يعود إلى القرن السابع عشر ، فإن العدد الكبير من الترجمات يدل على ثراء النص القرآني من جهة و ضعف الترجمات من جهة ثانية .

إن تحديد ترجمة جاك بيرك و كذا سورة يوسف القرآنية ساعدنا على دراسة الترجمة و بعد ذلك نقدها ، انطلاقا من الأساس الدلالي الذي تتبناه الترجمة التفسيرية ، لأن الخوض في المجال الصوتي و البلاغي لم يحن وقته ، و لا يمكن للترجمة استيعابه حاليا و بالتالي لا يمكن فهم نظرية النظم و لا الإعجاز القرآني ، ما دام المترجمون يتعثرون في نقل المعاني القرآنية حتى الواضحة منها ، و على هذا الأساس فإن سورة يوسف تمثل نموذجا من القصة القرآنية الواضح المعاني والسلس الأسلوب .

و لهذا سترتكز هذه الدراسة على تحليل الجانب الأساسي من الترجمة و هو الترجمة القاموسية التي تعتمد على تتبع دلالات الألفاظ باعتبارها وحدات للترجمة بهدف مقارنة النص المترجم بالنص الأصل ،(1) و هي أول مرحلة في البناء الترجمي بحيث ينتقل منها المترجم إلى مراحل أخرى تستوجب بعض الأحيان الخلق و الإبداع .

إن الترجمة القاموسية تعتمد على تحويل دلالات الألفاظ و قد تسعى إلى دراسة نحو الكلمات قبل الخوض في مجال نحو العبارات ،(2) إذا كان نوع الترجمة يدعو إلى ذلك

.....

1 - شيخ الشباب عمر : المرجع السابق ص 46

2 – نفس المرجع ص 48

و ما دامت الترجمة التفسيرية لا تلقي بالا لتكافئ العبارات فالتحليل الترجمي يفرض علينا تتبع دلالات الترجمات المختلفة للنص القرآني و السعي إلى معرفة مدى توفيق المترجم في ترجمة دلالات القرآن الكريم .

إن ترتيب سورة يوسف في المصحف العثماني ضمن السور القرآنية هو الحادي عشر ،و لذا حرص جاك بيرك على إثبات ترتيب السور في ترجمته بطريقته الخاصة، و ذلك باستعمال XII و هو ترقيم روماني صعب عوض الترقيم العربي الشائع ، بل إن الترقيم الروماني لم يعد متداولا بين مترجمي الأسفار من العهد القديم و الحديث منذ أكثر من خمسين سنة ، و لهذا نتساءل لماذا استعمل جاك بيرك الترقيم الروماني ؟(1)

إذا عدنا إلى ترجمة جاك بيرك في طبعة دار سندباد سنجد سورة يوسف ما بين الصفحات 244 إلى 257 .

1-سورة يوسف:

هي السورة السابعة في المصحف العثماني المعتمد ، مكية النزول ، آياتهاإحدىعشرة و مائة ، كلها مكية ما عدا الآيات الأولى و الثانية و الثالثة و السابعة فهي مدنية ،(2) نزلت سورة يوسف قبل الهجرة ، في مرحلة عصيبة ، من الصراع مع قريش ، و قد عرفت تلك الفترة بعام الحزن ، حيث فقد الرسول الكريم أعز الناس إليه و أكثرهم مساندة له في دعوته ، زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها و عمه أبو طالب ، فاشتد البلاء بعدئذ بالرسول و من تبعه من المسلمين ، و كانت سورة هود السابقة في النزول ، و بعدها سورة يوسف تحتويان على قدر كبير من أخبار الرسل و الأنبياء ، و تمعنان في وصف بلائهم في مواجهة الظلم و الكفر و تبشران المسلم بنصرة الحق و .....

1-Mimouni Hadroug :L'Islam Agressé, Enal Algerie , 1990 ,p 71

2 – الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 240

إحباط الظلم و الشرك .

فنزلت آيات سورة يوسف ، تبين دقائق القصة ، إجابة على سؤال أهل الكتاب ، مما يوحي أن القصص القرآني كان حوارا مع أهل الكتاب ، و تصحيحا لادعاءاتهم ، و ليس نقلا وتكرارا لما ورد في كتبهم .

و بهذا كانت سورة يوسف حوارا مع العرب الجاهليين و أهل الكتاب ، بينت لهم حقائق التاريخ بشهادة ربانية ، لا تضاهيها الشهادات البشرية إطلاقا ، و لم يكن النص القرآني عبر مراحل نزوله يقتفي أثر الكتب السماوية السابقة له ، و ينسج على منوالها ، بل يصحح ما أفسده النساخ و رجال الدين عبر تاريخ الأمم الموحدة السابقة ،و يخلص التاريخ من التزوير الذي أصابه ،بطريقة حوارية مقنعة تجعل النص القرآني مرتبطا بواقع المسلمين زمن النزول و بعده .

و تأخذ قصة يوسف حيزا مهما في القرآن الكريم ، عكس قصص الأنبياء الآخرين، فقد ضمتها سورة كاملة ، سردت علينا دقائق ما جرى ليوسف عليه السلام عبر مراحل حياته المختلفة ، بداية من منامه بسجود الكواكب و الشمس و القمر له ، إلى سجود إخوته ووالده تحقيقا للرؤيا .

و إذا كان النص الإنجيلي لا يحوي قصص الأنبياء السابقين لسيدنا عيسى عليه السلام، فإن النص التوراتي يتعرض بتفصيل دقيق للأحداث التي مر بها النبي يوسف عليه السلام .

و ليس من قبيل المقارنة بين النصين التوراتي و القرآني بل للامتداد التاريخي و النصي بينهما ، تم اختيار سورة يوسف نموذجا تطبيقيا على الترجمات الفرنسية للنص القرآني ، كما تمثل السورة القرآنية النموذج الإعجازي السامي ، بما تتميز به من تفرد سردي بالمقارنة مع قصص الأنبياء الآخرين المذكورين في النص القرآني .

تشكل سورة يوسف في بنيتها القصصية نمطا فريدا و متميزا من القصص القرآني ،

فهي قصة متكاملة نزلت في سورة واحدة ، عكس ما ورد من أخبار الرسل المجملة حينا و المفصلة أحيانا أخرى ، ومنها ما يتكرر في مواضع مختلفة من السور القرآنية.

" أما سورة يوسف فقد ذكرت حلقاتها هنا متتابعة ، بإسهاب و إطناب و لم تكرر في مكان آخر كسائر قصص الرسل ، لتشير إلى إعجاز القرآن في المجمل و المفصل ". (1)

و ترد القصة في النص القرآني بأشكال متنوعة ، منها القصة التاريخية و الواقعية ثم القصة المثل .(2)

ترتكز القصة التاريخية على شخصيات و حوادث لها بعدها الحقيقي في تاريخ البشرية، محددة الأسماء و الأماكن ، أما القصة الواقعية فتمثل نموذجا لقصة حقيقية ، و لكنها تعرض على سبيل التوجيه و الإرشاد ، و لا تحدد فيها الأسماء و الأماكن ، و كذلك القصة المثل تصور حدثا خاصا و لكنه ممكن التكرار في أي لحظة .

و من ناحية الشكل القصصي ، تقوم القصة القرآنية على السرد المباشر المبني على الرصد و العرض و هي قصة ممشهدة ، أو قد تعتمد على الحوار الملازم للسرد بحيث يبني الحدث و يجلي الوقائع ، و بالتالي تكون القصة قصة الموقف . (3)

كما نجد كذلك القصة المطولة و المتوسطة و القصيرة ، فالقصة المطولة مثل قصة يوسف محبوكة الأطراف و موصولة الأجزاء يفضي أولها إلى آخرها ، أما القصة المتوسطة فتعتمد على عدة مشاهد قصيرة مثل قصة سليمان في سورة النمل ، و القصة القصيرة مبثوثة في مواضع مختلفة من السور القرآنية ، تعتمد المشهد الواحد و اللقطة السريعة في حياة الشخصية التاريخية ، مثل قصة قابيل و هابيل في سورة المائدة – الآيات 27 ،31 –

بناء على على هذا التقسيم نتجت لنا بنيتان قصصيتان و هما :

.....

1 –الصابوني محمد علي :المصدر السابق ج 2 ص 40

2 –قطب محمد : منهج الفن الإسلامي دار الشروق القاهرة ص 158

3 – عشراتي سليمان :الخطاب القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر 1998 ص 69

1-1 – القصة المفتوحة : هي قصة وردت في أكثر من سورة في القرآن ، مع تنويع في سرد الخبر ، فالسورة الواحدة قد تحوي قصة محورية تقترن بقصص أخرى لأنبياء و رسل ، ثم ترد نفس القصة و نفس الحدث في موضع آخر من النص القرآني، ليشكل لنا هذا التتابع و الانتقال من الإيجاز إلى التفصيل أو العكس ، نوعا متميزا من القصص القرآني ، ففي سورة هود تشكل سيرة النبي هود عليه السلام محور القص في السورة ، و لكن تسبقها و تتبعها قصص أخرى ،مثل قصة نوح (الآيات 25=48) و قصة هود (5–60) و صالح (61–68) و لوط (69 –83)ثم شعيب (84 –95).

1-2 – **القصة المغلقة :** و هي قصة تعرض أحداثها بصفة كلية ، و في سورة واحدة لا تتعداها إلى سورة أخرى ، و لا يتكرر سياقها خارج السورة الأصلية ، و منها قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف (9 – 26)و كذلك صاحب الجنتين (32 – 44) و ذو القرنين (83 – 98).و قد تستقل القصة في سورة واحدة مثل قصة يوسف ، و هي بذلك قصة مكتملة . (1)

قصة يوسف المتجسدة في سورة يوسف هي قصة مغلقة لورودها في موضع واحد ثابت ، و هي في نفس الوقت متكاملة حيث عرضت بتفصيل دقائق ما جرى للنبي يوسف مع إخوته .

و يأخذ البناء القصصي في السورة أهميته في تحديد المنظومة القصصية القرآنية ، كما أن سيرة النبي يوسف عليه السلام حلقة متينة في تحديد التواصل الفكري و العقدي بين السابقين و اللاحقين من الرسل ، و لا نجد هذا التقارب في الرؤى بين القرآن و التوراة فقط، بل بين الإنجيل و التوراة كذلك ، رغم خلو النص الإنجيلي من الأصول التاريخية المبسوطة بتفصيل في النص التوراتي .

و تكمن أهمية قصة يوسف عند المسلمين في زمن نزولها على الرسول صلى الله

.....

1– عشراتي سليمان : المرجع السابق ص 70

عليه و سلم ، فالسورة مكية نزلت قبل الهجرة ، وبعد سورة هود و كلاهما يحتوي على قدر كبير من أخبار الرسل و الأنبياء .

إن الإخبار عما حدث للسابقين من الرسل ، هدفه تثبيت قلب النبي عليه الصلاة و السلام كي يواجه كل مشقة تعترض سبيل الدعوة إلى دين الله .

كما تمثل القصة الأداء الفني الصادق ، مما يجعلها تجمع بين الصدق التاريخي و القوة البيانية و الإنسجام التعبيري و ملائمة الموضوع (1) ،بيد أن الميزة الأساسية لقصة يوسف في القرآن الكريم أنها واسطة بيانية تبرز قانونا إلهيا يرمي إلى تصحيح عقيدة الكفر و الشرك في النفوس .(2)

فالقرآن الكريم لا يقصد إلى تاريخية الحدث حين يعرض قصص السابقين ، و لكن يرمي إلى الهداية و الإرشاد .فإذا آمنا بحق أن القرآن الكريم منزل من طرف الله سبحانه ، فهذا يؤكد لنا صدق الحدث ، بالرغم من وجود بعض الاختلافات بينه و بين الكتب المقدسة الأخرى،مما يجعل للنص القرآني دلالة تاريخية ، بحيث أن الله خالق الكون ، و هو عالم لا محالة بتاريخ أنبيائه و رسله ، و كذالك الكثير من الرجال الصالحين و عجيب ما جرى لهم في تاريخ الإنسانية ، و قد خص القرآن بالذكر بعضهم ، و منهم أصحاب الكهف .

يقول سبحانه :

" **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** " (3)

و هو تأكيد على غرابة الأحداث عند الإنسان ، و لكنه حدث بسيط بالمفهوم الإلهي ، فقد ذكر في النص القرآني بغرض إرشاد الضالين إلى الهدى بمعرفة قدرة الله الدالة

.....

1 – عشراتي سليمان : المرجع السابق ص 63

2 – المرجع نفسه ص 67

3– الكهف الآية 9

على ألوهيته ، و للتمييز بين القصص الأسطوري المبثوث في ثنايا النص التوراتي و بين القصة الحقيقية التي يثبتها النص القرآني.(1) و لنفس الغرض تعرض علينا سورة يوسف حقيقة ما جرى ليوسف التي لا يعلمها إلا الله ، فالله شاهد على كل شيئ .

و تتجسد تاريخية الحدث في القرآن في التأكيد على حقيقيته مع الإحجام عن ذكر التفاصيل الدقيقة ، فالهدف من الحدث التذكير بماضي الدعاة إلى دين الله ، فالقرآن الكريم كتاب دعوة في أساسه ، و تتخذ القصة فيه إحدى الوسائل الهامة للتبليغ ، و تأسيس العقيدة الصحيحة و القيم و المبادئ الرفيعة ، مما يجعلها خالية من أسماء الأماكن و الأشخاص و الدقائق التاريخية إلا ما ندر .

و في خضوع النص القرآني لمقتضى الدعوة إلى الله ، لم يتغاضى عن الجانب الفني البديع في عرض القصص و الأحداث ، و من ذلك التصوير و رسم الشخصيات و إبرازها . (2)

أما القصة التوراتية فتخلو من الطابع الديني ، الداعي إلى الله و توحيده ، و تركز على الدقائق و التفاصيل التاريخية .

فالخطاب القرآني في جوهره رسالة سماوية إلهية تبتغي إرشاد البشر و الناس جميعا إلى صلاح الدنيا و الآخرة ، فالخطاب يشكل تواصلا مستمرا و متجددا و مفتوحا بين الله و العباد ، يساير تطور شؤون الإنسان و تجددها عبر العصور ، فيتشكل بذلك الترابط بين الثابت و هو النص بتعاليمه و عقيدته و بين الإنسان و ما يواجهه من تطورات .

و يجسد لنا هذا التواصل بحق ، القصص القرآني المتميز ، و المتمثل في قصة يوسف بصفة جلية ، حيث تزاوج فيها السرد مع فاعلية الحوار ، الذي يضفي على القصة

.....

1-Berque Jacques /En Relisant Le Coran ,Sindbad , Paris 1990 P 782.

2 – قطب سيد : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، بيروت ن لبنان ،ط 7 ،1982 ص 143

تجددا و حياة ، فاقترن بذلك الموقف المشهدي بالموقف الحواري .

و تغدو للحوار وظيفة إخبارية و موقفية ، فهو يجلي الأحداث في تطورها ، و يفضي إلى اللاحق منها المعروض سردا و إخبارا ، كما أن الحوار و مثله السرد يرتكزان على الدقة اللغوية من خلال الاقتصاد اللغوي الذي يزيد في أدبية و تعبيرية النص قوة و فعالية ، و قصة يوسف في النص القرآني يمكن تصنيفها ضمن القصة الموقف و المشهدية معا ، إذ يتصدر الحوار القصة .

" **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** " (1)

و هذا الحديث المباشر بين يوسف ووالده يعقوب ، يحيل إلى مواقف مشهدية سابقة له ، كما يحيل إلى علاقة يوسف بإخوته و علاقته بأبيه السابقة لرؤية المنام .

و يختزل الحوار الأحداث بناء على مبدإ اقتصادي لغوي ، يرمي إلى الدقة و التركيز في العرض ، و يتكرر هذا في مواضع كثيرة من البناء الحدثي للقصة القرآنية .

" **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ** " (2)

فالحوار يحيل على الأحداث السابقة ، من مؤامرة الإخوة على قتل أخيهم ، إلى أن يشرف العرض على خاتمته ، بلقاء يوسف بإخوته ووالديه و يخرون له ساجدين ، و هو تأويل الرؤيا التي أراها الله يوسف في صغره ، و لكن الحدث ينبأ أن يوسف عليه السلام سيبقى على أرض مصر حاكما عليها إلى أن يتوفاه الله .

يقول تعالى : " **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** " (3)

.....

1 – يوسف الآية 4

2 – يوسف الآية 11

3 – يوسف الآية 101

تشكل سورة يوسف من خلال بنائها القصصي مادة لغوية ثرية نتكأ عليها في محاولة تحليل و تقييم النص المترجم مقارنة مع الأصل .

تتصدر النص القرآني ثلاثة حروف هي الألف و اللام و الراء –ألر – تشكل ما اتفق عليه علماء القرآن فواتح السور .

إن مجموع السور القرآنية المقرونة بالحروف الفواتح تسع و عشرون (1) ، منها ما يبدأ بحرف واحد مثل ص ، ق ، ن ، و منها ما يبدأ بحرفين طه ، يس ، طس ، حم ، و تتصدر "حم " ست سور هي غافر و فصلت و الزخرف و الدخان و الجاثية و الأحقاف ، أما ما استهل بثلاثة أحرف مثل " ألم " فنجده في ثلاث عشرة سورة منها البقرة و آل عمران و العنكبوت و الروم و لقمان و السجدة ، أما " ألر " فتتصدر خمس سور هي يونس و هود و يوسف و الحجر و إبراهيم , و " طسم " في سورتين هما الشعراء و القصص .أما السور المبدوءة بأربعة أحرف فهي " ألمر " و" ألمص " أما ما استهل بخمسة أحرف نجد سورتي مريم "كهيعص " و الشورى " حم عسق " .

و تصنف سورة يوسف ضمن اللاتي تحتوين على ثلاثة أحرف استهلالية ، غير أن دلالات هذه الأحرف غير معروفة نقلا و لا عقلا ، فهي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه لقوله تعالى : " **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ** " (2)

و مع ذلك وجدنا من التأويلات التي تحاول فك رموز تلك الحروف ، و منها أنها تدل على صفة من صفات الله تعالى مثل الر–حم –ن ، و كذلك " ألم " أصلها : أنا الله أعلم إلا أن بعض الأراء تتفق أن الحروف المتقطعة في فواتح بعض السور إعجازية وتعجيزية لا يدرك معناها إلا الله سبحانه و تعالى .(3)

.....

1 –الزركشي بدر الدين : المصدر السابق ج 1 ص 167

2 – آل عمران الآية 7

3 – الطنطاوي سيد : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، نهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة مصر ط 1 1997ج 1 ص 38

و لعل الكثير من المترجمين لا يدركون هذه الحقيقة ، ماعدا الصادق مازيغ و كذلك الترجمة الجماعية لمجمع الملك فهد لترجمة القرآن الكريم المسماة " القرآن المقدس " ، إذ يوردان الترجمة الحرفية الصحيحة :Alif ,Lam ,Ra* ، أما باقي الترجمات ومنها ترجمة جاك بيرك فتذكر الحروف منفصلة عن السياق .-A.L.R .و لهذا لا نجد في ترجمة جاك بيرك خصوصية تميزها عن باقي الترجمات ، و هذا ما سيتضح أكثر عند مقارنة الترجمات ببعضها .

و لكن قبل ذلك نود تفكيك بنية النص القرآني(سورة يوسف) القصصية ،لكي نتمكن من دراسته و مقارنته مع الترجمات الفرنسية المختلفة ،و ننطلق لذلك من كون قصة يوسف القرآنية هي قصة مغلقة ، و لكنها تختلف عن باقي القصص المغلقة في النص القرآني برمته .

يمكن تقسيم البناء القصصي في سورة يوسف القرآنية إلى ثلاثة أقسام هي المقدمة ، ثم العرض القصصي ، و في الأخير الخاتمة (1).

2- المقدمة (و تضم ثلاث آيات 1 -2 -3) : وفيها يخاطب الله تعالى نبيه محمد عليه الصلاة و السلام مؤكدا له صحة النزول و صدق القصص ،و بهذا تتحول قصة يوسف إلى حوار مع الرسول صلى الله عليه و سلم ، و حوار مع المؤمنين المسلمين ، كما أنها حوار مع أهل الكتاب الذين لهم علم وافر بقصص الأنبياء قبل البعثة المحمدية و كانت هذه الآيات مثار خلاف بين المفسرين المسلمين حول دقة معانيها ، باعتبار نزول السورة في مرحلة سابقة لعصر الإسلام ، لهذا غشي تفسير السورة الكثير من الإضافات والزيادات مما ليس له قرائن لغوية و لا تاريخية تثبت وجوده ، و هذا ما رفضه الكثير على أنه من المفسرين على أنه من القصص الإسرائيلي الذي ابتلي به " **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَ يَلْعَبْ** " .يوسف الآية12

.....

1 -القرماوي عبد الحي :سورة يوسف مشاهد و دروس ، دار البشير طنطا ، مصر ،2002 ص 13

التفسير في مرحله متقدمة من تاريخ الأمة الإسلامية .

أوردت بعض التفاسير أن يعقوب أرسله (يوسف) معهم فأخرجوه و به عليهم كرامة فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة ، و جعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح و يقول ياأبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه ، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه و نزعوا قميصه فقال : يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به في الجب . فقالوا : أدع الشمس و القمر و الأحد عشر كوكبا تؤنسك .قال : إني لم أر شيئا .

فدلوه في البئر حتى إذا بلغ بلغ نصفها ألقوه إرادة منهم أن يموت ، و كان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فيها فقام عليها و جعل يبكي ، فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم ..فأرادوا أن يرضحوه بصخرة فيقتلوه فقام يهوذا فمنعهم و قال : قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه ..و كان يهوذا يأتيه بالطعام ..(1)

للتأكد من التفاصيل الواردة في التفسير يمكن الرجوع إلى الكتاب المقدس ، فهو حافل بالتفاصيل من أخبار الرسل و منهم يوسف ، ففي سفر التكوين نجد أن يعقوب بعث ابنه في أثر إخوته الذين كانوا بأرض دوثان ، فتاه في الطريق و لكن رجلا أرشده إلى مكان وجود إخوته فقصدهم ، و لما رأوه قادما إليهم ، فكروا في الاحتيال لقتله و أشار عليهم رأوبين أن يلقوه في البئر فقبلوا ، بينما نجد في التفسير أن منقذه هو روبيل و كان ابن خالته و كان أكبر القوم ، و قيل كان شمعون . " فسمع رأوبين و أنقذه من ايديهم و قال لا نقتله . و قال لهم رأوبين لا تسفكوا دما .إطرحوه في هذه البئر التي في .....

1 – الطبري : المصدر السابق ج 12 ص96 – السيوطي جلال الدين : الدر المنثور ، ج 4 ص 5

البرية و لا تمدوا إليه يدا .(1)

أما النص القرآني فلا يهتم بهذه التفاصيل :

" **قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ** ".**يوسف** الآية 10

وبهذا لا نجد في الكتاب المقدس كل التفاصيل الواردة عند المفسرين .

" فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوثان . فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه .. فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه ، القميص الملون و أخذوه و طرحوه في البئر . و أما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء " .(2).

" **قَالَ الذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ". **يوسف(21)**

فالذي اشترى يوسف بمصر في التفاسير القرآنية اسمه قطفير و قيل اسمه أطفير بن روحيب و كان على خزائن مصر ، و كان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق (3)..و يذكر الكتاب المقدس أن الذي اشتراه في مصر هو فوطيفار Putiphare .

" و أما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط " .(4)

" **وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ".**يوسف الآية 24**

تذكر التفاسير أن امرأة العزيز راودت يوسف مرات عديدة ، و في إحداها جرى بينهما

.....

1 – الكتاب المقدس ص 62

2 – نفسه ص 62

3 –الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 247

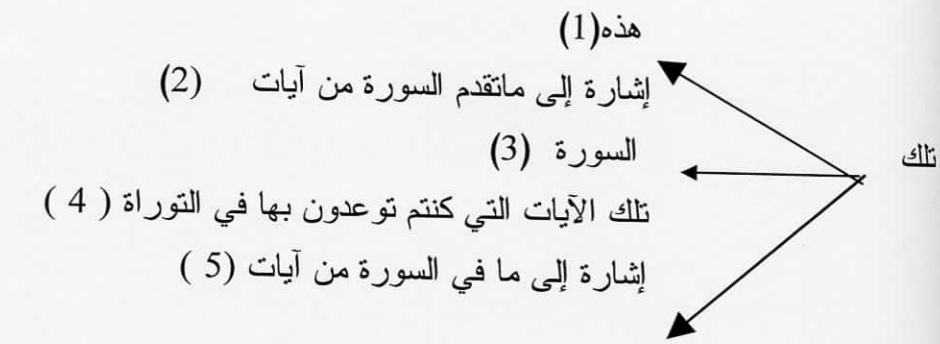
4 –الكتاب المقدس ص 63

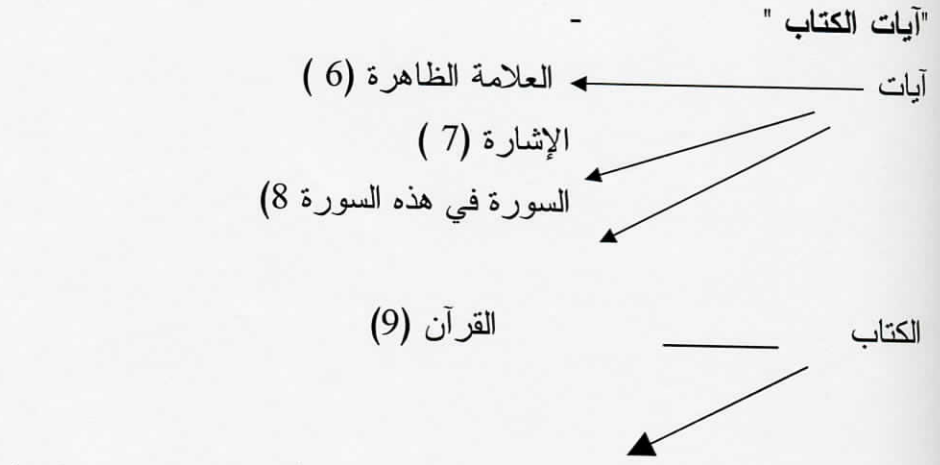
هذا الحوار : " قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك .قال : هو أول ما ينتثر من جسدي . قالت يا يوسف ما أحسن وجهك . قال : هو للتراب يأكله .
فلم تزل حتى أطعمته فهمت به و هم بها فدخلا البيت ، و غلقت الأبواب و ذهب ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول : يا يوسف تواقعها فإنما مثلك ما ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ، و مثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، و مثلك ما لم تواقعها مثل الثورالصعب الذي يعمل عليه ، و مثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرينه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله و ذهب ليخرج يشتد فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه و سقط و طرحه يوسف و اشتد نحو الباب .(1)

أما الكتاب المقدس فيعرض مشهد المراودة باختصار شديد : " دعته امرأة فوطيفار ليضاجعها فرفض أن يخون سيده ، و ذات يوم لم يكن أحدا من الخدم في البيت فدعته فهرب .فأمسكت ثوبه فخلعته . و ادعت أمام سيدها أنه راودها . فأدخله السجن .(2)
و إذا أردنا الإلمام بدلالات النص القرآني على أساس أنه قد يختلف أو يتشابه مع المصادر الدينية السابقة له ، فإن الأمر يوجب علينا عرض مجموع الأراء الواردة في تفسير كل آية على حدة عند المفسرين القدامى و المحدثين ، و بخاصة ما ارتبط بالنص و لم يخرج عنه .
يقول سبحانه :
"تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ " (3)

.....

1 – الطبري : المصدر السابق ج 12 ص 108 –السيوطي : المصدر السابق ج 4 ص 5
2 – الكتاب المقدس ص 65
3 –يوسف الآية 1





.....

1 – ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 5

2 –الرازي الفخر : المصدر السابق م . س ج17 ص 83

3 – الزمخشري : المصدر السابق م .س ج 2 ص 240

4 – القرطبي : المصدر السابق م .س ص 79

5 –الرازي : المصدر السابق ص 83

6 –الأصفهاني الراغب :معجم مفردات ألفاظ القرآن ص 40

7 –نفسه ص 40

8 – الزمخشري : المصدر السابق 240

9– الرازي : المصدر السابق نفسه ص 83

10 –نفسه ص 83



تظهر لنا التفاسير القرآنية المتنوعة اختلاف المفسرين في شرح دلالات النص القرآني، الناتج عن صعوبة عملية تفسير النصوص و بخاصة النصوص المقدسة ، و ذلك لأهميتها ،و نظرا كذلك لطبيعة تفسير و شرح النصوص ، فإن المفسر يبذل قصارى جهوده لاستنطاق النص ، و تحديد احتمالاته الدلالية ، فيضطر لذلك إلى الإشارة إلى كل المعاني الواردة فيه ، ممهدا بذلك السبيل أمام المترجم الذي يختار إحدى الدلالات دون غيرها ، انطلاقا من عملية شرح و تفسير ثانية تؤدي به إلى تحديد دلالة معينة ، تنسب إليه في الأخير وليس إلى المفسر .

و باختيار سورة يوسف نموذجا ،فقد تبين أن التفاسير القرآنية تورد لنا معان مختلفة لكل من " تلك –الكتاب –المبين "، و قد انعكس ذلك على شروح المترجمين لنفس

.....

1 –القرطبي : المصدر السابق الجامع لأحكام القرآن ص 79

2 – بن عاشور الطاهر : المصدر السابق التحرير و التنوير ج 12 ص 215

3 –الصابوني : المصدر السابق صفوة التفاسير ج 2 ص 302

4–الرازي الفخر : المصدر السابق التفسير الكبير ج17 ص 83

5 –نفس المصدر ص 83

6 –نفسه ص 83

7– السيوطي جلال الدين : المصدر السابق تفسير الجلالين1 ص 302

النص حيث نجد جاك بيرك يختار signes (علامات) مكافئا للفظ الآية و مرادفا للفظ الإشارة المذكور في الآية الأولى ، وهي نفس الترجمة الواردة عند سافاري و كازمرسكي وأدوار مونتي ، بينما نجد كل من أكتاف بسل و دونيز ماسون يوردان versets (آيات).

و يصف جاك بيرك الكتاب بأنه مبين livre explicite ، وهي إحدى الدلالات الواردة عند الطاهر بن عاشور ،بينما نجده كتاب الوضوح livre de l'évidence عند سافاري و هو كتاب واضح عند كازمرسكي طبقا للتفسير القائل بأن المبين هو الواضح (الصابوني) وهو كتاب حكيم livre sage عند مونتي, بينما تؤكد دونيز ماسون على إبانته بقولها livre clair و هو تحديد دلالي وارد في أحد التفاسير .(طاهر بن عاشور)

و إذا عرضنا مجموعة الترجمات باللغة الفرنسية لسورة يوسف ، نجد معظمها ينهل من التفاسير القرآنية المختلفة .

-Savary :Tels sont les signes du livre de l'évidence (1)

-Kazimirski : Ce sont les signes du livre évident (2)

-Pesle : Voilà (هذه) les versets (آيات) du livre de l'évidence (الواضح) (3)

-Montet : Ce sont (هذه) les signes (إشارات)du livre sage (حكيم) (4)

-Masson : Voici les versets du livre clair.البين (5)

Mazigh : Voici les versets du livre explicite (6)المبين

–Berque : Ce sont là des signes du livre explicite .(7) .المبين

إن هذه الترجمات تسعى في مجملها إلى نقل المعاني القرآنية من وجهة نظر المترجم ، المتكأة على التفاسير المتداولة للنص القرآني ، و هذا ما أنتج تباينا في تحديد المكافئ

.....

1— Savary :Le Coran , édition Garnier Frères ,Paris , P 271

2-Kazimirski Le Coran Garnier Flammarion ,Paris,1970,p 187

3-Pesle-Tidjani : Le Coran , G.P.Maisonneuve&Larose ,Paris ,P 143

4-Montet : : Le Coran ,Petite Bibliothèque Payot ,Paris ,1958 ,P299

5-Masson :Essai D'interpretation Du Coran , Dar Al kitab al masri , le Caire p 303.

6-Mazigh : Le Coran ,Maison Tunisienne de L'édition , Tunisie P439

7-Berque :Op.cit, p 244 .

الدلالي لكل من الآيات أو الكتاب المبين .

و لكن لا يؤدي هذا التباين في إيراد الدلالات إلى رفض الترجمات ، و الحكم عليها بخيانة معاني النص الأصل ، مادام الإجماع قائما عند الباحثين المسلمين على إجازة الترجمة التفسيرية في نقل النص القرآني إلى مختلف لغات العالم ، إذ يشترط في هذا النوع من الترجمة عدم التقيد بالترتيب الأصلي للنص الأصل ، و كذا الاعتماد على تفاسير قرآنية تساعد المترجم في تحديد معاني الآيات القرآنية(1) .

و لكي نتمكن من الحكم الموضوعي على الترجمات المختلفة ، سنتتبع الآيات القرآنية في نموذج سورة يوسف مع ربطها بشروحها و تفسيراتها ، ثم نقابلها بالنصوص المترجمة ، و هذا بغرض بيان مدى ارتباط الترجمة التفسيرية بالنص الأصل أو انفصامها عنه .

" **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** " (يوسف الآية 2) -

-

إنا أنزلناه ← أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه سورة يوسف (2)

سمي بعض القرآن قرآنا لأنه إسم جنس يقع على كله ما يقع على بعضه (3)

قرآنا ← هذه السورة (4)

هذا الجزء من القرآن (5)

.....

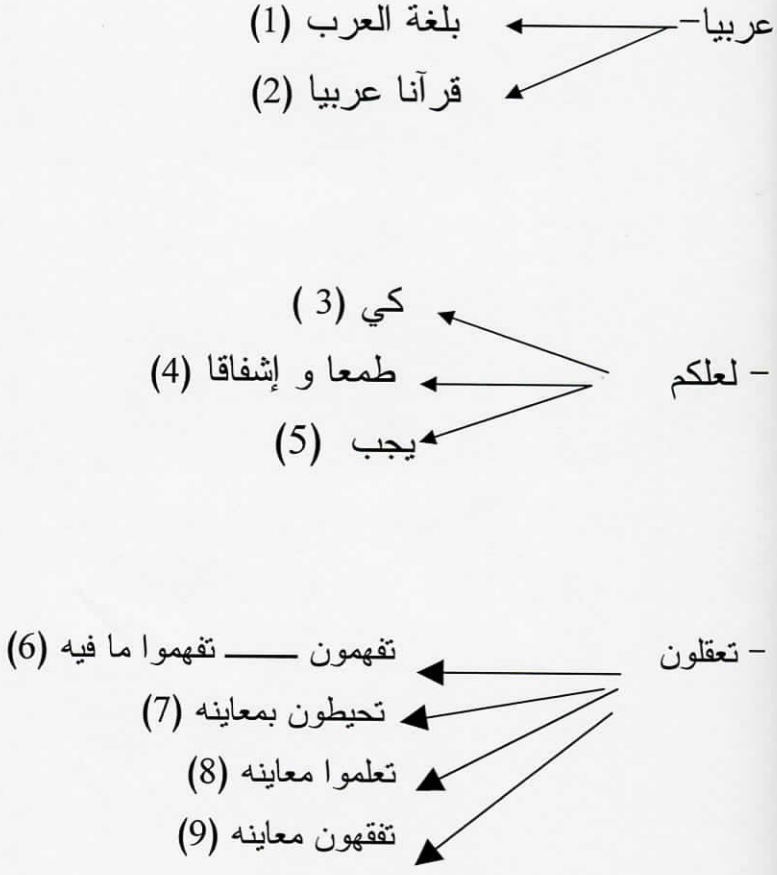
1 – الذهبي محمد حسين : المصدر السابق التفسير و المفسرون ج 1 ص 27

2 –الزمخشري : المصدر السابق، ج 2 ص 240

3 – نفسه ص 240

4–الرازي الفخر : المصدر السابق ج 17 ص 84

5 –نفس المصدر ص 84



.....

1 –الصابوني محمد علي : المصدر السابق صفوة التفاسير ج 2 ص 40

2– القرطبي : المصدر السابق التفسير ص 79

3–الأصفهاني : المصدر السابق معجم مفردات ألفاظ القرآن ص 505

4 –نفس المصدر ص 505

5 –نفسه ص 505

6 –القاسمي جمال الدين: المصدر السابق ج 9 ص 187

7 –الزمخشري : المصدر السابق ص 240

8 –القرطبي : المصدر السابق ص 79

9 –السيوطي جلال الدين : تفسير الجلالين ج 1 ص 302

حين نعود إلى الترجمات نجد اختلاف الفهم عند المترجمين ، مما ينتج اختلافا في الدلالات ، فمثلا عند جاك بيرك نجد:

Nous l'avons fait descendre (نحن أنزلناه) en forme de Coran arabe (بشكل قرآن عربي)، escomptant que vous raisonniez (آملين أن تعقلوا).

و تغدو على هذا الترجمة ، محاولة لفهم النص القرآني من طرف المترجم جاك بيرك ،و هذا ما دفع به إلى الإسهاب في الشرح مما ينأى به عن نصية النص الأصل، و يتضح ذلك من خلال الألفاظ – بشكل- en forme آملين– escomptant و هذا الإسهاب وقع فيه جاك بيرك ، و مثله الكثير من المترجمين قبله .

1)-Savary-Kazimirski : Nous l'avons fait descendre du ciel (أنزلناه من السماء) en langue arabe (بلغة عربية) afin que vous compreniez(كي تفهمون)

2)-Pesle:Nous l'avons envoyé du ciel(إنا أرسلناه من السماء) en langue arabe (بلغة عربية) Peut-être deviendrez-vous meilleurs (ربما تصبحون أفضل)

3)-Montet:Nous l'avons révélé (إنا أوحيناه) en langue arabe (بلغة عربية) afin que vous le compreniez(كي تفهموه) .

4)Masson -:Nous les avons fait descendre sur toi En un coran arabe (إنا أنزلناه عليك ، قرآنا عربيا)

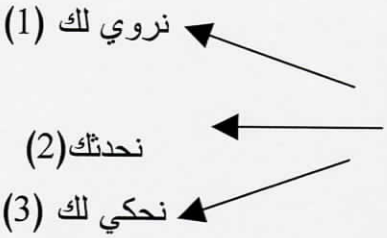
Peut-être comprendrez – vous (ربمـــــا تفهمـــــون).

وهي كلها ترجمات معنوية , يسعي فيها المترجم إلى نقل المعـــاني بطريقـــة تفســـيرية تقريبية ، لا يراعي فيها دقة النقل ، و لا مراعاة لأحوال اللفظـــة القرآنيـــة ، فنـــزول القرآن يعني عند سافاري و أكتـــاف بســـل النـــزول مـــن الســـماء- ciel - ،و هـــو موحىrévélé عند مونتي ومنزل من السماءdescendre du ciel على الرسول عليه الصلاة و السلامsur toi عند ماسون fait descendre .

و هذه الدلالات هي نتاج لفهم المترجم ،بيد أن إقحامها في النص على أساس وجودها فيه ،إضلال للقارئ غيرالعربي أو الذي لا يحسن اللغة العربية ، وبالتالي لا يمكنه الرجوع إلى النص الأصلي ،أما من ناحية الترجمة التفسيرية فإن هذه الإضافات جائزة على أساس أن النص المترجم غير مرتبط أصلا بالنص الأصلي ، و لكننا من وجهة نظر الترجمة لا يمكننا قبول الترجمات السابقة لأنها تغير معاني النص الأصل .

أما قوله تعالى " قرآنا عربيا " فتعني عند المفسرين و المترجمين ، أن لغته عربية en langue arabe (سافاري و مونتي) و هو أيضا قرآن عربي En un coran arabe (عند ماسون) ، و كلاهما مقبول عند المفسرين ، أما النص القرآني فيحدد أنه قرآن عربي أي En un coran arabe.

« **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** " (يوسف الآية 4)

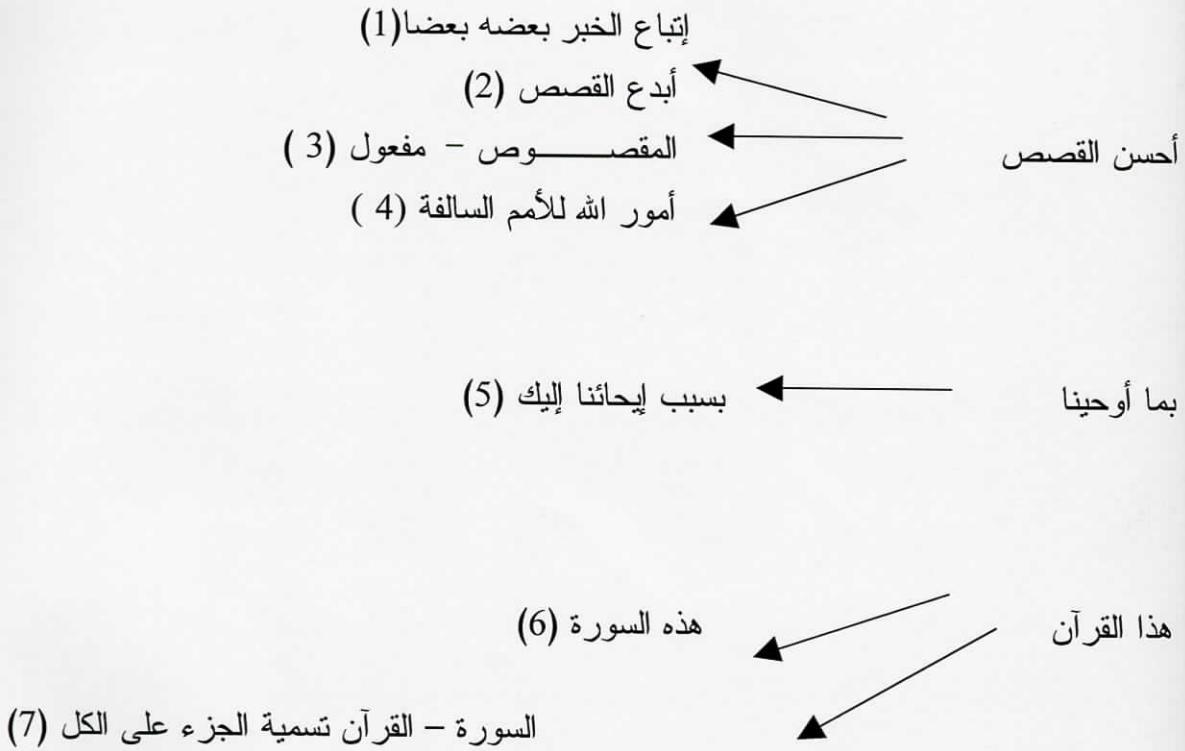


.....

1 – الصابوني : المصدر السابق ج 1 ص 42

2 – نفسه ج 1 ص 42

3–وجدي محمد فريد : المصدر السابق ج 1 ص 203



.....

1 –الرازي : المصدر السابق ، ج 17 ص 75

2– القاسمي جمال الدين : المصدر السابق ج 9 ص 187

3–الزمخشري : المصدر السابق ج 1 ص 240

4 –الهواري هود :تفسير كتاب الله العزيز ،دار الغرب الإسلامي ، ط 1 –1990 ، ج 2 ص 256

5 –ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 6

6 –الرازي : ا المصدرنفسه ج 17 ص 84

7 – نفسه ص 84



إن ترجمة جاك بيرك الحديثة تحدد أن الله يقص أجمل قصة narration la plus belle عوض أحسن قصص ، و أن الرسول كان من اللامبالين des indifférents عوض من الغافلين ، و لا نعثر على هذا الشرح عند المفسرين .في حين يحاول جاك بيرك في ترجمة هذه الآية التي تحمل ألفاظا ذات مفاهيم قرآنية دقيقة ،أن يهتدي إلى المعاني الحقيقية ، لذلك نجده يترجم نقص ب narrons وأوحينا révélant .

Nous te narrons -(نحن نقص عليك)la narration la plus belle(أجمل قصة)

en te révélant- coran(بوحينا لك هذا القرآن) bien que naguèreرغم أنك من قبل tu aies été des indifférents (8)كنت من اللامبالين .

وكذلك نجد القصة عجيبة عند سافاري و جميلة عند كازمرسكي و مونتي و بسل و

.....

1– الرازي : المصدر السابق ص 84

2 – هود الهواري : المصدر السابق، ج 2 ص 256

3 – الرازي : المصدر السابق ص 84

4 – نفسه ص 84

5 –الصابوني : المصدر السابق ج 2 ص 42

6 –الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 240

7 –نفسه ص 240

8-Berque : Op.cit p 244

أجمل القصص عند ماسون .

1)-Savary:Nous allons te réciter(نسرد عليك) .

l'histoire (حكاية) admirable(عجيبة)

Puisque nous t'avons revélé le Coranبما أننا أوحينا إليك القرآن)

avant sa venue tu l'aurais ignorée(1) قبل مجيئه كنت تجهله

(3)-Kazimirski -Montet: Nous allons te raconter لك سنحكي La plus belle des histoires révélées (أجمل الحكايات الموحات)

et dont Tu ne t'est jamais douté (2)

(التي لم تشك فيها أبدا)

3)-Pesle:Nous allons te narrer (سنسرد عليك) Une des plus belle histoires que contient le Coran (إحدى أجمل الحكايات الموجودة في القرآن)

et que tu ne connaissais pas jusqu'alors(لم يكن لك بها علم من قبل) (3)

4)-Masson:Nous allons grâce a ce coran te communiquer (سنخبرك بفضل هذا القرآن)

les plus beaux récits (أجمل القصص)

Bien que tu étais auparavant au nombre des indifférents (مع أنك كنت قبلا من اللامبالين) (4)

بالرغم من دقة الآية في التعبير عن ميزة قصة النبي يوسف ونقلها وحيا إلى المتلقي

.....

1 -Savary : Op.cit p 143

2- Montet : Op.cit: P 2103

3- Pesle-Tidjani : Op.cit p 299

4- Masson : Op.cit p303

محمد الذي لم يكن له علم بها, إلا أن الترجمات تباينت من حيث إيجاد المكافىء المعجمي المناسب لكل من" أحسن" فهي أجمل عند أغلبية المترجمين عدا جاك بيرك، أما القصص(فهي حكايات) عند أغلب المترجمين ، والغافلين (تتحول إلى لا مبالين) مما يجعل الترجمة تفقد دقتها بالرغم من إشارة المفسرين إلى معاني الآية.

و هكذا نلاحظ أن ترجمة النص القرآني ترتكز على التفاسير القرآنية في مجملها ، مع جهل المترجمين بقواعد الترجمة التفسيرية المتعلقة بالنص القرآني ، ما عدا دونيز ماسون التي تذهب إلى اعتبار ترجمتها محاولة لترجمة معاني النص القرآني ، و كذلك جاك بيرك الذي يؤكد على اعتماده على مجموعة تفاسير قرآنية ، و رغم ما تمنحه الترجمة التفسيرية للمترجم من حرية في تعامله مع النص الأصل ، فإن تقييم الترجمة يفرض علينا تتبع الترجمات و محاولة المقارنة بينها و بين النص الأصل ، نظرا لحضوره لدى القارئ العربي الذي يحسن اللغتين العربية و الفرنسية ، و حضور النص يعني تعاليه على التفاسير من جهة و على الترجمات من جهة أخرى ،مما يستوجب البحث عن دلالات النص بالرجوع إليه دائما .

و ما دامت البنى صغرى لا تنفصل عن البنية الكبرى للنص ، فإن الآيات لا تنفصل عن السورة في قصة يوسف ، و بهذا يغدو الولوج إلى موضوع السورة أهم خطوة عند المترجم ، لفهم النص و بالتالي تحويل جزئياته إلى لغة جديدة تختلف نسبيا أو كليا عن لغة النص الأصل .

3 –العرض القصصي : ويضم الآيات 4 –101 ،و هي عبارة عن مشاهد قصصية ، ترتبط ارتباطا سببيا بينها ،و لعل الحدثين الرئيسيين في القصة هما الحلم الذي رآه يوسف عليه السلام في البداية ، ثم حلم فرعون بعد ذلك .

يقول الله تعالى :

"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيْهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ القَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ". (1)

و قال أيضا :

" وَ قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " (2)

بالفعل إن الحلم الأول كان سببا في رمي يوسف في البئر ، ثم نقله إلى مصر و أخذه خادما عند عزيز مصر ، أما الحلم الثاني فكان سببا في خروج يوسف من السجن ، و توليه حكم مصر .

إن استهلال القصة بالرؤيا في سورة يوسف تبرزخصوصية هذه القصة القرآنية , فهي قصة المنامات والرؤى, إذ تعرض فيها أربعة , واحد ليوسف واثنان لرجلي فرعون ، و واحد لفرعون نفسه ،غير أن النص التوراتي و هو سابق للنص القرآني يذكر ستة منامات وأحلام, حلمان ليوسف وحلمان لساقيي فرعون وحلمان لفرعون نفسه ، وتختم القصة بتحقق رؤيا يوسف, حين سجد له إخوته ووالداه. (3).

و بهذا يغدو المنام حدثا محوريا يربط الحاضر بالمستقبل ،و هكذا كانت للأحلام و المنامات أهمية عظيمة عند الشعوب القديمة وبخاصة البابليين, كونها تعتبر مدخلا إلى العالم السماوي, وبها تقوم عملية التواصل بين البشر والآلهة, فقد كان الحيثيون يعرفون بها إرادة الإله في مستقبل البشر ،و اعتبرها بنو إسرائيل رسائل يوجهها الله إلى أنبيائه تنبؤهم بالأمور الغيبية ، و يذكر النص التوراتي أن إبراهيم عليه السلام رأى رؤيا يبشره الله فيها بأرض يسكنها و نسل كثير يرثه .(4)

.....

1 –يوسف الآية 4

2 –يوسف الآية43

3 – شادية حافظ : المصدر السابق ص 6

4 –نفسه ص 6

"بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا .لا تخف يا أبرام .أنا ترس لك .أجرك كثير جدا " .التكوين الإصحاح 15(1)

و الرؤيا مرتبطة في القرآن الكريم بالحكمة و العلم الذي وهبه الله ليوسف لتأويل الرؤيا وتفسيرها ، و بالتالي تفسير الأحداث المستقبلية ، بإرادة الله و مشيئته .

" **قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**" .(2)

و إذا رجعنا إلى النص التوراتي ، وجدنا ميلا صريحا لذكر التفاصيل الدقيقة من حياة النبي يوسف عليه السلام ، فحين بلغ السابعة عشر من عمره رأى منامه الأول فقصه على إخوته .

" وحلم يوسف حلما و أخبر إخوته فقال لهم اسمعوا لهذا الحلم الذي حلمت فها نحن حازمون حزما في الحقل. وإذا حزمتي قامت و انتصبت فاحتاطت حزمكم و سجدت لحزمتي".(التكوين8.7) (3).

ثم حلم يوسف حلما أخر فذكره مرة أخرى لأبيه ثم لإخوته .

"ثم حلم أيضا حلما أخر و قصه على إخوته, فقال إني قد حلمت أيضا وإذا الشمس و القمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي وقصه على أبيه وإخوته" (4)

وهي نفس الرؤيا التي ذكرها الله سبحانه في القرآن الكريم على لسان يوسف .

"**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**" (5)

وفيه تحديد وصفي, من حيث تقديم أحد عشر كوكبا ثم تتبعها الشمس و القمر في

.....

1 – الكتاب المقدس ص22

2 –يوسف الآية 37

3 –الكتاب المقدس61

4 – الكتاب المقدس ص 61

5 –يوسف الآية 4

السجود ليوسف, وهذا ما سيتمكن يوسف من تأويله فيما بعد بسجود إخوته له أولا ثم سجودهم مع والديه في أخر القصة.

وبهذا تغدو الأحلام و الرؤى في قصة يوسف محطات زمنية هامة, تتحكم في سير الحدث و تدفعه لاقترانه بغيره من الأحداث, في تسلسل تصاعدي طبيعي وفق مبدأ السببية. (1) التي يمكن أن نتبينها بربط الأحداث ببعضها:

1- رؤيا يوسف تتسبب في بغض إخوته ومن ثم إلقاءه في السجن.

2- إدباره عن زوجة العزيز يتسبب في إلقاءه في السجن .

3- تفسير حلم الرجلين في السجن أدى إلى تفسير حلم فرعون مما تسبب في توليه خزائن مصر .

4- القحط و المجاعة أدت بإخوته إلى طلب المعونة منه فكان لقاؤه بهم .

5 -لقاءه بإخوته كان سببا في لقاءه بأخيه بنيامين و أبيه يعقوب.

إن استهلال القصة القرآنية برؤيا يوسف لا ينفي رؤيته لحلم أول, بيد أن تلك الأحداث التي مر بها يوسف ليست ذات أهمية سردية في محور القصة القرآنية ، حيث كان التركيز في السورة القرآنية على الأحداث التي تخدم النص القرآني في الدعوة إلى توحيد الله, مع إظهار معاناة الأنبياء في تبليغ دعواتهم إلى قومهم, وغيرهم من الشعوب التي تكفر بفكرة التوحيد, وعلى النقيض من ذلك نجد النص التوراتي المتشابه في بسط قصة يوسف يوغل في ذكر التفاصيل التاريخية الملابسة للحدث.

"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ " (2)

يستهل السرد في السورة بإذ الظرفية التي تبين للمخاطب محورية الحدث ،و أهميته

.....

1 – عشراتي سليمان : المرجع السابق ص 82

2 –يوسف الآية 4

مع السابق من الأحداث و التالي منها ، و المراد بها " أذكر لهم حين أخبر يوسف أباه و إخوته بالمنام "،و هذا ما يبرر إهمال الأحداث السابقة من النص القرآني ،فالإخبار بوقائع المنام له علاقة بالآتي من الأحداث في قصة يوسف .

و تستحوذ رؤيا يوسف على اهتمام المفسرين ، فيبسطون دقائق وقائعها للقارئ ، بل يوغلون في ذكر التفاصيل ، فيستشهدون بأحاديث منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه و سلم تفصح عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف في منامه .

روى جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ؟

فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك ،فقال النبي صلى الله عليه و سلم لليهودي : إن اخبرتك هل تسلم ؟ قال : نعم ، قال : جريان و الطارق و الذيال و قابس ، و عمودان و الفيلق و المصبح و الضروح ، و الفرغ ووثاب و ذو الكتفين ، رآها يوسف و الشمس و القمر نزلن من السماء و سجدن له ، فقال اليهودي : إي و الله إنها لأسماؤها " .(1)

و رغم وضوح النص القرآني ، و عدم إشارته إلى أسماء الكواكب ، فإن كتب التفسير تلجأ إلى الآثار المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لتحقيق الحدث ، مع أن النص القرآني صريح في إثبات أن يوسف رأى الكواكب بصورها لا بأسمائها .(2)

إن الاستدلال بالحديث النبوي الشريف ، وسيلة يتخذها المفسرون لإثبات حقيقة الحدث و تاريخيته ، و لكن النص القرآني يفرض على المترجم التعامل مع حرفية النص ، و الابتعاد قدر الامكان عن التفسير الخارجي له ، و لذلك تخلو الترجمات من التفاصيل التاريخية التي تخل بالنص ،و مع أن الحديث و النص يشيران إلى رؤية يوسف أحد عشرة كوكبا إلا أن جاك بيرك يجعلها نجوما على غرار من سبقه من المترجمين ، مع أن العرب يميزون بين الكوكب والنجم ، فالكواكب هي نجوم بادية ، و لا يقال

.....

1 –الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 242–الطبري بن جرير :المصدر السابق ج 12 ص 90

2 –أبو شهبة محمد : المرجع السابق ص 219

للنجوم كواكب إلا إذا بدت .(1)

و يقابل اللفظين في اللغة الفرنسية Etoiles(نجوم) Astres (كواكب) ،و النجم في المعاجم الفرنسية هو كل كوكب باد . étoile : tout astre visible(2)

إن التداخل الدلالي بين اللفظين ، أدى بالمفسرين إلى عدم التمييز بين المعنيين (3) و كذلك نجد نفس الحال عند المترجمين ،و مع أن المعجم العربي يحدد لكل لفظ معناه الدقيق ،إلا أن المترجمين لعدم إلمامهم بقواعد اللغة و دلالاتها ، فإنهم ينطلقون من دلالات اللغة الهدف حيث الكوكب البادي هو نجم ، و في اللغة الأصل الكوكب هو كل نجم باد ، و في خفوته يسمى النجم نجما .

Berque : Lors Joseph Dit à son père :حين قال يوسف لأبيه Mon père ,moi j'ai vu onze étoiles et le soleil et la lune,-

يا أبي إني رأيت أحد عشر نجما و الشمس و القمر .

je les ai vus devant moi se prosternant

رأيتهم ساجدين أمامي .

و كذلك نجد في الترجمات الأخرى :

Savary-Kazimirski :: Joseph dit a son pére(يوسف قال لأبيه)Jai vu onze étoiles, le soleil et la lune(رأيت أحد عشر نجما و الشمس و القمر) qui m'adoraient(يعبدونني)

montet: un jour joseph dit a son père قال يوسف يوما لأبيه
J'ai vu onze étoiles ; le soleil et la lune

رأيت أحدعشر نجما و الشمس و القمر

qui se prosternaient devant moi (يسجدون أمامي)

.....

1 –الأصفهاني الراغب : المصدر السابق ص 219

2-Le Robert ,Op.cit p 424

3- ابن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 12 ص 207

(قال يوسف يوما لأبيه Pesle : joseph dit un jour a son père "O mon père ,
j'ai vu
en rêve onze étoiles le soleil et la lune se prosterner à mes pieds
يا أبتي رأيت في الحلم أحد عشر نجما والشمس والقمر يسجدون عند قدمي .

4/Masson :- quand joseph dit a son père حين قال يوسف لأبيه

j'ai vu onze étoiles et aussi le soleil et la lune إني رأيت أحد عشر نجما وكذلك الشمس و القمر.

je les ai vus prosternés devant moi رأيتهم ساجدين أمامي

رغم وضوح الآية القرآنية إلا أننا نعثر على فروق في الترجمات ، حيث تترجم ساجدين مع التضخيم بساجدين عند أقدامي أو ساجدين أمامي أو عابدين ، و ساجدين (جاك بيرك) ففي هذه الحالات يلجأ المترجم إلى التضخيم ليوضح كيفية السجود و هيئته ، مع أن النص القرآني دقيق من حيث استعمال كلمة ساجدين ، إلا أن الترجمة التفسيرية تبيح ذلك التوضيح ، و لكن من الجانب الدلالي يمكن أن نلفت الانتباه أن المترجمين يخطأون في نقل المعاني بالرغم من اطلاعهم على التفاسير المختلفة و المعاجم المتنوعة التي تتتبع أصول معاني الألفاظ القرآنية العربية .

-"**قَالَ يَا بُنَيِّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**". (الآية1)

لا تقصص رؤياك ← الرؤيا الحلمية (1)
لا تقصص رؤياك ← مصدر رأى في المنام (2)
لا تقصص رؤياك ← المنام(3)

.....

1. –الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 243

2 – نفسه ص 84

3 –ابن كثير : المصدر السابق ج4 ص 10



بالرغم من اطلاع جاك بيرك على الترجمات السابقة له , فإنه لا يحاول تصحيح ما أخطأ فيه المترجمون قبله, بل يكرر نفس الصيغ الجاهزة .

Berque : Jacob dit : " mon petit, garde toi de narrer Ta vision a tes frères

قال يعقوب :يا ولدي احذر أن تقص رؤياك لإخوتك

Qu'il ne machinent Contre toi machination– لئلا يكيدون لك مكيدة

Satan est de l'homme إنالشيطان للإنسان Ennemi déclaré عدو ظاهر

بينما نجد في الترجمات الأخرى ، اختلافا في تحديد معنى المكيدة ،حيث يورد سافاري فخا و مونتي يقول شركا وبسل مكيدة ، أما ماسون فتقول حيلة .

Savary:O mon fils Répondit jacob رد يعقوب (يا بني)

Ne raconte pas cette vision à tes frères

لا تحكي هذه الرؤيا لإخوتك

De peur qu'il ne te dressent des embuches

خوفا من أن ينصبوا لك أفخاخا .

Kazimirski :O mon enfant ! (يا إبني) lui répondit jacob ; garde – toi bien de raconter ton songe à tes frèresإحذر جيدا أن تقص منامك لإخوتك de peur qu'ils n'imaginent contre toi quelque artifice مخافة أن يمكروا بك ;

.....

1 –ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 10

2 –القرطبي : المصدر السابق ص 82

3 –الطبري بن جرير : المصدر السابق ج 12 ص 93

car satan est l'énnemi déclaré de l'homme . لأن الشيطان كان للإنسان عدوا ظاهرا

Montet:(le père)Répondit (الأب رد): O mon fils يا بنيNe raconte pas ta vision (لا تحكي رؤياك) a tes frèresلإخوتك de peur qu'ils

ne se mettent a te tendre des piègesمخافة أن ينصبوا لك شركا

Pesle:O mon fils(يا بني) lui répondit son père : (رد عليه أبوه)

ne divulgue pasلا تبح ce rêve بحلمك a tes frères :(لإخوتك)

De peur qu'ils ne trament quelque machination contre toi

خوفا أن يدبروا أي مكيدة ضدك

Car satan est pour l'homme un ennemi dèclaré

لأن الشيطان كان للإنسان عدوا ظاهرا

Masson: Il dit قال O mon filsيا بني

Ne raconte pas ta vision a tes frèresلا تحكي رؤياك لإخوتك

Car ils trameraient alors des ruses contre toi لأنهم سيدبرون حيلة ضدك

Le démon est l'ennemi déclaré de l'homme الشيطان كان للإنسان العدو الظاهر

من خلال عملية تحويل النص المترجم إلى اللغة المصدر ، يتضح لنا أن الترجمة التفسيرية تتحول إلى نص جديد قد يختلف مع النص الأصل في الدلالة ، نظرا لاختلاف اللغتين مما يؤثر في طبيعة الترجمة و نوعها .

"وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ". (1)

.....

1 – يوسف6



.....

1-الرازي : المصدر السابق 18 ص 90 .

2 -القرطبي : المصدر السابق ،ص 86 .

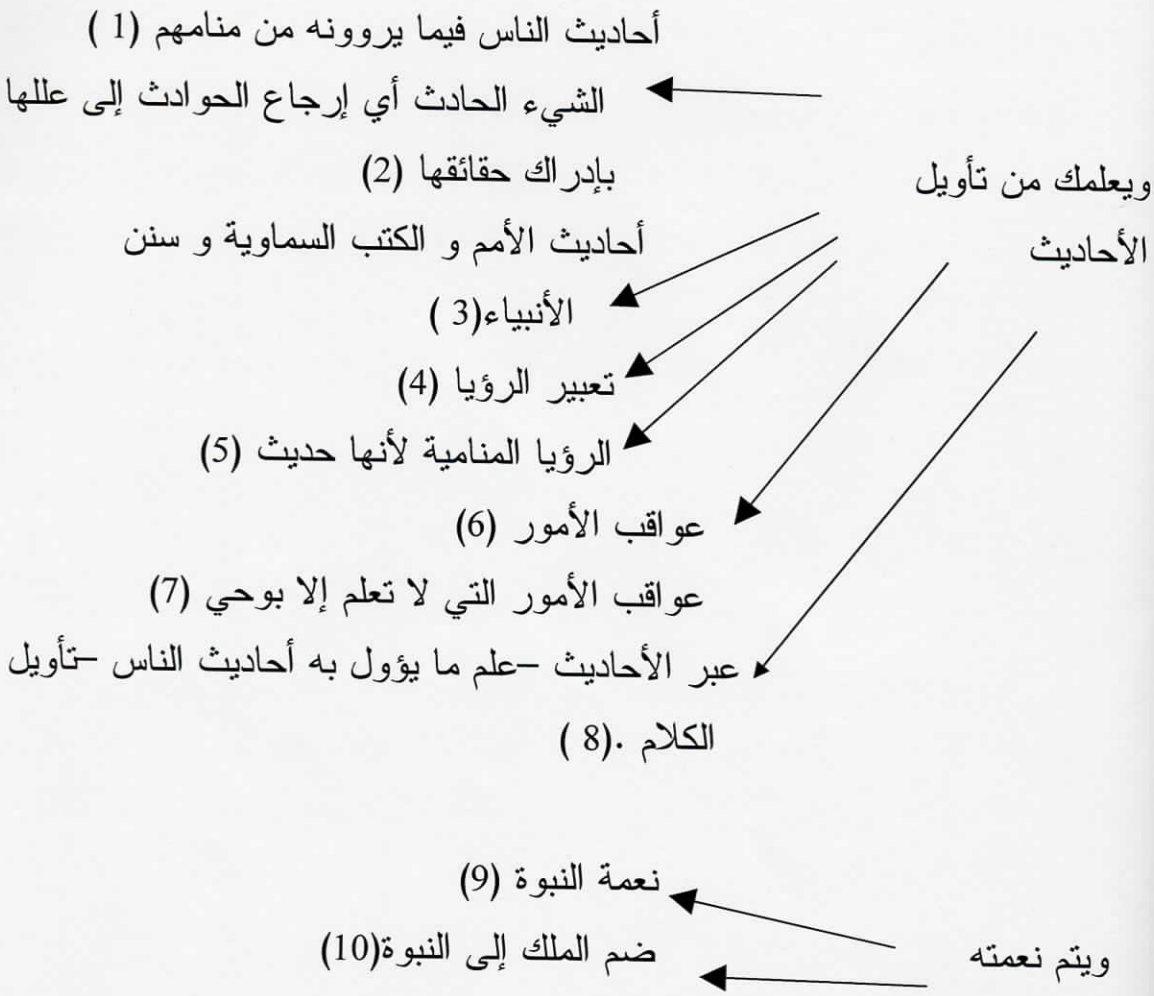
3 -الثعالبي : ا المصدر السابق ص 208 .

4 -وجدي محمد فريد :المصحف المفسر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ،ج 1 ص 307

5 -الفيروز آبادي : معجم مفردات ألفاظ القرآن،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1 ، 1997 ص 235 .

6 -ابن عاشور طاهر : المصدر السابق ج 13 ص 216

7 -نفسه ص 216



.....

1 – الرازي : المصدر السابق ج 18 ص90

2 – ابن عاشور طاهر : المصدر السابق ج 13 ص 216 .

3– القرطبي : المصدر السابق ،ص87

4 –وجدي محمد فريد : المصدر السابق ج 1 ص 203 .

5 –الصابوني : المصدر السابق ج 2 ص 49

6 –الثعالبي : المصدر السابق ص 208

7 – هود الهواري : المصدر السابق ص 257

8 –الطبري بن جرير : المصدر السابق ج 12 ص 92

9–ابن عاشور : المرجع السابق ج 13 ص 216

10 – نفسه ص 216

نلاحظ في التفاسير تركيزا على شرح ألفاظ مثل الأحاديث و النعمة ،و همـــا يشـــكلان تباينا واضحا عند المترجمين من حيث تحديد معانيهما ، و منهم جاك بيرك:

En tout cas (بكل حال) ton Seigneur t'élit de la sorte (يصطفيك ربك)
En vue de t'enseigner l'interprétation des occurrences
ليعلمك تأويل الأحاديث.

Il parachèvra sur toi son Bienfait (سيتم نعمته عليك)

Et sur la lignée Jacob (وعلى ذرية يعقوب)
Comme il a fait sur tes aïeux Abraham et Isaac
(كما أتمها على آباءك إبراهيم و يعقوب)

Ton Seigneur est Connaissant et Sage (إن ربك عليم حكيم)

Savary-Kazimirski:Tu sera l'élu de Dieu (ستكون المصطفى من الإله)
Il te donnera l'interprétation des choses futures
l'interprétation des événements (سيهبك تأويل الأمور المستقبلية)
(تأويل الأحداث عند كازمرسكي)

Il accomplira ses grâces sur toi(سيتم نعمه عليك)et Sur la famille de Jacob
و على آل يعقوب .
Comme il les a accomplies sur Abraham et Isaac
(كما أتمها على إبراهيم و إسحاق)

Parce qu'il est Savant et Sage (لأنه عالم و حكيم)

Montet:C'est ainsi que (كما أن)ton maître (Allah) (مولاك الله)Fera de toi
son élu (يجعل منك المصطفى)Et t'enseignera l'interprétation des tradition
(ويعلمك تأويل السنن)

Il accomplira sa grâce sur toi et sur ta famille(ويتم نعمته عليك وعلى ذويك)
comme il l'a parfaite(كما أتمها)autrefois(من قبل)dans la personne de tes

ancétres (في شخص أجدادك)Ibrahim et Isaac(إبراهيم و إسحاق)En verité ton maître est Savant, il est Sage في الحقيقة ربك عالم و حكيم

Pesle :En t'envoyant ce rêve بإرسال هذا الحلم

ton Seigneur t'a choisi اختارك ربك

pour t'apprendre les secrets des choses ليعلمك أسرار الأشياء

Il complétera aussi les effets de sa grâce pour toi سيتم هكذا نتائج نعمته

et pour la famille de jacobعليك و على آل يعقوب

comme il l'a fait autrefois كما فعلها من قبل

pour tes ancétres Abraham et Isaac على آبائك إبراهيم و إسحاق

ton Seigneur est toute Science et toute Sagesse. إن ربك عليم و حكيم

Masson :Ton Seigneur te choisiraيختارك ربك

Il t'enseignera l'interprétation des récitsو يعلمك تأويل الأنباء

Il parachèvra sa grâce en toi و يتم نعمته عليك

et en faveur de la famille jacobو مراعاة لآل يعقوب

comme il l'a parachevée كما أتمها

en faveur de tes ancétres Abraham et Isaac و مراعاة لآبائك إبراهيم و إسحاق

ton Seigneur est celui qui sait إن ربك هو الذي يعلم

il est Sage و هو حكيم

إن الحوار الذي يتخلل السرد ، يبرز الخصوصية المقدسة للقصة ، فالله سبحانه يحاور نبيه مباشرة ،إلا أن التوجيه موجه للمستمع و القارئ ، فيتحول الخطاب القرآني إلى نص سردي جديد يكون فيه المتلقي عنصرا أساسيا لإدراك الخطاب .

" لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ " (1)

.....

1 – يوسف الآية 7

فالسؤال عن حقيقة الأحداث ،يفضي إلى جواب عن طبيعة القصة في القرآن ، إذ هي ليست من الغرابة بحيث تدعو المتلقي إلى الدهشة ، فقصة أهل الكهف الأعجب والأغرب من سورة يوسف تستهل باستنكار ونفي عنصر العجب فيها, تبعا لقدرة الله.

" أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبَا " (1)

فتغدو قصة يوسف منبعا للسؤال عن ما جرى لنبي الله يوسف مع إخوته حقيقة لا خرافة و أسطورة ,مثلما نجد في نصوص وجدت قبل النص القرآني ، وتداولتها الألسن على أنها حقيقة ، فأساس ما جرى ليوسف من أحداث كان تآمر إخوته عليه لإلقائه في الجب.

" اقْتُلُوا يوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضَا " (2)

"والآن تعالوا نقتله ونطرحه في بعض الآبار ونقول إن وحشا ضاريا افترسه " التكوين 37 (3)

وهذا تشابه واضح بين الأسفار والنص القرآني, غير أن السبب في التآمرمختلف بينهما، و يبدو أن السبب في ذلك محبة يعقوب ليوسف أكثر من إخوته .

"إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخوهُ أَحَبَّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٌ"(4)

"وكان إسرائيل يحب يوسف على جميع بنية لأنه ابن شيخوخته فصنع له قميصا موشى ورأى إخوته أن أباه يحبه على جميع إخوته فأبغضوه " التكوين 37/4-3

وفي النص القرآني يحتال الإخوة على أبيهم ليأخذوه معهم لتنفيذ خطتهم الفظيعة للتخلص من يوسف.

" قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونْ.أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونْ ".(الآية8)

.....

1 –الكهف الآية 9

2 – يوسف الآية 9

3– الكتاب المقدس ص 62

4 – يوسف الآية 8

لا نعثر في الآية القرآنية ما يشير إلى سبب ذهاب يوسف مع إخوته ،وإنما الغرض من الذهاب معهم أن يلعب ويلهو, ويتأمل الطبيعة البديعة,و يتحول يوسف في النص التوراتي إلى ابن بار بإخوته وأبيه, إذ يرسله والده للحاق بهم لمساعدتهم.

" فقال إسرائيل ليوسف هو ذا إخوتك يرعون عند شكيم هلم أبعثك إليهم. فقال: ها أنذا (13) فقال له امض افتقد سلامة إخوتك وسلامة الغنم واعتني بالخبر(14) -(1)

ويوحي يعقوب لأبنائه بالطريقة التي يتخلصون بها من يوسف ، إذ ينبههم أنه يخاف أن يأكله الذئب.

" قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ "(2)

وبعدما تخلصوا من يوسف, يرجعون إلى أبيهم عشاءا.

" قَالُوا يَا أَبَانَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ "(3)

وبالرغم من تصريح النص التوراتي بكراهية الإخوة ليوسف, نظرا لحب والدهم له, " فأبغضوه ولم يكلموه بسلام .. فحسده إخوته " (4).إلا أن تخطيط الجريمة وقع بعد لحاق يوسف بهم في أرض دوثان.

" والآن تعالوا نقتله ونطرحه في بعض الآبار ونقول إن وحشا ضاربا افترسه ونرى ما يكون من أحلام ، سمع رأوبين فخلصه من أيديهم وقال : لا نقتله وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دما اطرحوه في هذه البئر التي في البرية لا تلقوا أيديكم عليه.التكوين (22)(5)

" فلما رأوه عن بعد قبل أن يقرب منهم ائتمروا عليه ليقتلوه " (6)

.....

1 – الكتاب المقدس ص 62

2 –يوسف الآية 13

3 –يوسف الآية 17

4 – الكتاب المقدس ص 61

5 – نفسه ص 62

6 –الكتاب المقدس ص 62

كما أن موقف يعقوب من الأحداث الغيبية هو الاذعان و الثقة في الله, بما أوتي من نعمة الإيمان.و لعل هذا ما دفعه إلى نصح ابنه بألا يقص رؤياه على إخوته و هم أقرب الناس إليه .

"**قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** "(الآية5)

و لما يبلغ النبي يعقوب بمأساة ابنه ،يقابل الموقف بالشكر على النعم والصبر على المكاره ، و الثقة بالله .

"**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ, قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**" (الآية18)

بدم كذب
- مكذوب فيه(1)
- مفترى (2)
- دم ذي كذب (3)
- كذبا (4)

بل سولت لكم
- رضيت وجعلت سولا(5)
- زينت لكم (6)
- سهلت (من السول أي الاسترخاء) (7)

.....

1-ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 14

2 – نفسه ص 14

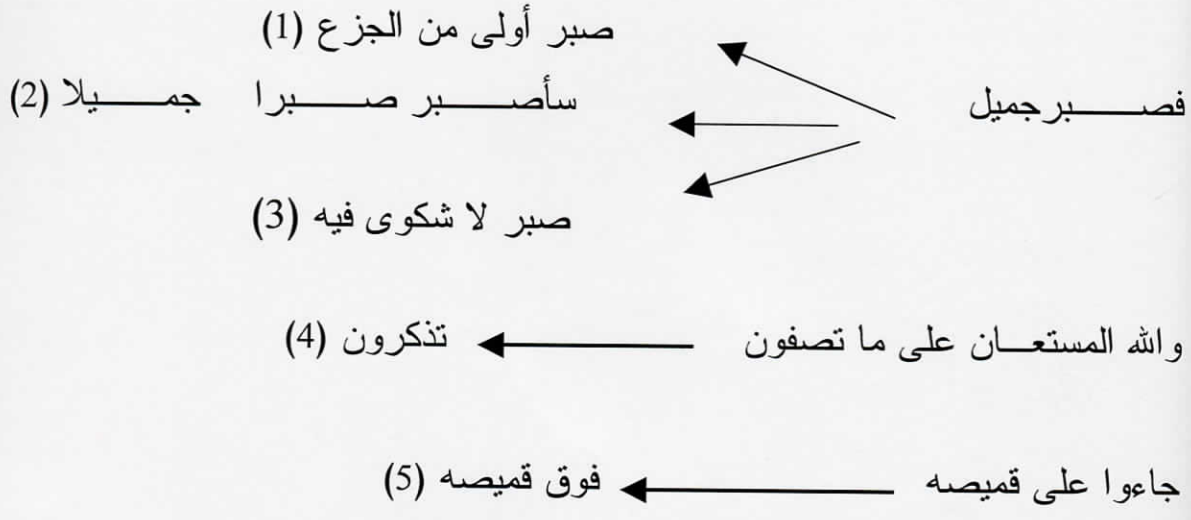
3 – الرازي : المصدر السابق ج 18 ص 102

4 — نفسه ص 102

5 – نفسه ج 18 ص 102

6 –الزمخشري: المصدر السابق ج 2 ص 246

7 –نفسه ص 246



يفرض النص القرآني على المفسر و المترجم ، الفهم الدقيق لألفاظه المجازية و الحقيقية ،قبل التفسير و التحويل ، و بهذا تستوقف عبارة " صبر جميل " القارئ ، و كذلك سولت ، و كذا جاءوا على قميصه .و هي نفس العبارات التي تختلف حولها الترجمات المتنوعة .

و لعل جـــاك بيـــــرك أحد المترجمين الذين أدركوا صعوبة ترجمة معاني العبـــارات السابقة إلى اللغة الفرنسية ، و لكنه لم يتمكن من نقلها بدقة ،بحيـــث تـــوازي العبـــارة المترجمة العبارة القرآنية ، فنجده يصف الحدث قائلا :

Berque: Il exhibèrent la chemise de joseph avec un sang de mensonge

.....

1–الرازي :المصدر السابق ص 102

2 –ابن كثير :المصدر السابقج 4 ص 15

3–المصدر نفسه ج 4 ص 15

4– ابن كثير: المصدر السابق ج 4 ص 15

5 – الرازي : المصدر نفسه ص 102

عرضوا قميص يوسف بدم مكذوب.

O.non!leur dit jacob.c'est votre âme qui vous a induit à commettre un acte

"لا.... قال لهم يعقوب إنها آرواحكم التي حرضتكم على ارتكاب الخطأ

patience est belle. Dieu vienne m'aider contre ce que vous prétextez

"... صبر جميل...الله يعينني ضد كل ما تتذرعون"

و مع هذا لم يشذ المترجم عمن سبقه ، بحيث ينقل معنى الآية ، حسب ما يؤديه فهمه لها ، دون مراعاة لدقة المعاني ، و دون تكلف لنقل صحيح لها ،فالترجمة التفسيرية تبيح للمترجم التصرف في الترجمة ،و عدم التقيد بالأصل.

و كذلك نجد ترجمة سافاري و هي من أقدم الترجمات ، و ما بعدها من ترجمات تتعامل مع ترجمة النص بحرية الفهم .

2)-O.Pesle:Ils lui présentèrent sa chemise قدموا له قميصه ملطخا كذبا بدم

faussement tachée de sang. Il répondit : (قال)Non c'est un coup monté لا.هذا

contre joseph أمر مدبر من طرفكم ضد يوسف

La résignation est ma seule ressource الخضوع هو وسيلتي الوحيدةJ'en appelle

a Dieu de votre machination أعوذ بالله من مكيدتكم

3)- -Kazimirski -Montet:Puis ils montrèrent sa tunique faussement (teinte de sang)

ثم قدموا قميصه مصبوغا كذبا بالدم .

Mais Jacob leur dit : c'est vous qui avez imaginée cette histoire . aussi la patience m'est –elle nécessaire et je dois implorer Dieu sur ce que vous racontez.

غير أن يعقوب قال : أنتم الذين تخيلتم هذه القصة .

لذلك الصبر ضروري لي ، و يجب أن أتوسل الإله حول ما تقصون .

Masson : ils apportèrent sa tunique tachée de sang trompeur

و أحضروا قميصه ملطخ بدم خادع .

leur père dit: -

" Votre imagination vous a suggéré cela.

إن خيالكم اقترح عليكم هذا

- en vous faisant croire que votre action était bonne.

ليوهمكم حسن عملكم

patience ! -

- صبرا

C'est a Dieu qu'il faut demander secours.

أدعو الإله أن يعينني

Contre ce que vous racontez."

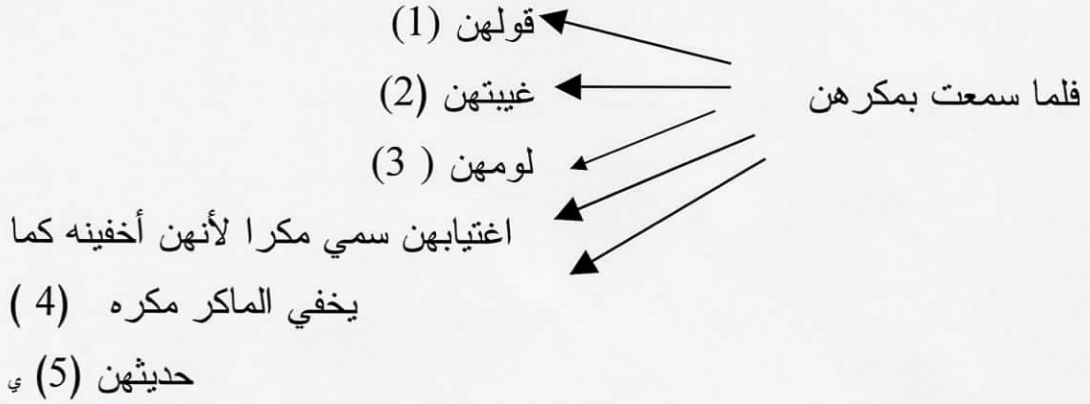
ضد ما تقصون .

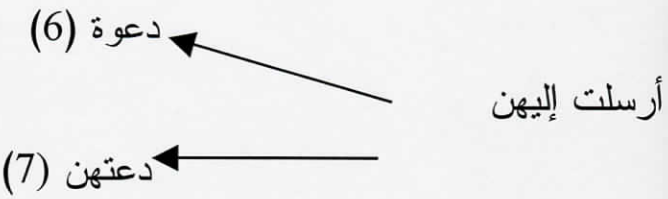
إن الترجمات التي بين أيدينا ، تفرض علينا ترجمتها مجددا ، على أنها نصوص غير مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنص الأصل ، و هذا نتيجة لنوع الترجمة المتبعة ، التي تغيب الأصل ،و تعطي فسحة للمترجم في التصرف في ترجمة النص ، و هكذا فإن النص الجديد يفرض علينا مقارنته مع النص الأصل ،حتى نتمكن من بلوغ المعنى المراد في النص المترجم .

"فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ "(1) .

.....

1 –يوسف الآية31





.....

1 –الرازي : المصدر السابق ج 18ص 126

2 –نفسه ص 126

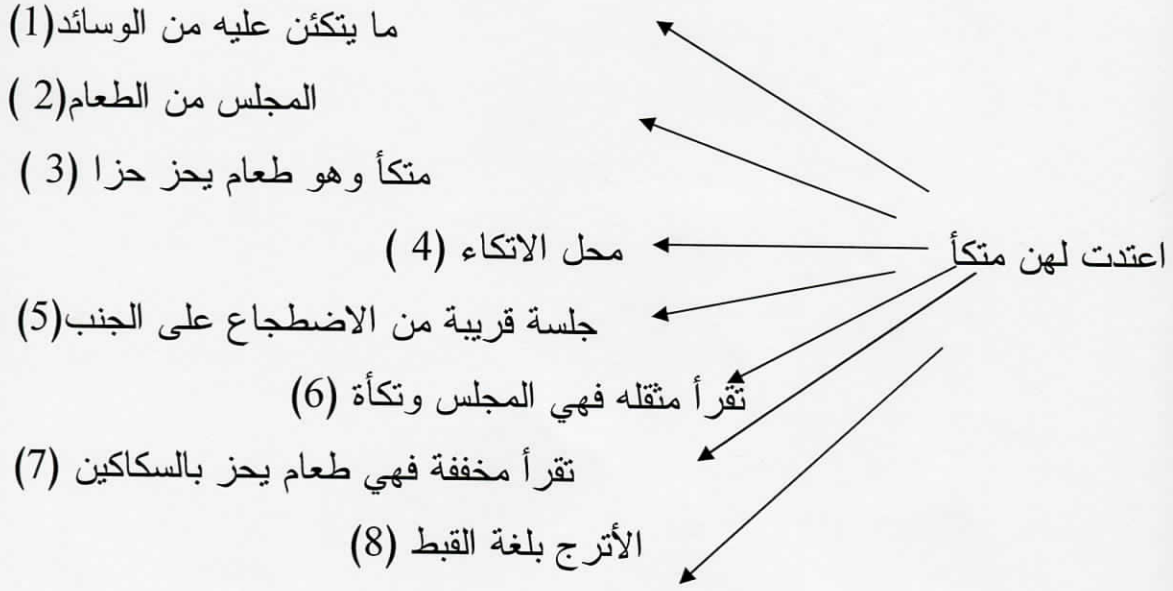
3 – نفسه ص 126

4 –وجدي محمد فريد : المصدر السابق ج 1ص 307

5 –الصابوني : المصدر السابق ج 2 ص 49

6 –الزمخشري : المصدر السابق ج 2 ص 353

7 – نفسه ج 2 ص 353



.....

1- وجدي محمد فريد : المصدر السابق ج 1 ص 307

2 – الزمخشري : المصدر السابق ف ج 2 ص 353

3 – نفسه ج 2 ص 353

4 –ابن عاشور طاهر : المصدر السابق ص 238

5– نفسه ص 238

6 –هود بن الهواري : المصدر السابق ص 265

7 – نفسه ص 265

8 –ابن كثير : المصدر السابق ج 4 ص 23

9–وجدي محمد فريد : المصدر نفسه ص 215

10 –الزمخشري :المصدر نفسه ص 353

11–الصابوني : المرجع السابق ص 49

نجد جاك بيرك في ترجمته يحول المكر إلى السخرية ، ويترجم " حاشا لله " بتبجل الإله ،و الأولى تأويل لمعنى الآية ، أما الثانية فهي توظيف لدلالة دينية مسيحية في نص ديني جديد ، لا يتكافئ مع اللفظة الأصلية .

berque : quand on lui rapporta leur moquerie ولما رووا لها سخريتهن

elle les invita . دعتهن

Leur prépara une collation a prendre accoudées

و أعدت لهن لمجة يتناولنها متكئات

remit a chacune d'elles un couteau et dit a joseph

و أعطت لكل واحدة منهن سكينا و قالت ليوسف

produit toi a leurs yeux .

إظهر أمامهن

Quand elles le virent.

حين أبصرنه

Elle le magnifierent au point de se couper les doigts . reverence a Dieu dirent

أعظمنه إلى درجة أنهن قطعن أصابعهن ، قلن تبجل الإله ،

-elles ; celui – la n'est pas un humain ce ne peut – être qu''un ange sublime.

هذا ليس بشرا, لا يمكن أن يكون إلا ملكا جليلا.

Savary :Ayant appris leurs discours l'épouse du seigneur les invita a un grand festin .

لما بلغها خطابهن دعتهن زوجة السيد إلى مأدبة كبيرة .

elle leur donna des couteaux tranchant et elle fit paraître joseph

و أعطتهن سكاكين حادة و أظهرت يوسف عليهن

charmèes de sa beauté toutes les femmes le comblèrent de louange .

و افتنانا بجماله أسبغنه بالثناء .

elles se coupaient les doigts par distraction et s'écriaient :

فقطعن اصبعهن سهوا .وصرخن :

O Dieu ce n'est pas un homme , c'est un ange adorable .

ما هذا إنسان ، إنه ملك رائع .

Kazimirski :Lorsque la femme du seigneur eut entendu ces propos لما بلغها حديثهن , elle envoya des invitations à ces femmes أرسلت دعوات للنسوة, prépara un banquet و أعدت وليمة, et donna à chaccunes d'elles un couteau و أعطت لكل واحدة سكينا puis elle ordonna à joseph de paraître devant ces femmes ثم أمرت يوسف أن يخرج عليهن; quand elles l'eurent vu و لما رأينه , elles le comblaient de louanges أسبغنه بالثناء et se coupaient les doigts par distractions وهن شاردات en s'écriant : O Dieu ! ce n'est pas un homme و صرخن : هذا ليس بشرا c'est un ange adorable . إنه ملك محبوب

Montet :Lorsque (l'épouse) eut appris leurs médisances

لما علمت الزوجة باغتيابهن

elle leurs envoya une invitation

أرسلت إليهن دعوة

et leurs fit préparer un festin

و أعدت لهن مأدبة

en donnant à chacune d'elles un couteau .

و أعطت لكل واحدة منهن سكينا

puis elle dit (a joseph) :viens auprés d'elles .

ثم قالت ليوسف : تعالى بجانبهن .

lorsqu'elles le virent , elles furent dans l'admiration au point de se faire des coupures au mains

فلما أبصرنه ، أكبرنه إلى درجة أنهن قطعن أيديهن .

elles disaient : « qu'elle exception !par dieu !ce n'est pas un mortel , c'est un ange plein de noblesse ».

و قلن : ياالله ،إنه ممتاز إنه ليس بشرا ، إنه ملك كريم .

Pesle : lorsque les échos malveillant parvinrent a la femme du souverain ,

حين بلغت الأصداء السيئة زوجة الحاكم

elle invita chez elle les femmes de la ville .

دعت إليها نساء المدينة .

et leurs servit une collation .

و قدمت إليهن شرابا

et remit a chacune un couteau .

و أعطت كل واحدة سكينا

puis elle ordonna à joseph de paraître ,

و أمرت يوسف بالظهور أمامهن

lorsqu'elles l'aperçurent, elles furent eblouies

و حين رأينه أبهرهن .

a tel point que dans leur trouble ,

إلى درجة أنهن في اضطرابهن .

elles se coupèrent les doigts

قطعن أصابعهن .

elles s'exclamèrent : ce n'est possible , ce n'est pas un homme

و هتفن : هذا غير ممكن ، إنه ليس إنسانا ،

c'est un ange sublime .

بل ملكا جليلا .

Masson :Après avoir entendu leurs propos

لما سمعت حديثهن

celle – ci leur adressa des invitations

أرسلت إليهن دعوات

puis elle leur fit préparer un repas

ثم أعدت لهن طعاما

et elle donna à chacune d'elles un couteau

و أعطت لكل واحدة منهن سكينا

elle dit alors à joseph :

و قالت حينئذ ليوسف

« parait devant elles »

إظهر أمامهن

quand elle le virent

فلما رأينه

elles se firent des coupures aux mains .

قطعن أيديهن

elles dirent :

و قلن :

« a Dieu ne plaise !

لله العفو

celui – ci n'est pas un mortel ;

ماهذا بشر

ce ne peut –être qu' un ange plein de noblesse ! »

لا يمكن أن يكون إلا ملكا كريما .

و الملاحظ أن المترجمين وقعوا في خطأ فهم الألفاظ التي اختلف فيها المفسرون المسلمون قبلهم ، و منها مكرهن ،متكا ، أكبرنه ، حاشا لله ،و هذا يدل على صعوبة عملية ترجمة النصوص المقدسة ،فالخطأ في الفهم يؤدي حتما إلى الخطأ في الترجمة .

" وَ دَخَلَ مَعَهُ السِجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَ قَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَيْرُ مِنْهُ ، نَبِأْنَا بِتَأْوِيْلِهِ إِنَا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِيْنَ "

يوسف.36

يصف لنا الطبري في تفسيره ما وقع ليوسف قائلا :

فطرح في السجن (يعني يوسف) و دخل معه السجن فتيان غلامان كان للملك الأكبرالريان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه و الآخر على بعض أمره في سخطة سخطها عليهما ، إسم أحدهما مجلث و الأخر نبو و نبو الذي كان على الشراب ..لما رأى الفتيان يوسف قالا له : " و الله يا فتى لقد أحببناك حين رأيناك " قال لهم يوسف حين قالا له ذلك: " أنشدتكما الله ألا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء ، لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم لقد أحبني أبي فدخل علي

بحبه بلاء ثم لقد أحبتني زوجة صاحبي هذا فدخل علي بحبها إياي بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما .قالا فأبيا إلا حبه و إلفه حيث كان ، و جعل يعجبهما ما يريان من فهمه و عقله و قد كان قد رأيا حين أدخلا السجن رؤيا ، فرأى مجلث أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه و رأى نبو أنه يعصر خمرا فاستفتياه فيها و قالا له نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين إن فعلت .(1)

و يضيف المفسر أن معنى قوله تعالى :" إنا نراك من المحسنين ".أن إحسانه كان يتمثل في مداواة المرضى و تعزية الحزين ، و أنه وجد في السجن مساجين انقطع رجاؤهم و اشتد بلاؤهم و طال حزنهم فقال لهم :

" أبشروا و اصبروا تؤجروا إن لهذا أجرا إن لهذا ثوابا " فقالوا : " يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك و أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك ما نحب إنا كنا في غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا من الأجر و الكفارة و الطهارة فمن أنت يا فتى ؟ قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله .

و كانت عليه محبة و قال له عامل السجن :" يا فتى و الله لو استطعت لخليت سبيلك ، و لكن سأحسن جوارك و أحسن أسارك فكن في أي بيوت السجن شئت ."(2)

و هذه التفاصيل لا نجدها في الكتاب المقدس :

" و لكن الرب كان مع يوسف . و بسط إليه لطفا و جعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن . فدفع رئيس بيت السجن إلى يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن و كل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل ." (3)

.....

1 – الطبري : المصدر السابق ج 12 ص 127

2 – نفسه ج 12 ص 128

3 – الكتاب المقدس ص 67

" و قال الملك أئتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (54) قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (55) .(1)

نجد في تفسير الطبري أن الملك ولى يوسف المنصب الذي كان عليه صاحبه أطفير .

" و ذكر لي أن أطفير هلك في تلك الليالي ، و أن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة أطفير راعيل و أنها حين دخلت عليه قال : " أليس هذا خير مما كنت تريدين فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين إفراثيم بن يوسف و ميشا بن يوسف .(2)

و مقارنة مع الكتاب المقدس نجد أن فرعون ولى يوسف على خزائن الأرض و بدل اسمه إلى " صفنات فعنيج " و زوجه أسنات بنت فوطير فارع الكاهن .(3)

" ولد له إبنان ..دعا يوسف إسم البكر منسى قائلا لأن الله أنساني كل تعبي و كل بيت أبي .و دعا اسم الثاني أفرايم قائلا لأن الله جعلني مثمرا في أرض مذلتي " .(4)

" وَ جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ".يوسف (.58)

يبين السيوطي في الدر المنثور في سبب مجيء إخوة يوسف إلى مصر أن المجاعة بلغتهم فسمعوا أن بمصر خيرات فقصدوها طلبا للميرة .فدخلوا على يوسف فعرفهم .

" فأصاب الأرض جوع و أصاب بلاد يعقوب التي كان فيها ، فبعث بنيه إلى مصر.. فلما دخلوا على يوسف عرفهم و هم له منكرون فلما نظر إليهم أخذهم و أدخلهم الدار دار الملك و قال لهم

.....

1 – يوسف الآيتين 54 –55

2 – الطبري : المصدر السابق ج 12 ص 75

3 –الكتاب المقدس ص 70

4 – نفسه ص 70

أخبروني ما أمركم فإني أنكر شأنكم .قالوا نحن من أرض الشام . قال فما جاء بكم . قالوا نمتار طعاما . قال كذبتم أنتم عيون . كم أنتم . قالوا عشرة . قال أنتم عشرة ألاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبروني خبركم . قالوا إنا إخوة بنو رجل صديق و إنا كنا إثنا عشر فكان أبونا يحب أخا لنا و إنه ذهب معنا إلى البرية فهلك منا و كان أحبنا إلى أبينا . قال فإلى من سكن أبوكم بعده قالوا إلى أخ لنا أصغرمنه ..قال إئتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ".(1)

و هذا الخبر المتعلق بلقاء يوسف مع إخوته يتشابه إلى حد كبير مع النص التوراتي . " فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم و قال لهم جواسيس أنتم لتروا عورة الأرض جئتم ..و طلب منهم إحضار أخيهم برهانا على صدقهم ..و أبقى شمعون رهينة عنده حتى مجيئهم .(2)

"و اْسَئَلِ الْقَرْيَةَ الَتِي كُنَّا فِيهَا وَ الْعِيْرَ التِي أَقْبَلْنَا فِيْهَا وَ إِنَّا لَصَادِقُوْن ".82

اسئل القرية ← أهلها (3)

اسئل القرية ← مصر (4)

اسئل القرية ← قرية قرب مصر (5)

اسئل القرية ← إسأل القرية نفسها (6)

.....

1 –السيوطي : المصدر السابق ج 4 ص 6

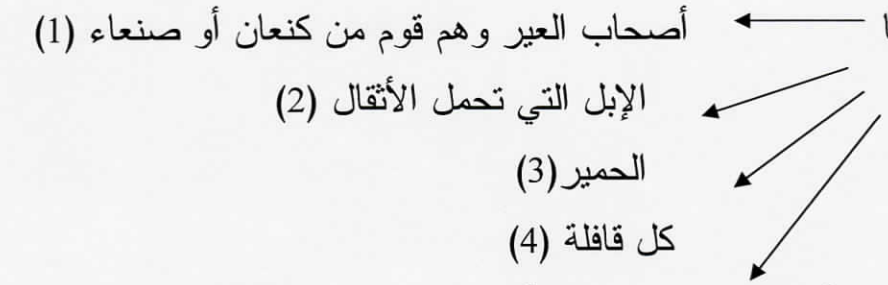
2 – الكتاب المقدس ص 71

3 –الزمخشري: المصدر السابق ج 2ص 270

4 – وجدي محمد : المصدر السابق ص 315

5 –نفسه ص 305

6 –الرازي : المصدر السابق ص190



إنه رغم بلاغة الآية و أسلوبها الواضح ، إلا أن جاك بيرك لم يتمكن من الإيغال في عمق دلالتها ، إذ تتحول القرية مكان الوجود إلى مدينة للإقامة ، كما أن المترجم بين أن السؤال موجه للمدينة (أو القرية في النص القرآني) ، و كان من الممكن الحفاظ على المعنى المجازي دون تضخيم و تفسير ، بحيث يقول المترجم :

Interroge la cité دون إضافةOu nous séjournons .

في حين نجد بعض المترجمين السابقين لجاك بيرك يركزون على تفسير معنى الآية مثل كازمرسكي الذي يوضح أن على الحرس أن يتحروا بمعلوماتهم الخاصة عن المدينة التي كان فيها إخوة يوسف ، أما دونيز ماسون فتثبت السؤال لأهل الحاضرة طبقا للتفاسير المشهورة ، و أن زمن الإقامة كان ماضيا بالنسبة للقول ، و تؤكد في الأخير على صدق المتكلمين ، و ليس قولهم الحقيقة مثلما ورد عند جاك بيرك .

ترجمة بارك بيـــــــرك:

Berque:Interroge la cité

و اسأل الحاضرة

Ou nous séjournons

حيث نقيم

Le caravane dans laquelle nous somme venus

.....

1 –الألوسي : المصدر السابق ص 54

2 –وجدي محمد :المصدر السابق ص 305

3 –المصدرنفسه ص 305

4 –نفسه ص 305

و القافلة التي أقبلنا فيها

Nous disons la vérité

إننا نقول الحقيقة

Kazimirski : Fais prendre des renseignements dans la ville ou nous étions

تحرى بالمعلومات عن المدينة التي كنا فيها

et prés de la caravane avec laquelle nous sommes arrivés

et tu verras que nous disons la vérité قريبا من القافلة التي أقبلنا فيها

و سترى أننا نقول الحقيقة .

ترجمة دونيز ماسون :.

Masson :Interroge les habitants de la cité ou nous étions

و اسأل أهل الحاضرة التي كنا فيها .

et la caravane avec laquelle nous sommes venus ;

و القافلة التي أقبلنا فيها .

nous sommes sincères . »

إنا صادقون .

و إذا رجعنا إلى الترجمات السابقة لهاتين الترجمتين ، نجد تفسيرات مختلفة عما ورد في النص الأصلي ، مما يفقد الترجمة دقتها .

Savary :Intérroge la ville ou nous étions, et les marchands avec qui nous sommes partis ;

و اسأل المدينة التي كنا فيها ، و التجار الذين ذهبنا معهم .

ils rendront témoignage que nous disons la vérité .

سيشهدون بأننا نقول الحقيقة .

Pesle : Renseigne –toi dans la ville ou l'événement s'est passé et auprès des gens avec qui nous avons fait route et tu verras que nous avons dit la vérité .

إسأل المدينة أين وقع الحدث ،و اسأل القوم الذين جئنا معهم ، و سيتبين لك أننا نقول الحقيقة .

إن التضخيم الذي يلجأ إليه المترجم لتوضيح العبارة ، قد يساعد القارئ على فهم مضمون الآية ، و لكن يبعده عن المعنى الأصلي ، إذ يثبت سافاري شهادة الصدق لأصحاب القافلة ، مقابل قوله تعالى :" و إنا لصادقون ".

و يؤكد بسل على سؤال المدينة التي وقع فيها الحدث ، مقابل الأية " و اسأل القرية التي كنا فيها "

و هذا توضيح يخل بالمعنى .

" وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاً " .(1)

رفع أبويه على العرش ← أجلسهما على سرير الملك (2)

← السرير الرفيع (3)

خروا له سجدا ← السجدة انحناء (4)

← السجدة تحية (5)

← خروا لأجل يوسف سجدا (6)

← السجود تحية كرامة (7)

.....

1- يوسف الآية100

2- الصابوني : المصدر السابق ص 68

3- الرازي : المصدر السابق ص 212

4-الزمخشري : المصدر السابق ص ص 276

5 -المصدرنفسه ص 276

6 -نفسه ص 276

7 - الصابوني : المصدرنفسه ص 68

ترجمة جاك بيرك :

berque :il les eleva sur le trône mais tous devant lui tombérent prosternés ."

رفعهم على العرش و لكنهم خروا له ساجدين .

O mon pére ; dit – il ; voila mise en œuvre ma vision ancienne Dieu en a fait une realité .

قال يا أبي هذه رؤياي القديمة جعلها الإله حقيقة .

Savary :Il fit asseoir son père et sa mère sur un trone , et tous s'étant

و أجلس أباه و أمه على العرش .

prosternés pour l'adorer : voila dit –il à jacob , l'interprétation de ma vision. le Ciel l'a accomplie.

و سجدوا كلهم عبادة له ، فقال ليعقوب هذا تأويل رؤياي ، حققتها السماء "

Montet : Et (joseph) éleva son père et sa mère sur un trone , et tous se

و رفع يوسف أباه و أمه على العرش .

prosternèrent devant lui ,en s'humiliant .Et (joseph) dit : « O mon père !

و كلهم سجدوا له أذلاء.و قال يوسف " يا أبي

c'est l'explication de mon songe d'autrefois .mon Seigneur l'a réalisé .

هذا تفسير حلمي السابق ، حققه ربي .

Pesle : Il installa ses père et mère sur son propre siège .toute sa famille

جعل أباه و أمه على كرسيه

se prosterna à ses pieds .O mon père , dit joseph , voila l'explication du rêve

عائلته كلها سجدت عند قدميه . قال يوسف يا أبي هذا تفسير الحلم

que je t'ai raconté un jour .Dieu vient de le réaliser .

الذي قصصت عليك في الماضي (يوما) .لقد حققه الإله .

Masson : Il fit monter son père et sa mère sur le trône .

أصعد أباه و أمه على العرش

et ses frères tombèrent prosternés .

و سجد له إخوته .

Il dit :

قال :

« O mon père !

" يا أبي

Voici l'explication de mon ancienne vision ;

هذا تفسير رؤياي القديمة

mon Seigneur l'a réalisé .

قد حققها ربي .

إن مقارنة بسيطة بين ما ورد في التفاسير القرآنية المختلفة و ما ورد في الترجمات تبين لنا أن الخطأ في نقل معاني الآية القرآنية مصدره المترجم و ليس التفاسير ، فالسجود الوارد في الآية القرآنية يدل حسب التفاسير القرآنية المختلفة على الإنحناء تحية و تقديرا ليوسف عليه السلام ، بينما نجد المترجمين و منهم جاك بيرك يوظفون معنى مختلفا عما ورد في الأصل ، بحيث يجعله بيرك إذلالا و استعبادا .

يقول بيرك " mais tous devant lui tombérent prosternés "

أي سجدوا له ذلا ، فإذا رجعنا إلى المعجم نجد :

أذل نفسه : Se Prosterner devant qqn (1)

و هذه ترجمة خاطئة لدلالة الآية .

و نفس المعنى نجده عند سافاري et tous s'étant prosternés pour l'adorer .

فسجود الأبوين ليوسف كان استعبادا و إذلالا و ليس تحية ، و أورد مونتي كذلك نفس المعنى بقوله " prosternèrent devant lui ,en s'humiliant"

فالسجود كان إذلالا لهم ، أما بسل و تيجاني فيجعلان السجود بين الأقدام ،و هو بذلك إذلال لقومه و عائلته " se prosterna à ses pieds."

أما ماسون فتوظف السجود بمعناه العام ، و هو أقرب إلى مدلول الآية ،أما الخطأ الثاني في الترجمات فيخص معنى اللفظة " ربي "، حيث نجدها" الإله" عند جاك بيرك و بسل و تيجاني ، و السماء عند سافاري ، بينما نجد الترجمة الصائبة عند إدوار .....

1 –إدريس سهيل : المرجع السابق ص 621

مونتي و دونيز ماسون :

" mon seigneur "

seigneur: رب ، مولى .(1)

إن النقل الخاطئ في بعض الترجمات يظهر لنا نية المترجمين في التعامل مع النص القرآني بحرية،و من ذلك توظيف السماء للدلالة على الإله ، و هو استعمال له دلالاته المسيحية الواضحة ، غير ان قدم عهد الترجمة يجعلها في منأى من النقد ، و لا يمكننا التسامح مع ترجمة حديثة مثل ترجمة جاك بيرك ،و بخاصة أن ترجمات سابقة مثل ترجمة دونيز ماسون كانت صائبة ، مما يدل على إصرار المترجم على نقل معاني بعض الألفاظ بما يوافق فكره و عقيدته .

" قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ إِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ " .(يوسف91)

يورد بعض المفسرين للقرآن الكريم قصصا عن ندم إخوة يوسف بعدما جمع الله بينهم و بين يوسف ، و لقائه بوالده يعقوب و أخيه بنيامين ، و من بينها ما ذكره الطبري بتفصيل عن هذا الحدث .

" لما جمع الله تعالى ليعقوب شمله و أقر عينه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألستم قد علمتم ما صنعتم و ما لقي منكم الشيخ و ما لقي منكم يوسف ، قالوا : بلى . قال: فيغركم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم .فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه و يوسف إلى جنب أبيه قاعد . قالوا : يا أبانا أتيناك في أمر لم نأتك أمر مثله قط ،و نزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله حتى حركوه ، و الأنبياء أرحم البرية .فقال : ما لكم يا بني ؟ قالوا : ألست قد علمت ما كان منا إليك و ما كان منا إلى أخينا يوسف .قال : بلى .قالوا : أفلستما قد عفوتما ؟. قالا : بلى .قالوا : فإن عفوكما لا يغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا .قال : فما تريدون يا بني ؟قالوا : نريد أن تدعو الله لنا إذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا . قرت أعيننا و اطمأنت قلوبنا و إلا فلا قرة عين في الدنيا لنا أبدا . فقام الشيخ و استقبل القبلة ، و قام يوسف خلف أبيه و قاموا خلفهما أذلة خاشعين ،

.....

1 – إدريس سهيل : المرجع السابق ص 691

فدعا و أمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة ، حتى إذا كان رأس العشرين نزل جبرائيل على يعقوب فقال له : إن الله تبارك و تعالى بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، و أنه قد عفا عما صنعوا و أنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة . (1)

و هذه الأخبار الدقيقة عن إخوة يوسف لا نجدها في النص القرآني ، و إنما مصدرها بعض التفاسير القرآنية ، و هي تتوافق مع النص التوراتي حول توبة إخوة يوسف ، و لكن النص التوراتي تنعدم فيه التفاصيل أيضا ، و يذكر أن توبة إخوة يوسف كانت بعد وفاة والدهم يعقوب ، و في هذا اختلاف كبير بينه و بين التفاسير .

" و لما رأى إخوة يوسف إن أباهم قد مات قالوا لعل يوسف يضطهدنا و يرد علينا جميع الشر الذي صنعناه به فأوصوا إلى يوسف قائلين أبوك أوصى قبل موته قائلا هكذا تقولون ليوسف و اصفح عن ذنب إخوتك و خطيتهم فإنهم صنعوا بك شرا . فالآن اصفح عن عبيد إله أبيك . فبكى يوسف حين كلموه ..فقال لهم يوسف لا تخافوا . لأنه هل أنا مكان الله . أنتم قصدتم لي شرا و أما الله فقصد به خيرا لكي يفعل كما اليوم ليحي شعبا كثيرا . فالآن لا تخافوا . أنا أعولكم و أولادكم فعزاهم و طيب قلوبهم ." (2)

ما يلاحظ في تفسير سورة يوسف احتواؤه على تفاصيل كثيرة لدقائق ما جرى ليوسف و إخوته ، و في حالات كثيرة لا نجد لها أصلا في الكتاب المقدس الذي يتعرض لذكر نفس القصة ، فما مصدر هذه القصص ؟

لقد سبق ان ذكرنا أنها من الإسرائيليات التي امتلأت بها بطون التفاسير القرآنية في العصور الإسلامية الأولى ،بحيث كان العرب يلجأون إلى بعض العارفين بتاريخ البشرية و الرسل يسألونهم عما ورد في بعض القصص التي ذكرها القرآن ، و لكن هل يعني أن هذه الإسرائيليات أصل في التوراة و الإنجيل ؟

.....

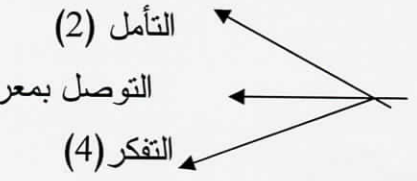
1 – الطبري : المصدر السابق ج 13 ص 49

2 –المصدر نفسه ج 13 ص 86

من خلال تتبع سورة يوسف تبين لنا أصل الكثير من الأخبار ليس لها أصل في الكتاب المقدس ، و الأرجح كما يقول جمال الدين القاسمي أن العرب كانوا يسألون أهل الكتاب الذين بين العرب و هم بادية مثلهم ، و لا يعرفون من التاريخ إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، و معظمهم من حمير الذين يدينون باليهودية (1) ، و الأرجح أنهم كانوا يرتكزون على النقل مشافهة مما يساعد الراوي على الإضافة و إطلاق العنان لسرد التفاصيل غير الواردة في الكتاب المقدس ، و هذا ما جعل التفاسير القرآنية تنقل كل ما ورد حول أخبار الأنبياء و الرسل قبل العهد الإسلامي .

4- الخاتمة : و تضم الآيات102 إلى 111 ، و فيها خطاب مباشر للمتلقي الأول و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و في نفس الوقت خطاب للمتلقي ،و في الخاتمة تأكيد على صحة الأخبار المذكورة في ثنايا السورة ، و حقيقة الوحي الإلهي ، و تذكير بالآيات الكونية لكل منكر لوحدانية الله و ألوهيته ، و هي كلها عبر يستخلصها كل قارئ أو سامع لسورة يوسف و قصته .

"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُدَى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. "111.



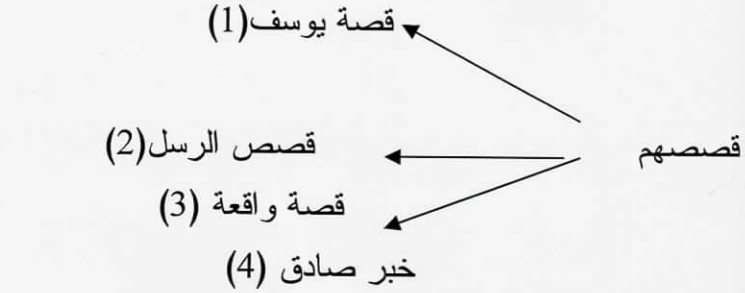
.....

1 -القاسمي : المصدر السابق ج 1 ص 13

2 -الرازي : المصدر السابق ج 18 ص 227

3 -المصدرنفسه ص 227

4 -ابن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 13 ص 71



لقد كانت خاتمة السورة تأكيدا على مقدمتها التي بينت أن قصة يوسف المذكورة في الكتب السابقة للقرآن الكريم حقيقية ، و أن القصة القرآنية ليست أسطورة يتمازج فيها الخيالي بالحقيقي ، بل إن معظم الأساطير يغلب عليها عنصر الخيال ، مما يجعلها تعرض للتسلية و المتعة فقط ، بينما القصة القرآنية هي قص لأخبار باسترسال و تتابع أو هي إتباع الخبر بعضه بعضا (5)،و لكن ليس الخبر الخيالي و إنما الخبر الحقيقي، لذلك أكد ذلك سبحانه في بداية السورة قائلا :

"**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** "**.يوسف**الآية 3

و رغم هذا الوضوح في دلالة المصطلح القرآني ، نجد المترجم جاك بيرك يحكم على القصة القرآنية بأنها أسطورة Légende، مما ينزع عنها صفة الصدق و الحقيقة ، مع أن المترجم بين أن المقصود من القص هو سرد الأخبارNarration و لكنه يحكم عليها أنها مجرد أساطير ، و لكن فائدتها أن ذوي الألباب يأخذون منها العبر .

Berque: Dans la narration de leur légende réside une leçon pour les êtres dotés

في قص أساطيرهم عبرة لكائنات لهم ألباب .

.....

1 –الرازي : المصدر السابق ج 17 ص 227

2 –المصدر نفسه ص 227

3 –ابن عاشور الطاهر : المصدر السابق ج 13 ص 72

4 –الزمخشري جار الله : المصدر السابق ج 2 ص 278

5 –الرازي: المصدر نفسه ج 17 ص 75 .

de moelles .Ce n'est pas une affabulation , ليست حبكا للكتب السابقة
mais une avération des écritures déjà en vigueur ,
une articulation de tout en détail ,بل إثباتا لها et la guidance et la miséricorde pour les croyants .

و تفصيلا دقيقا لها ،و هداية و رحمة للمؤمنين. .

إن إخفاق جاك بيرك في إدراك معاني الألفاظ القرآنية ، لا يمكن قبوله باعتبار الترجمات السابقة له أدركت معاني الآية القرآنية ، و من بينهم ترجمة سافاري و هي من أقدم الترجمات .

Savary :L'histoire des prophètes est remplie d'exemples que doivent retenir

إن قصص الرسل تمثل قدوة لبشر يعقلون .

les hommes sensés .Ce livre n'est point une fable inventée à plaisir ; il

هذا الكتاب ليس أسطورة مختلقة للتسلية .

confirme ceux qui l'ont précédé ; il explique clairement toute chose .Il est la lumière et la grâce des croyants .

بل تأكيدا لما سبقه ، و يبين جليا كل شيء ، و هو نور و نعمة للمؤمنين .

Kazimirski :L'histoire des prophètes est remplie d'exemples instructifs pour les hommes doués de sens . تاريخ الأنبياء مليئ بأمثلة مهذبة للناس

le livre n'est point un récit inventé à plaisir. الكتاب ليس حكاية للتسلية

il corrobore les écritures révélées avant lui ; إنه تأكيد للكتب الموحية قبله

il donne l'explication de toute chose , فيه شرح لكل شيء

il est la direction et une preuve de la grace divine pour les croyants .

و هو إرشاد و دليل على النعمة الإلهية على المؤمنين

Montet :En vérité , il y a eu dans leurs histoires un exemple à méditer pour

في الحقيقة ، كان في قصصهم مثالا للإقتداء بهم ،لمن لهم عقول .

ceux qui possèdent l'intelligence .ce n'est pas un conte imaginé ,mais c'est la

و هي ليست حكاية خيالية ،

confirmation de ce qui a été auparavant entre ses mains ;c'est la distinction

و لكن تأكيدا لما بين يديه .

de toute chose , le Guide et la Miséricorde pour le peuple des croyants .

و تمييزا لكل شيء ، و هدى و رحمة لشعب يؤمنون .

Masson : Un enseignement destiné

في قصص الرسل توجيه و إرشاد لبشر وهبوا ذكاء .

aux hommes doués d'intelligence

se trouve dans les histoires des prophètes .

هذه ليست حكاية مختلقة .

Ce n'est pas ici un conte imaginé ,

و لكنه تأكيد لما قبله .

mais c'est la confirmation

de ce qui existait avant ceci ;

و تفصيل دقيق لكل شيء .

l'exposé détaillé de toute chose ;

توجيه و رحمة لشعب يؤمن .

une Direction et une Miséricorde

pour un peuple qui croit .

و في الأخير يمكن القول إن الترجمة التفسيرية التي أجازها علماء الإسلام في القرن العشرين على أنها أشد أنواع الترجمة ارتباطا بالنص القرآني ، لا تخلو من العيوب التي تخل بترجمة نص مقدس مثل القرآن الكريم ، كونها تفسح المجال للمترجم لتحوير النص المترجم حسب قدراته في فهم و تفسير النص ،و يتعامل فيها المترجم بحرية مع معاني النص ، مما يجعل هذا النوع من الترجمة يفقد أمانة النقل الصحيح .

إن تعدد الترجمات للنص القرآني الواحد يثبت أن كل مترجميه منذ القرن الثاني عشر الميلادي إلى عصرنا الحاضر أحسوا بنقائص في الترجمات المتداولة في زمنهم ، و هذا ما دفعهم إلى محاولة ترجمته بطريقة صحيحة يتجنب فيها الشطط و يتفادى فيها الوقوع في خطر التحريف ،و لكن بعد الدراسة النقدية المتبصرة يظهر لنا

عدم تميز الترجمات القديمة عن الحديثة ،بل إن ترجمة جاك بيرك التي أثنى عليها الكثير من الباحثين في الغرب(1) لا تختلف في كثير من الحالات عن الترجمات التي سبقتها، و بخاصة مع النموذج القصصي الذي اخترناه تطبيقا على النص القرآني ،مع أن النص المختار متميز من حيث الأسلوب و المضمون ، و إن ترجمة مثل ترجمة دونيز ماسون لا تقل أهمية عن ترجمة جاك بيرك ، و بخاصة أن كلاهما يؤكد على أن الترجمته ما هي إلا محاولة لنقل معاني النص القرآني العربي إلى اللغة الفرنسية .

و ما نستنتجه أيضا عدم تمكن الترجمة التفسيرية من نقل معاني النص القرآني نقلا صحيحا ، نظرا لطبيعة الترجمة التفسيرية التي تعطي فسحة للمترجم في التعامل مع نقل معاني النصوص ، كما أن عملية شرح النص المترجم تفرض إعادة نقل النص الجديد إلى اللغة المصدر لمقارنتها مع النص المصدر ،لتكون النتيجة أن الترجمات المختلفة ليست ذات رابطة وثيقة مع النص المصدر ، و تفرض دوما نقلها بلغة جديدة للتمكن من ربطها بالنص الأصل .

إن أهم الأسس التي ارتكز عليها علماء الإسلام لجواز ترجمة النص القرآني ثلاثة ،و هي كالآتي :

1)- التقيد بترجمة المعاني (التفسيرية) و نبذ الترجمة الحرفية .

2)- عدم مراعاة الأصل و ترتيبه .

3)- عدم المحافظة على جميع معاني النص القرآني في الترجمة .

وهذه الأسس الثلاثة مترابطة, لتنتج لنا ترجمة معنوية تفسيرية, قد ألح عليها أغلبية العلماء المسلمين, لتكون الوعاء الذي يجوز أن نفرغ فيه المعاني السامية للنص القرآني، بيد أن هذه الأسس تشكل أيضا عائقا لبلوغ ترجمة دقيقة للنص القرآني .

.....

1-,Biblio –monde.com,p1

إن الدعوة إلى نوع جديد من الترجمة لنقل مضامين القرآن إلى اللغات الأوروبية و بخاصة اللغة الفرنسية سابق لأوانه ، إذ ستؤدي المحاولة إلى نبذ الأصل و التعامل مع الترجمة على أنها بديل له ، و هذا ما لا يمكن قبوله ، و لكن هذا لا يمنع من نقد الترجمات التفسيرية المتعددة للنص القرآني باللغة الفرنسية و غيرها من اللغات العالمية، التي لا تخلو في معظمها من الهفوات و الأخطاء الترجمية ، بالرغم من الحرية الفسيحة التي تسمح بها الترجمة التفسيرية ، و هذا ما لاحظناه من خلال ترجمة جاك بيرك أولا ، ثم ترجمة كل من سافاري و أوكتاف بسل و أحمد تيجاني ، ثم إدوار مونتي و كذلك دونيز ماسون .

و يمكن القول في الأخير إن سلبيات الترجمة التفسيرية تعود إلى منهج هذا النوع من الترجمة ، كما تعود إلى قدرات المترجم اللغوية و الأسلوبية التي لا ترقى إلى ترجمة النص القرآني المقدس ، فالخطأ في فهم اللغة المصدر يعد عيبا لدى المترجم ، إذ الشرط الأساس الواجب توفره في المترجم قبل أن يقبل على عملية الترجمة هو إتقان اللغة المصدر و لغة الترجمة ، و لعل هذا هو السبب الحقيقي في إخفاق أي ترجمة أو نجاحها ، و هذا ما يعلل كثرة الأخطاء في الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم ، و يمكن أن نضيف إليها جهل المترجمين بالعلوم العربية المرتبطة بالنص القرآني كالفقه و أصوله , كذلك علوم العربية من لغة و دلالة و بلاغة ، كما أن إنكار ظاهرة إعجاز النص القرآني و ألوهية مصدره جعلت المترجمين يتعاملون معه على أساس أنه نص لغوي عادي ، مما أفقد الترجمات أمانتها في الترجمة .

الخاتمة

الخاتمة :

وأخيرا نصل إلى الخاتمة ، و هي مرحلة هامة لاستخلاص النتائج ، و قد يبدو الأمر سهلا و لكنه ليس كذلك ، لأن النتائج في مجال الترجمة تغدو بدورها بدايات و تساؤلات لأبحاث مستقبلية يجب أن تكون أكثر دقة و موضوعية .

و ما يجعل الأمر بهذه الصعوبة مركز البحث في حد ذاته أي القرآن الكريم ، حيث يفرض على دارسه جدية البحث و عقلانية الطرح ، فالباحث في حقل الترجمة يتعامل مع النصوص المقدسة و بخاصة القرآن الكريم بحذر شديد .

و المترجم يترك لا محالة بصماته على النص المصدر بتحويله من نظام لغوي و ما يحمله من مستويات صوتية و صرفية و دلالية و أسلوبية إلى نظام لغوي مختلف، معتمدا في ذلك على فهمه و تفسيره و تأويله الذاتي ، لذا تصبح كل ترجمة عرضة للنقد أو التفنيد ، و تنطوي على خطر الوقوع في الخطأ ، لأنها في غالب الأحيان تعتمد على مقاييس فردية يوجدها المترجم .

كما أن ترجمة النص القرآني منذ بداياتها الأولى إلى الآن لم تعرف تطورا من حيث التنظير لهذا النوع من الترجمة ،و ظل المترجمون يسعون لتحقيق غايات فردية ،تتمثل في الإسهام في ترجمة النص القرآني العربي فقط ، مع ذلك بقي النص يفرض دائما محاولات جديدة لترجمته و يفند بلوغ أي الترجمة أن تكون وفية له .

كان البحث من خلال هذه الرسالة محاولة لإثبات علاقة الفهم و التفسير بالترجمة ، ثم مدى فاعلية الترجمة التفسيرية لنقل المعاني القرآنية إلى اللغات الأوروبية أولا ، ثم اللغات البشرية الأخرى ، و مشروع بهذه الأهمية يحتاج إلى مجموعة كبيرة من الدارسين و في مجالات متعددة سواء منها العلمية أو الإنسانية ، و لكن مع ذلك كانت هذه المبادرة لفهم و نقد أسس الترجمة التفسيرية ، و علاقة المترجم بالنص الأصل من

خلال اللغة الفرنسية ، و هي من اللغات الأوروبية الرائدة في ترجمة النص القرآني ، كما أن صعوبة التطبيق على النص القرآني بكامله دفعنا إلى اختيار سورة واحدة هي سورة يوسف لتجسيدها الحقيقي لأدبية النص القرآني و بخاصة أنها السورة الوحيدة الموحدة الموضوع ، بحيث سردت لنا دقائق ما مر بالنبي يوسف عليه السلام ، و هذا ما جعلها مدار اهتمام الباحثين في عصور مختلفة ، كما أن سبب اختيار سورة يوسف هو التخصص الذي يفرض على الباحث احترام حدوده .

بعد إتمام الرسالة يمكن في هذا المقام رصد النتائج المتوصل إليها :

1 –إن معظم مترجمي النص القرآني إلى اللغة الفرنسية اعتمدوا على تأويلات المفسرين ، والملاحظ أن علماء التفسير ذوو اتجاهات مختلفة في كشف حقائق التنزيل، فمنهم من اعتمد على التفسير المأثور و منهم اختار منهج التفسير بالرأي ، و بعضهم ركز على الجانب البياني من النص ، و منهم من ارتأى الغوص في المجال العلمي الذي يحتويه النص القرآني . وفي كل هذه الاتجاهات التفسيرية تقييد دلالي لمعاني اللفظة القرآنية ، التي تتصف بمرونة دلالية عجيبة ،فهي تحمل العديد من المعاني و لكنها لا تعدو أن تكون لفظة واحدة .

2 –يهدف النص القرآني كونه نصا مقدسا إلى التأثير في عقل و شعور المتلقي ، غير أن الترجمة التفسيرية تفقد هذه الخاصية .

3 – لا يمكن في الوقت الراهن الدعوة إلى منهج جديد لترجمة النص القرآني فالترجمة قد تشغل الناس عن الرجوع إلى الأصل العربي ، و لكن هذا لا يمنع من نقد الترجمات التفسيرية الحالية التي تسيء فهم و ترجمة مضامين النص القرآني ، و تبقى

مسؤولية الباحثين عظيمة للحفاظ على النص المقدس من التحريف و العبث ، و ذلك بإعداد الخطط و الدراسات الجامعة لأصول الترجمة التفسيرية ، فمن غير المعقول أن ننتظر من الباحثين الغربيين ذلك ، مثلما كان لهم السبق في ترجمة النص القرآني ، بدون أن يكون للباحثين المسلمين حظ في تأسيس ترجمة خاصة للنص القرآني .

4 – ضرورة تأسيس نقد الترجمة التفسيرية ،بتتبع الترجمات المختلفة بالدراسة و التحليل و المقارنة مع الأصل ، بغرض الحفاظ على النص القرآني من التحريف .
5-بالرغم من الاستحسان الذي لاقته ترجمة جاك بيرك ، إلا أنها تبقى ترجمة تفسيرية لها إيجابياتها و سلبياتها مثل باقي الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم .

و في الأخير نؤكد على ضرورة الاهتمام بالتنظير لأنواع ترجمة النص القرآني المقدس ، و في انتظار ذلك وجب نقد الترجمات الحالية للنص القرآني ،كي لا يبقى هذا النوع من الكتابة حكرا على الدارسين الغربيين ، و نعني بهم علماء الإسلاميات أو المستشرقين .

و مهما يكن من شيء نتمنى أن يكون هذا البحث المتواضع لبنة لتأسيس نقد ترجمة النص القرآني ،و هذا تفاديا للخطأ و التحريف في مضامين النص القرآني ، و لهذا أثره السلبي عند القارئ الذي لا يحسن اللغة العربية ، و لا يمكنه الرجوع إلى الأصل.

و من الله أرجو السداد و التوفيق .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر و المراجع .

المصادر العربية :

* **القرآن الكريم :مطبعة الرغاية للفنون المطبعية ، الجزائر ،1986 .**

1 –إبن تيمية أحمد : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب .

2 –إبن تيمية أحمد :أصول التفسير ، دار الفكر اللبناني ، لبنان ، ط 1 ،1996 .

3 –إبن خلدون عبد الرحمن :المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط 8 2003.

4 –إبن عطية الأندلسي :المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مطبعة الدوحة 1977.

5 – إبن القيم الجوزية : أعلام الموقعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996

6 –إبن كثير إسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، دار الأندلس ،بيروت ، لبنان ،ط 8 1986 .

7– إبن كثير إسماعيل :قصص الأنبياء ،دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان ،2005 .

8 –الألوسي محمود :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .ب.ت.

9 – الباقلاني أبوبكر : إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1971 .

10 –البخاري محمد بن إسماعيل :صحيح البخاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان،ط 1 ، 2002 .

11 –بن عاشور الطاهر :التحرير و التنوير ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس ، 1984.

12 –بن باديس عبد الحميد : : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، منشورات

وزارة الشؤون الدينية الجزائرية ، دار البعث ، قسنطينة.

الجزائر ، ط 1 ، 1982 .

13 –التجيني محمد بن صمادح : مختصر تفسير الإمام الطبري ، دار الفجر الإسلامي، ط 7 ، 1995 .

14 –التوحيدي أبو حيان :المقابسات ، تحقيق محمد توفيق حسين ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان، ط 2 ،1989 .

15 –الثعالبي عبد الرحمان : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ب.ت.

16–الجاحظ أبوعثمان :كتاب الحيوان ،تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت 1996 .

17–جوهري طنطاوي : الجواهر في تفسير القرآن الكريم ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ب.ت

18 –الخطابي أبو سليمان : بيان إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ب.ت.

19 –الرازي الفخر : التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ط 3 ،ب ت .

20 –الزمخشري جار الله أبو القاسم :الكشاف عن حقائق التنزيل ،دار المعرفة ، بيروت ، ط 3 ،ب. ت .

21 –الزركشي بدر الدين : البرهان في علوم القرآن ،دار الفكر ، ط 3 ، 1980 .

22 –السيوطي جلال الدين : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،دار الفكر ، لبنان ،ط 2 ، 1983 .

23 – السيوطي جلال الدين:التحبير في علم التفسير ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1996. .

24 –الشاطبي أبو إسحاق : الموافقات في أصول الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

25 –الشنقيطي محمد أمين :أضواء البيان ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ب.ت.

26 –الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ط 4، 1981 .

27 –الطبري أبو جعفر بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1984 .

28 –طنطاوي محمد سيد :التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، نهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1997 .

29 –عبد الرحمان عائشة : التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 5 ، 2004 .

30 –عبده محمد : تفسير القرآن الحكيم – تفسير المنار ، تأليف رشيد رضا ، دار المنار ، القاهرة ، مصر ، ط 4 ، 1954 .

31 –العسقلاني أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 .

32 –النيسابوري أبو الحسن الواحدي : أسباب النزول ، دار الفجر الإسلامي ، دمشق ط 10 ، 2002 .

33 –هواري هود :تفسير كتاب الله العزيز ، دار الغرب الإسلامي ،ط 1 ،1990 .

34 –وجدي محمد فريد :المصحف المفسر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، ب.ت .

المراجع العربية :

1 –أبوزهرة محمد : المعجزة الكبرى القرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،مصر.

2 –أبوزيد نصر حامد : الخطاب و التأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط 1 ،2000 .

3 –أبوزيد نصر حامد :مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب .

4-أبوزيد نصر حامد:الاتجاه العقلي في التفسير ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 5 ، 2003 .

5 –أبو شهبة محمد بن محمد :الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،1992 .

6 –أديب محمد صالح : تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ،المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ،1984 .

7 –أركون محمد : الفكر الإسلامي قراءة علمية ،ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ،1986 .

8 – أركون محمد :أين الفكر الإسلامي المعاصر ؟ ترجمة هاشم صالح ،دار الساقي ،بيروت ، لبنان ، ط 1 ،1993 .

9 –أرمسترونغ كارين : الإسلام في مرآة الغرب ،ترجمة محمد الجورا ،دار الحصاد للنشر ،دمشق ،ط 2 ، 2002 .

10 –إسلامبولي سامر :القرآن بين اللغة و الواقع ، دار الأوائل للنشر و التوزيع ، سورية ، ط 1 ، 2005 .

11 –إيكو أمبرتو :التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب .

12 –البنداق محمد صالح : المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم ،منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،1980 .

13 –بنعبد العالي عبد السلام :في الترجمة ، دار الطليعة ،بيروت ، لبنان ، ط 1 2001.

14 –بن نبي مالك : الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ،دمشق ، 1986 .

15 –بوكاي موريس :القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل و العلم ،ترجمة دار رشا ، بيروت ، لبنان .

16 –تضغوت محمد : نحو تحديث دراسة التاريخ الإسلامي ، رؤية للنشر ، القاهرة ، مصر ،ط 1 ، 2004 .

17 –جادامير هانز جورج :تجلي الجميل ،ترجمة سعيد توفيق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،مصر ، 1997 .

18 –جهلان محمد بن أحمد :فعالية القراءة و إشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، صفحاتللدراسات و النشر ، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 2008 .

19 – جوستاف لوبون :حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ب.ت .

20 –حافظ شادية توفيق : دراسات سريانية ، نهضة مصر للطباعة ، مصر ،ب.ت .

21 –خمري حسين :جوهر الترجمة ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ،2006 .

22 –خليفة محمد :الإستشراق و القرآن العظيم ،نقله إلى العربية مروان عبد الصبور شاهين ، دار الاعتصام ،القاهرة ، مصر ، ط 1 ،1994.

23 –خليل إبراهيم : الأسلوبية و نظرية النص ،دار الفارس للنشر ، عمان ، الأردن ط 1 ، ب.ت .

24 –دروزة محمد عزة : القرآن المجيد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان.

25 –الديداوي محمد : الترجمة و التواصل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء

المغرب ، ط 1 ، 2000 .

26 - الديداوي محمد :منهاج المترجم ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط 1 ، 2005 .

27 –الذهبي محمد حسين : التفسير و المفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط 4 ، 1988 .

28 – الرشيد عماد الدين محمد : أسباب النزول و أثرها في بيان النصوص ، دار الشهاب ، 1999 .

29 –الزرقاني محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ،

30 –السعفي وحيد : العجيب و الغريب في كتب تفسير القرآن ، ، دار الأوائل دمشق ، سورية ، ط 1 ، 2006 .

31 –سعيد عبد الستار فتح الله : المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، بور سعيد ، مصر ، ط 2 ، 1991 .

32 –السيد أحمد عبد الغفار :النص القرآني و ضرورة التفسير، دار المعرفة الجامعية 2003 .

33 –سيديو .ل .أ . :تاريخ العرب العام ، ترجمة عبد الله علي الشيخ ، دار الأهلية ، عمان ، الأردن ، ب .ت .

34 –الشرقاوي عفت :قضايا إنسانية في أعمال المفسرين ، دار النهضة ، بيروت ، ط 2 ، 1980 .

35 –شيخ الشباب عمر : التأويل و لغة الترجمة ، دار الهجرة ، بيروت ، لبنان .

36 –الصافي عثمان عبد القادر :القرآن الكريم ،المكتب الإسلامي ،ط 1 ،1996 .

37 –الصغير محمد حسين علي :المستشرقون و الدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ،بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1986

38 –الطاووس محمد إبراهيم :آفاق التعاطي مع النص القرآني ، دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر ، 2003 .

39 –العاني عبد القادر عبد الله :الإستشراق و الدراسات الإسلامية ،دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ب.ت .

40 –عبد الرحمن عائشة : القرآن و التفسير العصري ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 3 ، 2004 .

41 –عبد العزيز زينب :ترجمات القرآن إلى أين ؟دار الصابوني ، القاهرة ، مصر ،ط 1 ، 1994 .

42 –العثيمين محمد بن صالح :شرح مقدمة التفسير ،دار البصيرة ، الإسكندرية ،مصر 2003 .

43 –عروة محمد : التبيان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

44 –العك خالد عبد الرحمن :أصول التفسير و قواعده ،دار النفائس ،بيروت ، لبنان ط 2 ، 1986 .

45 –العيسى سالم :الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية ،إتحاد الكتاب العرب ،دمشق سورية ، 1999 .

46 –عزيز فهيم : علم التفسير ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ، مصر ،ب.ت.

47 –عشراتي سليمان :الخطاب القرآني ،ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ،1998 .

48 –عيد عبد الحكيم : حركة الترجمة الحديثة ،شركة المل للطباعة و النشر ،1997 .

49 – غزالة حسن :مقالات في الترجمة و الأسلوبية ،دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان ط1 ،2004 .

50 –الفرماوي عبد الحي :سورة يوسف مشاهد و دروس ،دار البشير للثقافة و العلوم، طنطا ، مصر ،ط 1 ، 2002 .

51 –الفضلي عبد الهادي :القراءات القرآنية ،دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط 3 . 1985

52 –القطاع مناع :مباحث في علوم القرآن ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر،ط10 . 1997.

53 –قطب سيد : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط 7 . 1982

54 –قطب محمد : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ن ب.ت .

55 –كارمريم سلامة :الترجمة في العصر العباسي ، مدرسة حنين بن إسحاق و أهميتها في الترجمة ، ترجمة نجيب غزاوي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق سورية ، 1997 .

56–كامبل وليم : القرآن و الكتاب المقدس في نور التاريخ و العلم ، austria light of life ط 1 ،1996 .

57 –كاتفورد . جي.سي :نظرية لغوية للترجمة ،ترجمة عبد الباقي الصافي ،مطبعة دار الكتب ، جامعة البصرة ، العراق ، ب.ت.

58 –المحتسب عبد المجيد عبد السلام :اتجاهات التفسير في العصر الراهن ،منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ، الأردن ،ط3 ،1982 .

59 –محيسن محمد سالم :في رحاب القرآن الكريم ،مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ،مصر ،1982 .

60 –مرتاض عبد المالك :نظرية القراءة ،دار الغرب للنشر و التوزيع ،وهران ،2003 .

61 –مسعود جمال عبد الهادي –وفاء رفعت جمعة :منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا و كيف ؟ دار الصديقية ،حسين داي ، الجزائر،ط1 ،1989.

62 –المشيني مصطفى إبراهيم :مدرسة التفسير في الأندلس ،مؤسسة الرسالة ،بيروت

لبنان ،ط1 ،1986 .

63 –موريس بوكاي :القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل و العلم ، دار رشا ، بيروت لبنان ،ب.ت .

64 –مومن أحمد :اللسانيات : النشأة و التطور ،ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ،الجزائر ،ط2 ،2005 .

65 –مونان جورج :المسائل النظرية في الترجمة ،ترجمة لطيف زيتوني ،دار المنتخب العربي ،بيروت ، لبنان ، ط1 ،1994 .

66 –مهران محمد بيومي :دراسات تاريخية في القرآن الكريم ،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط2 ،1988 .

67 –نقرة التهامي :القرآن و المستشرقون ،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس ،1985 .

68 –النمر عبد المنعم :علم التفسير ،دار الكتاب المصري ،القاهرة ، مصر ،ط1 ،1985 .

69 –نيوبرت ألبرت –غريغوري شريف :الترجمة و علوم النص ،ترجمة محي الدين حميدي جامعة الملك سعود ،الرياض ، 2002 .

70 –هيدغر مارتن :كتابات أساسية ،ترجمة إسماعيل المصدق ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، مصر ،2003 .

المعاجم العربية :

1 –ابن منظور :لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، ط1 ،1996 .

2 –إدر يس سهيل–جبورعبد النور : المنهل ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990 .

3 –الأصفهاني الراغب :معجم مفردات ألفاظ القرآن ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط1 ،1997 .

4 –الزبيدي محمد مرتضى :تاج العروس من جواهر القاموس ،تحقيق حسين النصار مطبعة حكومة الكويت ،2000 .

الرسائل الجامعية :

رسالة دكتوراه :

- مختار لزعر : نظرية التأويل في التراث اللساني العربي ،إشراف د .عبد المالك مرتاض ، معهد اللغات و الآداب و الفنون ،جامعة وهران ،2005 .

رسائل ماجستير :

1 –جبايلي فريدة :اللسانيات و الترجمة ،_(قراءة في الألسن و المفاهيم)إشراف الدكتور أحمد حساني ،جامعة وهران ،2002 .

2 –خلادي محمد الأمين :الإعجاز الفني في القصة القرآنية ،إشراف الدكتور عشراتي سليمان ،جامعة وهران ،2000 .

3 –دحمان نور الدين :إشكالية المعنى في النص المترجم ،، إشراف الدكتور شريفي عبد الواحد ،جامعة وهران ،2003 .

4 –قادة غروسي : النص و سيميائيات القراءة ،إشراف الدكتور أحمد يوسف ،جامعة وهران ،2004 .

5 –كوداد محمد :أساليب الترجمة و تطبيقاتها ،إشراف الدكتور حساني أحمد ،جامعة

وهران ،2001 .

الدوريات و المجلات :

1 –إسلامية المعرفة :المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،السنة الرابعة ،العدد14 ،خريف 1998 .

2 –الأصالة :ملتقى القرآن الكريم ،وزارة الشؤون الدينية ،دار البعث ، الجزائر.

3 –مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية :مجلس النشر العلمي بالكويت ،العدد الرابع و الثلاثون ، أبريل 1998 .

العدد الثاني و الأربعون ، سبتمبر 2000 .

المراجع الأجنبية :

1- Andrae-tor :Mahomet et sa vie et sa doctrine ,Traduit de L'allemand
2- par_Maurice Gaudefroy ,Librairie D'amerique et D'orient ,Adrien Maisonneuve_,Paris ,1979.
3- Arkoun Mohammed :Penser Islam Aujourdhui ,Laphomec ,Enal ,1973.
4- Berman Antoine :Pour Une Critique de la Traduction –Jhon Donne , Gallimard ,Paris 1995 .
5- Berque Jacques :Le Coran ,Sindbad ,Paris ,1990.
6- Berque Jacques :En Relisant Le Coran ,Sindbad ,1990
7- Blachére Regis :Le Coran ,Presses Universitaires De France ,Paris 1966.
8- Dépré Ines Oseki :Theories et Pratiques de la Traduction , Armand Collin ,Paris 1999.
9- Gouadec Daniel :Faire Traduire ,La Maison Du Dictionnaire ,Paris 2004.
10- Haddadou Mohand Ali :Le Reve Et son Interprétation .Enal ,Algérie ,1994.

11- Delisle Jean :Enseignement de la Traduction ,sous la direction de Jean Delisle et Hannelore Lee-Jahnke ,Presses De L'université D'ottawa .Canada ,1998 .
12- Labeaume Jules :Le Coran Analysé ,Maisonneuve ,Paris ,1878 .
13- Masson Denise :Essai D'interprétation Du Coran Intraduisible ,Dar Elkittab Allubnani ,1980 .
10-Mazigh Sadok :Le Coran ,Maison Tunisienne De L'édition .
11-Mimouni Hadroug :L'islam Agressé ,Enal ,Algérie ,1990 .
12-Miquel André :L'islam Et sa Civilisation ,Armand Collin ,Paris ,1979.
13-Montet Edouart :Mahomet ,Le Coran ,Petite Bibliothèque Payot Paris ,1985.
14-Pesle Octave –Tidjani Ahmed :Le Coran ,G.P.Maisonneuve et Larose, Paris ,1980 .
15-Redouane Joelle :Encyclopédie De La Traduction ,O.P.U.Benaknoun ,Algerie ,1996 .
16-Reiss Katharina :La Critique Des Traductions :Ses Possibilités et ses Limites ,Traduit de L'allemand par Catherine Boquet , Artois Presses Université ,Artois ,France ,2002 .
17-Savary .M :Le Coran ,Edition Garniers Frères ,Paris .
18-La Sainte Bible :Alliance Biblique Universelle ,Société Biblique Française ,1980 .

SITES INTERNET :

1--www.Afrik .com
2-www.Alwatan .com.sa.
3-www.Biblio –Monde .com.
4-www.Mekkaoui .net.
5-www.pum.umontréal.ca.revues .surfaces.vol5.bouvet.ktml

DICTIONNAIRES :

1- Grand Affio :Felix Gaffio ,Hachette ,Paris ,2000.
2-Oxford English Dictionnary ,Oxford .
3-Quid 99 :Dominique –Michele Fremy ,Robert Laffont ,Paris ,1999 -
4-Robert pour Tous :Dictionnaire Le Robert ,Paris ,2004.

فهرس الموضوعات :

المقدمة :..... أ

الباب الأول :

الترجمة و النص المقدس

أ- الفصل الأول : تفسيرالنص المقدس و ترجمته

المبحث الأول :مدارس التفسير 1

أقسام التفسير : 3

ا –التفسير بالرواية . 7

أنواع التفسير بالرواية 8

طبقات المفسرين بالمأثور 13

طبقة الصحابة 14

ب – التفسير بالدراية . 15

1 –تفسير الشيعة . 19

2 –التفسير الصوفي و الإشاري . 19

3 –التفسير الفقهي . 21

4 –التفسير الحديث . 22

5 –التفسير المعاصر . 27

المبحث الثاني :مراحل التفسير : 28

1 –مرحلة التفسير العملي 28

2 –مرحلة التفسير النظري 28

3 –مرحلة الركود 29

4 –مرحلة التفسير التطبيقي 29

المبحث الثالث : مناهج التفسير : 29
1 –المنهج الطولي 29
2– المنهج الموضوعي 30
3 –المنهج التاريخي 31
4–المنهج التمثيلي 31
5 –المنهج اللغوي 31
6 –المنهج التاريخي 31
7–المنهج الفلسفي 32
8 –المنهج العقائدي 32
9 –المنهج الفقهي 32
10 –المنهج الصوفي 32
11 –المنهج العلمي 33
12 –المنهج الإصلاحي 33
13 –المنهج الفني 33
14 –المنهج الموضوعي 33
15 -المنهج التريخاني 34
16–المنهج اللسانياتي . 34
المبحث الرابع : الاتجاه النقدي للتفسير و الترجمة . 36
أولا :نقد التفسير بالرأي . 39
ثانيا :نقد التفسير المأثور . 42
ثالثا :نقد سند المرويات: 59
رابعا :نقد محتوى المرويات و إن صح السند : 64
الفصل الثاني :علاقة التفسير بالترجمة
المبحث الأول :أحكام ترجمة القرآن . 68

أ-المذهب الحنفي 69
ب -رأي المالكية 70
ج-رأي الشافعية 70
د-رأي الحنابلة 71
1-القرآن لفظ و معنى 75
2-القرآن يتعبد بتلاوته 75
3-القرآن معجز في نظمه 75
المبحث الثاني : بين الترجمة و التفسير . 76
المبحث الثالث : مبادئ تفسير النصوص و ترجمتها : 87
المبحث الخامس : أنواع ترجمة النصوص . 114
1-الترجمة الحرفية . 116
أ -الترجمة كلمة كلمة . 119
ب-الترجمة واحد بواحد . 120
ج- الترجمة الحرفية . 120
2 -الترجمة التفسيرية . 122
3 -أنواع الترجمة المرتبطة بدلالة النص : 123
1 -الترجمة التفسيرية . 123
2 -ترجمة تفسير معاني القرآن الكريم . 123
-الترجمة الوفية . 124
4 -فوق الترجمة . 125
4 -أنواع الترجمة المرتبطة بلغة الترجمة: 126
1 -الترجمة البائنة 126
2 -الترجمة غير البائنة 127
3 -الترجمة الحرة 130

4 –الاقتباسية . 130
5 – الترجمة الاصطلاحية 130
6 –الترجمة التخاطبية .
الباب الثاني :ترجمة جاك بيرك و التفاسير القرآنية.
الفصل الأول : قراءة نقدية للترجمة و التفسير
المبحث الأول :الترجمة بين التقييم و النقد . 136
أ –قراءة النص الأجنبي . 150
ب –أهداف المترجم و شخصيته . 162
ج –مقارنة النص المترجم بالأصل 166
د – وظيفة النص و هدف الترجمة . 166
ح- نمط النص 172
ط-عملية تفسير المترجم للنص القرآني. 179
التحرير و التنوير 182
محاسن التأويل 186
جامع البيان 189
الكشاف 193
روح المعاني 196
أضواء البيان 200
في ظلال القرآن 201
تفسير ابن كثير 204
المحرر الوجيز 206
تفسيرات المترجم 207
أسماء السور 218
الفصل الثاني : نقد ترجمة جاك بيرك التفسيرية لسورة يوسف : قراءة في

الأصل و الترجمة .
المبحث الأول :مقارنة النص الأصل بترجمة جاك بيرك و ترجمات أخرى 222
سورة يوسف 223
القصة المفتوحة 226
القصة المغلقة 226
نسيج القصة القرآنية : المقدمة 231
العرض القصصي 245
خاتمة العرض 286
الخاتمة 286
قائمة المصادر و المراجع 289